p-ISSN: 2307-1583
e-ISSN: 2789-326X



العدد 54 - المجلد 10 - كانون الثاني/ يناير 2022
Issue 54 - Volume 10 - January 2022

دورية محكمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية
A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

محمد حمشي وعادل زقاغ

عن السياسة ما بعد الدولية: تعايش بين نظامين أم عصر وسيط جديد؟

التجاني عبد القادر حامد

الثورة السودانية وآفاق الانتقال الديمقراطي

سارة ناصر

الذاكرة والاعتذار في السياسة الخارجية: حين يأبى الماضي المضي

صاحب الامتياز
المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

The Designated Licensee
The General Director of the Arab Center for Research and Policy Studies

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العناوين التالية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
صندوق بريد: 10277
منطقة 70 شارع الطرفة، الدوحة، قطر
هاتف 6888 4035 00974

Arab Center For Research & Policy Studies
PO Box: 10277
Al Tarfa Street, Doha, Qatar
Phon: 00974 4035 6888

أو على البريد الإلكتروني للمجلة
siyasat.arabia@dohainstitute.org

صورة الغلاف

هشام كعوان (تونس)

مصور فوتوغرافي محترف ومصمم جرافيك. تحمل الصورة عنوان "من العتمة إلى النور" التقطت في العام ٢٠١٨ في غابة قرية بني مطير، وهي قرية في شمال غرب تونس، وتبعد بعض الكيلومترات عن مدينة عين دراهم التي تقع في ولاية جندوبة.



العدد 54 - المجلد 10 - كانون الثاني/ يناير 2022

Issue 54 - Volume 10 - January 2022

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies





العدد 54 - المجلد 10 - كانون الثاني/ يناير 2022
Issue 54 - Volume 10 - January 2022

Articles 5 دراسات

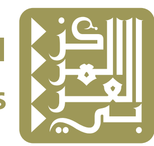
Arab Opinion Index 95 المؤشر العربي

Documentation 105

التوثيق

Book Reviews 135

مراجعات الكتب



المـركز العـربي للأبحـاث ودراسة السيـاسات
Arab Center for Research & Policy Studies

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية فكرية مستقلة، مختصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، في جوانبها النظرية والتطبيقية، تسعى، عبر نشاطها العلمي والبحثي، إلى خلق تواصل في ما بين المثقفين والمتخصصين العرب في هذه العلوم، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم، وكذلك بينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية، في عملية تواصل مستمرة، من البحث، والنقد، وتطوير الأدوات المعرفية.

يتبنى المركز رؤية نهضوية للمجتمعات العربية، ملتزمة بقضايا الأمة العربية، والعمل على رقيها وتطوّرها، انطلاقًا من فهم أنّ التطور لا يتناقض مع الثقافة والهوية، بل إنّ تطوّر مجتمعٍ بعينه، بفئاته جميعها، غير ممكنٍ إلا في ظروفه التاريخية، وفي سياق ثقافته، وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

ومن ثمّ، يعمل المركز على تعزيز البحث العلمي المنهجي والعقلانية في فهم قضايا المجتمع والدولة، بتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي. ويتجاوز ذلك إلى دراسة علاقات الوطن العربي ومجتمعاته بمحيطه المباشر، وبالسياسات العالمية المؤثّرة فيه، بجميع أوجهها.

وفي ضوء هذه الرؤية، يعمل المركز على تحقيق أهدافه العلمية الأساسية، عن طريق نشاطاته الأكاديمية المختلفة، فهو ينتج أبحاثًا ودراسات وتقارير، ويصدر كتبًا محكّمةً ودوريات علميةً، ويبادر إلى مشاريع بحثية، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات، وورش عمل وتدريب، وندوات أكاديمية، في مواضيع متعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وموجّهة إلى المختصين، والرأي العام العربي أيضًا، ويساهم، عبر كل ذلك، في توجيه الأجندة البحثية نحو القضايا والتحديات الرئيسة التي تواجه الوطن والمواطن العربي. وينشر المركز جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

تأسّس المركز في الدوحة في خريف 2010، وله فرع يعنى بإصداراته في بيروت، وافتتح ثلاثة فروع إضافية، في تونس وواشنطن وباريس. ويشرف على المركز مجلس إدارة بالتعاون مع مديره العام المؤسِّس.

أسّس المركز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وما زال يشرف عليه بالتعاون مع مجلسه العلمي، كما أسّس معهد الدوحة للدراسات العليا، وهو معهد جامعي تشرف عليه إدارة أكاديمية ومجلس أمناء مستقل يرأسه المدير العام للمركز.

يعمل في المركز باحثون مقيمون، وطاقم إداري. ويستضيف باحثين زائرين للإقامة فيه فترات محددة من أجل التفرّغ العلمي، ويكلّف باحثين من خارجه للقيام بمشاريع بحثية، ضمن أهدافه ومجالات اهتمامه.

The Arab Center for Research and Policy Studies is an independent social sciences and humanities institute that conducts applied and theoretical research seeking to foster communication between Arab intellectuals and specialists and global and regional intellectual hubs. The ACRPS achieves this objective through consistent research, developing criticism and tools to advance knowledge, while establishing fruitful links with both Arab and international research centers.

The Center encourages a resurgence of intellectualism in Arab societies, committed to strengthening the Arab nation. It works towards the advancement of the latter based on the understanding that development cannot contradict a people's culture and identity, and that the development of any society remains impossible if pursued without an awareness of its historical and cultural context, reflecting its language(s) and its interactions with other cultures.

The Center works therefore to promote systematic and rational, scientific research-based approaches to understanding issues of society and state, through the analysis of social, economic, and cultural policies. In line with this vision, the Center conducts various academic activities to achieve fundamental goals. In addition to producing research papers, studies and reports, the center conducts specialized programs and convenes conferences, workshops, training sessions, and seminars oriented to specialists as well as to Arab public opinion. It publishes peer-reviewed books and journals and many publications are available in both Arabic and English to reach a wider audience.

The Arab Center, established in Doha in autumn 2010 with a publishing office in Beirut, has since opened three additional branches in Tunis, Washington and Paris, and founded both the Doha Historical Dictionary of Arabic and the Doha Institute for Graduate Studies. The ACRPS employs resident researchers and administrative staff in addition to hosting visiting researchers, and offering sabbaticals to pursue full time academic research. Additionally, it appoints external researchers to conduct research projects.

Through these endeavours the Center contributes to directing the regional research agenda towards the main concerns and challenges facing the Arab nation and citizen today.



دراسات

Articles



التسلم Received 25/12/2019 | التعديل Revised 17/11/2020 | القبول Accepted 17/2/2021 | المعرّف الرقمي DOI https://doi.org/10.31430//LBGQ4132

محمد حمشي | Mohammed Hemchi*
عادل زقاغ | Adel Zeggagh**

عن السياسة ما بعد الدولية: تعايش بين نظامين أم عصر وسيط جديد؟

On Post-international Politics: Two Coexistent Systems or Neo-medievalism?

تسعى هذه الدراسة لاستكشاف مضامين ما يعتبره جيمس روزنو براديمًا قائمًا بذاته؛ براديم السياسة ما بعد الدولية، وذلك عبر قراءة مقارنة في مفهومي التعايش بين نظام متمركز حول الدول ونظام متعدد المراكز، في مقام أول، ومفهوم العصر الوسيط الجديد في مقام ثان؛ بغية تقديم تأملات في الخصائص الأساسية التي يمكن لكلا المفهومين المساهمة بها لتحسين فهمنا سياسة ما بعد الدولية في حقبة من التعقد المتزايد. تقسم الدراسة مبحثين رئيسين. يقدّم الأول مفهوم السياسة ما بعد الدولية، ويشخّص أبرز الافتراضات التي يستند إليها ما سمّاه روزنو براديم الاضطراب (وهو مرادف آخر لبراديم السياسة ما بعد الدولية). أما المبحث الثاني، فيقدّم مفهوم العصر الوسيط الجديد الذي يمكن تعقّب استخدامه المبكر، عودةً إلى هادلي بول، باعتباره وصفًا ملائمًا لنظام تتراجع فيه باستمرار قدرة الدولة على احتكار ممارسة العنف، خاصة تحت وطأة التأثير المتنامي الذي تقوم به الجيوش (أو الشركات الأمنية) الخاصة التي تُعدّ نظيرًا معاصرًا للجيوش المرتزقة التي ميّزت العصر الوسيط الأول.

كلمات مفتاحية: السياسة ما بعد الدولية، النظام المتعدد المراكز، النظام المتمركز حول الدول، العصر الوسيط الجديد، براديم الاضطراب.

This article explores what James Rosenau had founded as a post-international politics paradigm. It does so through a comparative reading of the two concepts of the two coexistent systems, state-centic and multicentric, on the one hand; and neo-medievalism on the other. The article aimes at offering some reflections on the essential characteristics that both concepts can contribute to improving our understanding of post-international politics in an era of increasing complexity. The article is divided into two sections. The first section introduces the concept of post-international politics, from Rosenau's perspective, and identifies the most prominent assumptions on which Rosenau called turbulence (another label for the post-international politics paradigm). The second section introduces the concept of neomedievalism, which traces back to Hadley Bull, as an appropriate depiction for a system within which the state's monopoly of violence is constantly declining, especially under the growing influence of private armies/security companies, which are considered a contemporary example of the mercenary armies that characterized the first medieval period.

Keywords: Post-international Politics, Multi-centric System, State-centric System, Newmedievalism, Turbulence Paradigm.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وأستاذ العلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا.
Researcher at the Arab Center for Research and Policy Studies, Assistant Professor at the Doha Institute for Graduate Studies.
Email: mohammed.hemchi@dohainstitute.edu.qa

** أستاذ التعليم العالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة 1، باتنة، الجزائر. Professor of Political Science at Batna 1 University, Batna, Algeria.
Email: a.zeggagh@gmail.com

على الرغم من التطور الذي شهدته أفكار جيمس روزنو (1924-2011)، لم يجد حرجًا في العودة، مرارًا وتكرارًا، وطوال مسيرته، إلى العديد من الأسئلة نفسِها[1].

مقدمة

لا تعني نسبة السياسة الدولية إلى الدولة، بوصفها فاعلًا رئيسًا فيها، فهمَ لفظ الدولي على سبيل النعت الذي يعود إلى الدولة. يعود أول استخدام لمصطلح International الذي يقابله في اللغة العربية الدولي، إلى فيلسوف القانون الإنكليزي جيريمي بينثام Jeremy Bentham (1748-1832) الذي استخدمه في نهاية القرن الثامن عشر للتمييز بين القانون المحلي (أي الوطني) والقانون الدولي الذي جرت العادة في اللغة الإنكليزية آنذاك على تسميته قانون الأمم[2] Law of nations. ولمّا كانت الدولة في تلك الحقبة من التاريخ الأوروبي مرادفةً للأمة، جاء المصطلح على هذا النحو International لوصف كل ما يتصل بالعلاقات بين الأمم أو الدول[3]. ولم يواجه منذئذ عقبات تُذكَر ليتحوّل إلى مصطلح راسخ، خاصة مع شيوع مصطلح آخر يعبّر عن الفاعل الرئيس في ما صار يُعرف بالنظام الدولي، هو الدولة-الأمة nation-state.

في اللغة العربية، ينبغي التمييز بين التفكير في الدولي باعتباره ما يتعلق بالدولة أو ما يُنسب إليها من ناحية أولى[4]، وباعتباره ما يتصل بالعلاقات بين الدول، أو بالأحرى بين مجموعة من الدول، من ناحية ثانية (وهو المفهوم من مصطلح السياسة الدولية)، ومن ناحية ثالثة، باعتباره العالمي الذي يشمل دول العالم كلها؛ ففي حين أن اعتبار المياه دوليةً يعني أن تلك المياه تكون فيها حقوق الدول كلها متساوية، بمعنى أنها تخص دول العالم كلها؛ وفي حين أن تسمية وحدة القياس دولية، يعني أن تلك الوحدة يتعامل بها المنتجون والمستهلكون في كل مكان من العالم؛ ولا يناسب هذا المعنى القاضي بأن المنعوت بالدولي يشمل دول العالم كلها مصطلحات جمة في العلاقات الدولية، فالاتفاقية/ المعاهدة الدولية قد تقتصر على مجموعة محدَّدة من الدول (قد لا تتعدى الدولتين)، والعقوبات الدولية لا تتبنّاها بالضرورة دول العالم كلها.

هذا ما جعل باري بوزان Barry Buzan وريتشارد ليتل Richard Little يُقرّان بأن مصطلح ما بين الدول interstate[5]، أقدمُ استخدامًا من مصطلح الدولي international، قد يكون أدق دلالةً وأفصح تعبيرًا عن النظام الدولي كما يجري تداوله في حقل العلاقات الدولية. ومع ذلك، نجدهما يثنيان على "مرونة" مصطلح الدولي الذي سكّه بينثام، ويؤكدان في الوقت نفسه أن هذا النعت "ما عاد يشير إلى العلاقات بين [مجموعة من] الدول فحسب، لكنه يغطي أي علاقة تمتد عبر حدود [مجموعة من الدول]، سواء أكانت مباراة 'دولية 'في كرة القدم أو هجرة 'دولية' للأفراد"[6]؛ فمباراة كرة القدم الدوليةُ لا تجمع فرقَ العالم الوطنيةَ كلها (بل في الواقع لا تجمع أكثر من فريقَي دولتيْن اثنتيْن)، مثلما أن حركة الهجرة الدولية للأفراد لا تتخطى ملايين الكيلومترات من الحدود التي تفصل دول العالم كلها، إحداها عن الأخرى.

هذه المناقشة الاصطلاحية المقتضبة ضرورية لفهم كيف أن ما صار يُعرف بالاندماج الإقليمي، على سبيل المثال، إنما سُمّي اندماجًا دوليًا

---

1 Yale H. Ferguson & Richard W. Mansbach, *Remapping Global Politics: History's Revenge and Future Shock* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), p. 16. (بتصرف)

2 يسمى أيضًا، في اللغة اللاتينية، قانون الشعوب jus gentium. يعود هذا القانون إلى الحقبة الرومانية، وهو النواة الأولى للقانون الدولي الغربي المعروف لدينا اليوم. وقد وُضع في البداية للبتّ في النزاعات بين المواطنين الرومان والأجانب، أو بين الأجانب أنفسهم ممّن يقيمون على أراضي الإمبراطورية الرومانية، وتضمّن أيضًا المعاهدات الخارجية التي أبرمتها روما، خاصة في مجال التجارة عبر المتوسط.

3 يمكن في هذ السياق الاكتفاء بمطالعة دراسة هايدمي سوغانامي الكلاسيكية عن أصول مفردة "الدولي"، في:

Hidemi Suganami, "A Note on the Origins of the Word 'International'," *British Journal of International Studies*, vol. 4 (1978), pp. 226-632.

4 يَرِد معنى الدولي في معظم معاجم اللغة العربية بوصفه ما يُنسَب إلى الدولة. وفي حين أن اللغة الفرنسية تستخدم الاسم état للدلالة على الدولة، والنعت étatique للدلالة على ما ينسب إلى الدولة، وفي حين أن اللغة الإنكليزية تستخدم مفردةَ state نفسَها للتعبير عن الاسم والنعت معًا؛ فإن اللغة العربية لا تستقر على مفردة واحدة، فنحن نسمي مثلًا state sector/ secteur étatique قطاعًا حكوميًا وقطاعًا عامًا وقطاع الدولة. لكنَّ مَنْ ينقل إلى اللغة العربية مصطلح state actor/ acteur étatique، على سبيل المثال، قد لا يناسبه استخدام الفاعل الحكومي أو الفاعل العام أو فاعل الدولة، لأن هذا لا يعبّر عن دلالات المصطلح الذي يعبّر عن الفاعل الذي يمثل الدولة ويمتثل لها. لذلك، يلجأ بعض الباحثين العرب إلى استخدام عبارة الفاعل غير الدولتي لترجمة مصطلح non-state actor/ acteur non étatique، لأن مفردة الفاعل غير الدولي تحيل إلى النعت international، وهو ما لا يستقيم مع المعنى المراد في هذا السياق. فالفاعل الدولي، مثل المنظمات الدولية الحكومية، **يمثل الدول ويمتثل لها**، على نقيض الفاعل غير الدولتي مثل الشركات المتعددة الجنسيات أو المنظمات غير الحكومية. بشأن تعريف الفاعل غير الدولتي، ينظر: شهرزاد خيّر ومحمد حمشي، "الحوكمة العالمية والسلطة الخاصة"، **المجلة الجزائرية للأمن والتنمية**، مج 10، العدد 3 (2021)، ص 5.

5 تُستخدم هذه المفردة في اللغة الإنكليزية للدلالة على النعت، فيقال interstate system بمعنى النظام ما بين الدول، أو النظام الدولي في نهاية المطاف. تكمن مزية هذه المفردة في دقتها اللغوية؛ إذ تقوم على الدولة جذرًا لغويًا interstate، في حين تقوم مفردة international على جذر لغوي آخر، ما عدّ مرادفًا للدولة اليوم، هو الأمة (والحالة نفسها نجدها في اللغة الفرنسية بين interétatique، حيث الجذر اللغوي هو الدولة état، وinternational، حيث الجذر اللغوي هو الأمة nation). وقد شدد كريس براون على أن الوحدة في تعريف العلاقات الدولية هي الدولة لا الأمة، وعلى الرغم من أن "معظم الدول اليوم قد تطمح إلى أن تكون دولًا-أممًا nation-states، فإن ما يُعدّ مركزيًا [في تعريف العلاقات الدولية، ومن ثم في تعريف النظام الدولي] هو حيازة حالة الدولة statehood لا حالة الأمة nationhood؛ والواقع أن مصطلح العلاقات 'ما بين الدول' interstate أدق من مصطلح 'العلاقات الدولية' international لو لم يكن مستخدمًا في الولايات المتحدة الأمريكية للتعبير عن العلاقات ما بين ولايات مثل كاليفورنيا وأريزونا. وهكذا يكون وصف العلاقات الدولية المتفقُ عليه مناسبًا للمملكة المتحدة وكندا أكثر مما هو مناسبٌ لإسكتلندا أو كيوبيك، على الرغم من أنهما [أي إسكتلندا وكيوبيك] تمثلان 'أمتين' على نحو أوضح مما هي عليه حال المملكة المتحدة وكندا". ينظر:

Chris Brown, *Understanding International Relations*, 3rd ed. (New York: Palgrave Macmillan, 2005), p. 3.

6 Barry Buzan & Richard Little, *International Systems in World History: Remaking the Study of International Relations* (New York: Oxford University Press, 2000), p. 32.

وإنه لَمِن المثير للاهتمام أن نقرأ لدى كينيث والتز، أحد أبرز المنظّرين الكلاسيكيين للنظام الدولي، التمييز التالي: "إن النظام بين الدول interstate system ليس هو النظام الدولي international system الوحيد الذي يمكن للمرء تصوُّره". ينظر:

Kenneth N. Waltz, *Theory of International Politics* (Boston: Addison-Wesley, 1979), p. 38.

في بدايات التنظير المبكّرة له[7]، على الرغم من أنه لم يعنِ حينها سوى ثلّة قليلة من دول أوروبا الغربية؛ كما أن هذه المناقشة ضرورية لفهم الكيفية التي يستخدم بها بوزان وليتل مفهوم الأنظمة الدولية المتعددة multiple international systems، بصيغة الجمع، نقدًا للنزعة السائدة، المتمركزة حول أوروبا، التي تقصر مفهوم النظام الدولي على حقبة القرون الثلاثة ونيّف التي تلت توقيع معاهدة وستفاليا المؤسِّسة للدولة-الأمة (عام 1648)، حجر زاوية النظام الدولي الحديث؛ حيث يجادلان في أن "تحديد أصول هذا النظام يقتضي فحص التاريخ الكامل الذي عرفته الأنظمة الدولية المتعددة التي تشكلت على مدى أكثر من خمسة آلاف عام"، فيقتفيان أثر هذه الأصول إلى غاية نظام الدول-المدن السومرية city-states في منطقة ما بين نهري دجلة والفرات، باعتباره أول نظام دولي مكتمل معروف لدينا[8]. ما يهمنا هاهنا من قراءة بوزان وليتل هو أن الوحدات التي يتشكل منها النظام الدولي لا تقتصر بالضرورة على الدول-الأمم؛ إذ يمكن أن تكون الدول-المدن، أو الإمبراطوريات، أو تشكيلة هجينة من وحدات غير متماثلة، مثلما هي عليه حال النظام الدولي المعاصر.

ثمة مراجعات عديدة تسائل ما نعنيه حين نسمي السياسة الدولية دوليةً. وتقول الحجة الأساسية، والسائدة ربما، أن مصطلح الدولي بات أضيق من أن يشمل جميع الفاعلين والتفاعلات التي ينبغي أن يغطيها حقل السياسة الدولية. تدعو باتريشا أوينز Patricia Owens وآخرون، على سبيل المثال، إلى استبدال مصطلح السياسة الدولية بالسياسة العالمية، لأنها تشمل البحث في السياسة والعمليات والتفاعلات السياسية التي تجري في العالم ككلّ، ولا تقتصر على تلك التي تجري بين الدول، كما تدل عليه عبارة السياسة الدولية (أو العلاقات الدولية[9]). لا يعني ذلك أن العلاقات بين الدول غير مهمة، بل هي أساسية في السياسة العالمية المعاصرة ومؤسِّسة لها. غير أن الاهتمام ينبغي أن ينصبَّ أيضًا على العلاقات بين المؤسسات والمنظمات التي قد لا تكون دولًا؛ مثل الشركات المتعددة الجنسيات والجماعات الإرهابية العابرة للحدود والطبقات الاجتماعية والمنظمات غير الحكومية وغيرها. فالعلاقات والتفاعلات بين هذه الأخيرة (بينها في حد ذاتها أو بينها وبين الدول)، يمكن أن تحظى بالأهمية نفسها التي يحظى بها ما تفعله الدول أو لا تفعله[10] (أو ربما تفوقها أهمية في بعض الأحيان). لكن، هل يمكن اعتبار ذلك حجاجًا كافيًا لإزاحة الدولة عن قلب السياسة الدولية؟

ثمة وفرة من الأدبيات التي تسعى لإعادة تعريف دور الدولة وصعود الفاعلين غير الدول وتنامي دورها في السياسة العالمية، ومن أبرزها كتابات جيمس روزنو الرائدة، وهو أول من استعمل عبارةً ملأت الدنيا وشغلت الناس لاحقًا لتغدو أساسًا في تعريف الحوكمة العالمية، هي عبارة "الحكم من دون حكومة"[11]. وقد حاجّ روزنو بأنها المفهوم الأكثر ملاءمة لوصف التعقد المتزايد الذي باتت السياسة الدولية تتّسم به، مثلما يُعدُّ الأكثر ملاءمة لفهم "الفعل السياسي" في عالم ما بعد الدولة-الأمة على حد تعبير فيليب ميولر وماركوس ليدرر[12]، أو في عالم السياسة ما بعد الدولية على حد تعبير روزنو نفسه[13]. إن هذه المسألة ليست اصطلاحية فحسب بل تتعلق أكثر بتحولات إبستيمولوجية وأنطولوجية في الوقت نفسه؛ إذ تعبّر المصطلحات الجديدة عن تحول في طبيعة الواقع (السياسة الدولية)، وتعبّر في الوقت نفسه عن تحوّل في الكيفية

7 ينظر:
Ernst B. Haas, "International Integration: The European and the Universal Process," *International Organization*, vol. 15, no. 4 (1961), pp. 366-392.

8 Buzan & Little, p. 1.

9 لأننا مهتمون أكثر بفحص مفهوم السياسة ما بعد الدولية، فإننا نستخدم مصطلحي "السياسة الدولية" و"العلاقات الدولية" من دون الالتفات للتمييز بينهما.

10 Patricia Owens, John Baylis & Steve Smith, "Introduction: From International Politics to World Politics," in: John Baylis, Steve Smith & Patricia Owens (eds.), *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations*, 8th ed. (New York: Oxford University Press, 2020), p. 6; المفارقة أن محرري الكتاب والمساهمين فيه احتفظوا، في العنوان، بالتسمية التقليدية والراسخة التي يتسمّى بها الحقل المعرفي، العلاقات الدولية. ينظر أيضًا:
Philip Cerny, *Rethinking World Politics* (Oxford: Oxford University Press, 2010), p. 5; Peter Willetts, *Non-Governmental Organizations in World Politics* (London: Routledge, 2011), p. 114.

11 James Rosenau, "Governance, Order, and Change in World Politics," in: James Rosenau & Ernst-Otto Czempiel (eds.), *Governance without Government: Order and Change in World Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1992[2000]), pp. 1-29.

12 Philipp Müller & Markus Lederer, *Criticizing Global Governance* (New York: Palgrave Macmillan, 2005), p. 1.

13 James Rosenau & Mary Durfee, *Thinking Theory Thoroughly: Coherent Approaches to an Incoherent World* (Boulder, CO:Westview Press, 2000), p. 47; استخدم روزنو هذا المصطلح أول مرة في كتابه:
James N. Rosenau, *Turbulence in World Politics: A Theory of Change and Continuity* (Princeton: Princeton University Press, 1990);
ثم استخدمه آخرون كُثر، يُذكر من بينهم:
Ferguson & Mansbach; Yale H. Ferguson & R. J. Barry Jones (eds.), *Political Space: Frontiers of Change and Governance in a Globalizing World* (New York: State University of New York Press, 2002); Heidi H. Hobbs (ed.), *Pondering Postinternationalism: A Paradigm for the Twenty-First Century* (Albany, New York: State University of New York Press, 2000); Yale H. Ferguson & Richard W. Mansbach, "Post-internationalism and IR Theory," *Millennium - Journal of International Studies*, vol. 35, no. 3 (2007), pp. 529-549; Damien Rogers, *Postinternationalism and Small Arms Control: Theory, Politics, Security* (Farnham, England/ Burlington, VT: Ashgate Publishing, 2009).

التي ينبغي لنا أن نتصوّر بها هذا الواقع (نظريات السياسة الدولية). ويشير المضمون الإبستيمولوجي إلى التحول من التحليل على المستوى ما بين الدول إلى التحليل على المستوى العالمي، أما المضمون الأنطولوجي فيشير إلى التحوّل من التعامل مع العلاقات ما بين الدول إلى التعامل مع شبكات عالمية متزايدة التعقد من التفاعلات، لا بين الدول فحسب بل بين طيفٍ واسع من الفاعلين، من الدول ومن غير الدول. ولا يكمن ما يبرر هذا التحول في ظهور وانتشار الفاعلين غير الدول، على اختلاف أشكالها، فحسب، بل يكمن أساسًا في أنّ تنامي دور هؤلاء الفاعلين يؤدي إلى، وفي الوقت نفسه ينتج من، تشتت موارد السلطة العالمية، حيث تتحوّل الدولة إلى مجرد فاعل يتقاسم السلطة مع فاعلين آخرين يتحكم كلٌّ منهم في نمط معيَّن من أنماط موارد السلطة العالمية.

ومع تعدد فضاءات السلطة العالمية واستمرارها في الابتعاد عن الدولة، ما عادت السياسة "الدولية" مجالًا محتكرًا من الدولة والفاعلين الذين يستمدون سلطتهم وشرعيتهم منها state actors،

> مع تعدد فضاءات السلطة العالمية واستمرارها في الابتعاد عن الدولة، ما عادت السياسة "الدولية" مجالًا محتكرًا من الدولة والفاعلين الذين يستمدون سلطتهم وشرعيتهم منها، مثل المنظمات الدولية ما بين الحكومية. تكمن الميزة الأساسية للسلطة العالمية في خضوعها المستمر لعمليات إعادة التموضع وإعادة التوزع

مثل المنظمات الدولية ما بين الحكومية. تكمن الميزة الأساسية للسلطة العالمية في خضوعها المستمر لعمليات إعادة التموضع relocation وإعادة التوزع redistribution، فهي تتموضع بعيدًا عن السياسي نحو الاقتصادي، وأحيانًا نحو الاجتماعي (حين يتعلق الأمر بعمليات صنع المعايير وحيازة الفاعلين الشرعية)، وأحيانًا أخرى حتى نحو البيروقراطي (حين يتعلق الأمر بعمل شبكات المنظمات الدولية المتزايدة التعقد، الحكومية وغير الحكومية). فضلًا عن ذلك، تتوزّع السلطة العالمية من المحور الوطني-الدولي نحو المحور المحلي-عبر الوطني، ومن الدولة نحو أنماط مختلفة ومنوعة وهجينة من التشكيلات التجزيئية للدولة. ولا تنتقل السلطة العالمية إلى أيدي الفاعلين الجدد بسبب إعادة تحديد دور الدولة وتفويضها باستمرار جزءًا من سلطتها محليًا (لمصلحة فاعلين ما دون الدولة) و/ أو عالميًا (لمصالح فاعلين ما فوق الدولة) فحسب، بل إنها أيضًا تستمر في الابتعاد عن الدولة، لأن الفاعلين الجدد يحوزون مع مرور الوقت قدرةً أكبر على جذب موارد السلطة من مجالها التقليدي واستقطابها[14].

يحاجّ روزنو بأن هذه التحولات تدفع الباحث نحو التحليل على مستوى ما بعد دولي postinternational (أو على مستوى يتجاوز الدولة). ويفترض أنّ مرحلة السياسة ما بعد الدولية تتميز بالتعايش بين نظامين: نظامٌ متمركز حول الدولة state-centric، يقتصر على الدول والفاعلين الخاضعين لسيادتها، ونظامٌ متعدد المراكز multi-centric يعج بفاعلين متحررين من سيادة الدولة، ولديهم القدرة على إنتاج عمليات وبنى وقواعدَ خاصة بهم. ويتفاعل هؤلاء الفاعلون المتحررون من سيادة الدولة ويتعاونون ويتنافسون و/ أو يتصارعون مع الفاعلين الخاضعين لسيادة الدولة، فرادى أو مجتمعين بعضُهم مع بعض. تكمن المفارقة في أن النظام المتعدد المراكز، على خلاف النظام المتمركز حول الدولة، يفتقر إلى الحد الأدنى المقبول من القابلية للضبط less regulated، ذلك أن من بين الفاعلين الذين يعجّ بهم هذا النظام، ثمة الشبكات اللاشرعية التي تشمل الجماعات المسلحة (خاصة منها الإرهابية أو التي تمارس العنف خارج سلطة الدولة وتنازعها تعريفها الفيبري التقليدي بوصفها محتكرًا للعنف المشروع) وجماعات الجريمة المنظمة العابرة للحدود بمختلف أشكالها[15]. ولا تنفك تلك الشبكات تكسب المزيد من المساحة والقوة بتعاظم قدرتها على عبور الحدود والفعل ما وراء الحدود في منحى عكسي، مع تزايد عدم قدرة الدول على مراقبة مختلف التدفقات وضبطها، داخل الحدود التي تفصلها بعضها عن بعض وعبرها.

ثمة مشكلة تكمن في أن الانخراط المتزايد للفاعلين غير الدول، في المناطق غير المستقرة أمنيًا، لا يقتصر على شبكات الجماعات الإرهابية والميليشيات وتنظيمات الجريمة المنظمة فحسب، بل يشمل أيضًا الشركات الأمنية الخاصة التي تمثل بدورها فاعلين أو كيانات هجينة، فهي شركاتٌ ربحية يحكم سلوكَها منطقُ التنافس التجاري، لكن بوصفها شركات أمنية (عسكرية)، فهي تمارس عنفًا مشروعًا بحكم العقود القانونية التي تربطها بالحكومات التي توظّفها. غير أنها في الوقت نفسه تتعرّض للرفض على نطاق

14 محمد حمشي، **مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 156-164؛ خيّر وحمشي، ص 1-21.

15 من دون أن ننسى الفاعلين الذين يقوم مسوّغ وجودهم أصلًا على تحدي الدولة، مثل الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية.

غير حكومي واسع بسبب قدرتها على التنصل من الالتزام بأحكام القانون الدولي الإنساني، لأن الجهة الوحيدة المخوّلة بمساءلة أفعال موظفيها هي الشركاتُ نفسُها. يؤدي تزايد نشاط هذه الشبكات والشركات الأمنية الخاصة إلى تقويض قدرة الدولة على ضبط ما سمّاه روزنو النظام المتعدد المراكز. ومع نهاية الحرب الباردة وانفجار النزاعات الأهلية والإثنية، فضلًا عن انتشار مظاهر متعددة للعنف، ما عادت الدولة قادرة على ضبطها، ظهر العديد من الأدبيات التي تسعى لإعادة بعث أطروحة هادلي بول (1932-1985)، الذي حاجّ في نهاية سبعينيات القرن الماضي، استنادًا إلى تأملات سابقة تعود إلى أرونولد ولفرز[16]، بأنّ العالم قد يلج حقبةً جديدةً من القرون الوسطى[17]. غير أن هذه الأطروحة لم تحظ بالترحيب الكافي حينها، لأن الدولة الوستفالية بدت متماسكة في أثناء الحرب الباردة، وقادرة نسبيًّا على الوفاء بالوعود المنتظرة منها. وتحاجّ هذه الأدبيات بأنّ مفهوم العصر الوسيط الجديد neo-medievalism يمكن أن يزوّدنا بمقاربة نظرية ملائمة لفهم حالة الاضطراب التي يعرفها النظام السياسي الدولي في حقبة السياسة ما بعد الدولية.

هذه الدراسة استكشاف لبردايم السياسة ما بعد الدولية. وهي تقدّم قراءةً مقارنة في مفهومَي التعايش بين نظامين، نظام متمركز حول الدول ونظام متعدد المراكز، من ناحية أولى، ومفهوم العصر الوسيط الجديد من ناحية ثانية؛ وفيها مبحثان رئيسان: يقدّم المبحثُ الأول لمفهوم السياسة ما بعد الدولية، من منظور روزنو، وما تنطوي عليه من تعايش وتزامن بين النظامين المتمركز حول الدول والمتعدد المراكز. فضلًا عن ذلك، يشخص هذا المبحث أبرز الافتراضات التي يستند إليها ما سمّاه روزنو بردايم الاضطراب (وهو مرادف آخر لبردايم السياسة ما بعد الدولية)، حيث يعرض أبرز مصادر الاضطراب في السياسة ما بعد الدولية، بدءًا بالتزايد المستمر في عدد الأفراد والانتشار المتزايد للفاعلين غير الدول، وصولًا إلى تعاظم الاضطراب في بنية النظام السياسي الدولي، حيث تجد أطروحة التقهقر نحو عصر وسيط جديد ما يبرر مزاعمها. أما المبحث الثاني، فيقدّم لمفهوم العصر الوسيط الجديد باعتباره وصفًا ملائمًا لنظام تتراجع فيه باستمرار قدرة الدولة على احتكار ممارسة العنف، خاصة تحت وطأة التأثير المتنامي الذي تقوم به الجيوش/ الشركات الأمنية الخاصة التي تُعدّ مثيلًا معاصرًا للجيوش المرتزقة التي ميّزت العصر الوسيط الأول.

16 Arnold Wolfers, *Discord and Collaboration: Essays on International Politics* (Baltimore: John Hopkins University Press, 1962), p. 242.

17 Hedley Bull, *The Anarchical Society* (New York: Palgrave, 1977[2002]), pp. 241-242.

أولًا: السياسة ما بعد الدولية: تعايش بين نظامين؟

ما بعد الدولي ليس مجرد نعت لغوي، لكنه رؤية للعالم worldview، وسنتجاوز هاهنا النقاش بشأن إن كانت نظريةً أم مقاربةً أم برادايمًا، أم غير ذلك[18]؛ فهذا النوع من النقاشات لا يعني ما بعد الدولي فحسب، بل تقريبًا جلّ محاولات التنظير في حقل العلاقات الدولية. يحاجّ روزنو بأن مفهوم "العلاقات الدولية" قد عفا عليه الزمن في مواجهة تيار واضح يتكشف فيه المزيد والمزيد من التفاعلات التي تعزّز السياسة العالمية من دون مشاركة مباشرة من الدول. لذلك، ثمة حاجة إلى مصطلح جديد يعبّر عن وجود بنًى وعمليات جديدة. ومن ثم، يقترح السياسة ما بعد الدولية بوصفها التسمية المناسبة، ويسوغها بجملة التحليلات التي غزت العلوم الاجتماعية حينها، والتي تتسمى مجتمع ما بعد الصناعة، وما بعد الرأسمالية، وما بعد الاشتراكية، وما بعد الأيديولوجيا، وما بعد الماركسية، وما بعد الحداثة، وعصر ما بعد المسيحية، والعديد من المابعديات الأخرى. وهكذا، يحاجّ بأن التغيرات العميقة التي تشهدها الشؤون العالمية إنما تشكل السياسة ما بعد الدولية[19]. لكنه، في الوقت نفسه، يشدد على أن استخدام هذا المصطلح ينطوي على أكثر من مجرد مواكبة للموضة؛ إن "السياسة ما بعد الدولية تسمية مناسبة لأنها تشير بوضوح إلى تراجع أنماط التفاعلات طويلة الأمد، من دون الإشارة، في الوقت نفسه، إلى ما قد تؤدي إليه تلك التغييرات. فهي تعبّر عن التدفق والانتقال، مثلما تشير إلى استمرار البنى المستقرة في الوجود وأداء وظيفتها. إنها تسمح بملاحظة الشواش chaos مثلما تلمح لوجود التماسك. إنها تذكرنا بأن الشؤون 'الدولية' قد لا تكون بعد اليوم البعدَ المهيمن للحياة العالمية، أو هي تذكرنا على الأقل بانبثاق أبعاد أخرى تتحدى التفاعلات بين الدول-الأمم. أخيرًا، وليس آخِرًا، هي تسمح لنا بتجنب أي حكم مبكّر على ما إذا كان الاضطراب الذي يشهده النظام الحالي ينطوي على ترتيبات نُظُمية دائمة، أم أنه مجرد حالة انتقالية"[20].

نشر روزنو كتابه المرجعي، **الاضطراب في السياسة العالمية: نظرية في التغير والاستمرارية**[21]، في عام 1990، حين أشرفت الحرب الباردة

18 وإن كان روزنو نفسه يسميه أحيانًا برادايم السياسة ما بعد الدولية، ويضعها في مقابل برادايمَي الواقعية والليبرالية. ينظر: Rosenau & Durfee, p. 47.
وفي المرجع نفسه (ص 50)، يشير إلى أنه يستخدم برادايم السياسة ما بعد الدولية مرادفًا لبرادايم الاضطراب.

19 Rosenau, *Turbulence in World Politics*, p. 6.

20 Ibid., pp. 6-7.

21 Ibid.

على نهايتها. وقد لاحظ سنوات بعدها، رفقة ماري دورفي، أن العالم ما عاد قادرًا على التعافي من اضطرابات نهاية الحرب الباردة واستعادة أنماط السياسة الدولية المألوفة: فالدول ما عادت قادرة على استعادة هيمنتها على التفاعلات، ولا قادرة على مراقبة وضبط تدفق الأفراد والسلع والأموال داخل وعبر الحدود التي تفصلها بعضها عن بعض؛ والمنظمات الدولية ما بين الحكومية - بما فيها منظمة الأمم المتحدة - ما عادت قادرة على الاستمرار في تقديم نفسها بوصفها فضاءات ملائمة لتنظيم علاقات القوة بين الدول والحدود بين السياسة الدولية (الخارجية) والسياسة الوطنية (الداخلية) المستمرة في الانجراف، وما عاد مبدأ السيادة قادرًا على الاستمرار في منع التدخل الخارجي داخل الدول، وهكذا. لذلك، يجادل روزنو بأن العالم بات في حاجة إلى براديم جديد يمكن من خلاله فهم ما يجري[22].

يطلق روزنو على هذا البراديم الجديد اسم براديم الاضطراب turbulence paradigm، الذي تبدو من خلاله السياسة ما بعد الدولية عرضة على نحو متزايد لديناميات لا تنتج سوى المزيد من النزاعات والتوترات، والمزيد من التطورات غير المتوقعة، والمزيد من اللايقين الدائم، والمزيد من التغيرات السريعة والمفاجئة. ويؤكد أيضًا أن مفهوم الاضطراب ليس مجردَ استعارة لغوية للكناية على سمتي اللاانتظام واللايقين، بل هو منظور سبر ديناميات الاضطراب الكامن في السياسة ما بعد الدولية على نحوٍ منهجي. وللقيام بذلك، يصنف هذه التغيرات في ثلاث مجموعات، يسمّيها براميترات/ مقاييس السياسة العالمية[23]: المقياس الكلّي macro parameter الذي يتضمن البنية الشاملة للسياسة العالمية، والمقياس الجزئي micro parameter الذي يتضمن قدرات الأفراد، والمقياس الكلي-الجزئي macro-micro parameter الذي يتضمن بنى السلطة التي تربط بين المستويين الكلّي والجزئي. ويحاجّ روزنو، استنادًا إلى هذا المنظور، بأن "المعايير الثلاثة كلها تخضع لتعقدٍ ودينامية واسعَي النطاق، وأن العالم يشهد فترة اضطرابه الأولى منذ بداية الحقبة التي تُوّجت بمعاهدة وستفاليا قبل ما يزيد على 350 عامًا"[24].

يحدث الاضطراب، ضمن هذا النموذج، حين يصير استمرار الأنماط الجوهرية الملازمة للحياة الدولية - بما في ذلك عدد الفاعلين على المستوى الدولي وأنواعهم وكثافة تفاعلاتهم وروابط الاعتماد المتبادل بينهم - عرضة لدرجات عالية من الدينامية والتعقد، حيث تغدو غير قادرة على الاستمرار في إعادة إنتاج نفسها وتكرارها. حينها، يمكن المرء الاستنتاج أن العالم (يـ)دخل مرحلة من الاضطراب. في هذا السياق، يجادل روزنو بأن المقاييس الثلاثة تتعرض، منذ نهاية الحرب الباردة، وعلى نحو متزامن، لجملة من الديناميات المعقدة والشاملة، حيث ما عاد النظام المتمركز حول الدولة راسخًا كما كان عليه طوال ما يزيد على القرون الثلاثة التي تلت معاهدة وستفاليا؛ إذ بفضل التغيرات العميقة التي حلّت بقدرات الأفراد (المقياس الجزئي)، فضلًا عن الأزمات التي حلّت بأنماط السلطة على مختلف المستويات (المقياس الكلي-الجزئي)، فقد تعرّض هذا النظام إلى شكل من أشكال التشعب[25] bifurcation إلى نظامين يتعايشان ويتزامنان معًا: نظامٌ متمركزٌ حول الدولة، ونظامٌ متعددُ المراكز (الشكل). وبذلك، يستنتج روزنو أن العالم بات يعرف أول مرحلة اضطراب حادة منذ معاهدة وستفاليا[26].

مع أن تشعب نظام السياسة العالمية، على هذا النحو، لم يدفع الدول إلى حافة الساحة العالمية، فإنها ما عادت الفاعل الرئيس الوحيد؛ فهي لا تزال تشكل تحالفات وتكتلات تجعل بنية النظام شبيهة بالبنى الثنائية، أو المتعددة الأقطاب التي سادت في الماضي، لكنها صارت اليوم تواجه أيضًا تحديًا جديدًا، يتمثل في التعامل مع منافسين مغايرين من عالم آخر، إضافة إلى التحديات التي يفرضها نظراؤها في عالمها التقليدي[27]. وهذا ما يؤكد فرضية التعايش بين النظامين

22 Rosenau & Durfee, p. 49.

23 Ibid., pp. 51-60.

لقد طور روزنو هذه المقاييس في كتابه المرجعي عن الاضطراب في السياسة العالمية الصادر في عام 1990. ينظر: Rosenau, *Turbulence in World Politics*.

على الرغم من أن الكتاب الذي نحيل إليه هنا من حين إلى آخر نشره رفقة ماري دورفي، فإنهما يشيران في البداية إلى أن بعض فصوله هو مراجعةٌ وتطوير لفصول نشرها روزنو سابقًا في كتابه الصادر في عام 1990. إضافة إلى ذلك، فإن الكتاب المشترك الذي صدر في عام 2000 هو في الأصل تطوير للإسهامات النظرية التي قدّمها روزنو وحده في منشورات سابقة. بناء على ذلك، اكتفينا بذكر اسم روزنو (وليس في ذلك أي إنكار لجهد دورفي في الكتاب).

24 Rosenau & Durfee, pp. 50-51.

25 لغويًا، التشعب هو التفرع إلى حالتين أو أكثر؛ وهو مفهوم راسخ في أدبيات نظرية التعقد، حيث يصف كيف يكون النظام المعقد والشواشي لاخطيًا وبعيدًا عن التوازن والاستقرار، بسبب تعرّضه المستمر لعوامل الاضطراب الكامنة في ديناميّاته الداخلية من ناحية، وفي بيئته الخارجية من ناحية أخرى. وتستمر هذه العوامل في الضغط على النظام حتى يبلغ نقطة معينة تسمى نقطة تشعب النظام، حيث يتشعب إما إلى نسخة جديدة من النظام نفسه (عبر آليات التنظيم الذاتي والتماثل الذاتي الكامنة في النظام نفسه)، وإما يتفكك فاسحًا المجال لانبثاق نظام جديد تمامًا. ولا شك في أن النظام الدولي يُعدّ نموذجًا لهذا النوع من الأنظمة المعقدة. ينظر: حمشي، **مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية**، ص 118-121؛ محمد حمشي، "نظرية التعقد في العلاقات الدولية: النظام الدولي كنظام معقد وشواشي السلوك"، **المستقبل العربي**، العدد 484 (حزيران/ يونيو 2019)، ص 108-123.

26 Rosenau & Durfee, pp. 51, 57.

27 Ibid., p. 60.

شكل يوضح السياسة ما بعد الدولية: التعايش بيـن نظام متمركز حول الدول ونظام متعدد الـمراكز



المصدر: أُعِدَّ هذا الشكل استنادًا إلى:

James N. Rosenau, *Turbulence in World Politics: A Theory of Change and Continuity* (Princeton: Princeton University Press, 1990), p. 250; James Rosenau & Mary Durfee, *Thinking Theory Thoroughly: Coherent Approaches to an Incoherent World* (Boulder, CO: Westview Press, 2000), p. 58.

المتمركز حول الدول والمتعدد المراكز، أي إن النظام المتعدد المراكز لا يحلُّ محلَّ النظام المتمركز حول الدول بأي حال من الأحوال؛ وهذا ما يسوغ أيضًا تسمية السياسة الدولية عند هذه الحقبة من الاضطراب سياسة ما بعد دولية، فهي تتجاوز مركزية الدولة، لكنها لا تنفي دورها في الوقت نفسه.

تتميـز ديناميات الاضطراب بالتفاعل والتـزامن والتعايش بيـن نزعتيـن تبدوان أول وهلة متعارضتيـن، وتلغي إحداهما الأخرى، نزع الطابع الـمركزي decentralizing من جهة وإضفاؤه centralizing من جهة أخرى؛ إضفاء الطابع الـمحلي localizing من ناحية، وإضفاء الطابع العالـمي globalizing من ناحية أخرى؛ التفكُّك fragmenting من جهة، والاندماج integration من جهة أخرى[28].

> مع أن تشـعـب نظـام السياسـة العالمية، لم يدفع الدول إلى حافة الساحة العالمية، فإنها ما عادت الفاعل الرئيس الوحيد؛ فهي لا تزال تشكل تحالفات وتكتـلات تجعل بنية النظام شـبيهة بالبنى الثنائية، أو المتعددة الأقطاب التي سادت في الماضـي، لكنها صارت اليـوم تواجه أيضًا تحديًا جديـدًا، يتمثل في التعامل مع منافسـين مغايرين من عالم آخر، إضافة إلى التحديات التي يفرضها نظراؤها في عالمها التقليدي

28 Ibid., p. 51.

وقد سكّ روزنو مصطلحات وظيفية، من قبيل glocalization وfragmegration، لوصف التـزامن والتعايش بيـن النـزعتين[29]. فعلًا، من دون هذا البردايم يصير من غيـر الممكن فهم التـزامن التاريخي، على سبيل المثال، بيـن تفكك (بعض) جمهوريات أوروبا الشرقية على نفسها مع نهاية الحرب الباردة، واندماج (بعض) دول أوروبا الغربية بعضها مع بعض - فـي إطار الاتحاد الأوروبي - مع نهاية الحرب الباردة كذلك، وعلى نحو غير متوقع البتّة فـي كلتا الحالتين.

فضلًا عمّا سبق، يحدد روزنو مجموعة من العوامل السببية بوصفها مصادرَ للاضطراب فـي السياسة العالمية، هي في الوقت نفسه مصادر للتعقّد فـي السياسة ما بعد الدولية. ويميـز بيـن نوعيـن من المصادر، داخلية الـمنشأ، تأتي من العمليات السياسية فـي حد ذاتها، وخارجية الـمنشأ، تأتي من العمليات الديموغرافـية، التكنولوجية، الاقتصادية والثقافـية[30]. نعرض في ما يلي مظاهر الاضطراب التي ينتجها الانتشار المستمر والمتنامي للفاعلين بوصفها خاصية جوهرية للسياسة ما بعد الدولية. على أن الاستنتاج الذي يمكن المرء الخروج به لا ينبغي له أن يقفز على مقولة روزنو، نفسه، أن النظام المتعدد الـمراكز لا يحلّ محلّ النظام الـمتمركز حول الدولة، لكنهما يـتـزامنان ويتعايشان.

1- التـزايد الـمستمر فـي عدد الأفراد[31]

يعتبـر "الانفجار الديموغرافـي" الـمستمر فـي العالم مصدرًا لعدد متـزايد من الديناميات والتعقيدات التي تخضع لها السياسة ما بعد الدولية؛ إذ يمكن الحديث عن الديناميات التالية: أولًا، الضغط المتـزايد المتوقع على جهود التنمية؛ ثانيًا، مشكلة "الارتفاع العنيد" فـي عدد السكان الـمسنّيـن وما له من آثار في أعباء الضرائب وتوفيـر الرعاية الصحية وغيـرها من الخدمات الاجتماعية، فضلًا عن تقويض القوة العاملة التي يستند إليها الاقتصاد العالـمي الراهن؛ ثالثًا، الضغط المتـزايد على موارد الطاقة وعلى مختلف الموارد الطبيعية الحيوية، مثل الـمياه النظيفة والغذاء الصحي وفضاءات الحياة غيـر الـملوثة، أو على الأقل متدنية التلوث؛ رابعًا، تفاقم المشكلات الناجمة عن الهجرة، ما دامت أسبابها قائمة وتتفاقم؛ خامسًا، تزايد عدد الـمدن العظمى والتحديات الشاقة التي تطرحها إدارتها، فضلًا عن تفاقم مشكلة انعدام التوازن في التوزيع العالمي للسكان بيـن المناطق الحضرية والريفـية، وفضلًا أيضًا عن تزايد الأحياء العشوائية الفقيـرة التي تنمو على أطراف الـمدن، وهي مصدر للقلق الـمتواصل بشأن مختلف التهديدات الاجتماعية والأمنية، الـمحلية والعابرة للحدود، القادمة منها؛ سادسًا، يرتبط الـتـزايدُ المستمر المتوقَّع لعدد سكان العالم بالتطور الـمستمر فـي تكنولوجيات الإعلام والاتصال والحواسيب الجديدة التي تعزّز باستمرار قدرة الأفراد والجماعات على التنظيم والتأثير، فضلًا عن الانخفاض المستمر كذلك فـي أسعار الحواسيب والأجهزة الذكية، وأسعار أجهزة تخزين الـمعطيات عالية القدرة. من الـمتوقع أن يتـرافق ارتفاع عدد السكان فـي العالم مع تحسن معدلات استخدام الحواسيب والهواتف الذكية الموصولة بشبكة الإنتـرنت، سواء تعلّق الأمر بنسب المستخدميـن أو بنوعية الاستخدام. لكن ينبغي الانتباه إلى أن مثل هذا التطور لن يسمح بتحسيـن ظروف الحياة وتعزيز أدوات مكافحة الفساد وتكريس الشفافـية فحسب، لكنه سيسمح أيضًا بتوسُّع الشبكات اللاشرعية العابرة للحدود العاملة فـي مجالات الجريمة والإرهاب وأعمال الاتجار بالبشر والـمخدرات والأسلحة.

2- الانتشار المتزايد للفاعلين غيـر الدول[32]

الفاعلون غير الـدول nonstate actors هم فاعلون لا يمثلون الدول، ولا يمتثلون لها، حيث يجرّدهم الشق الأول في التعريف من البعد السيادي، في حين يضفـي عليهم الشق الثاني بُعد الاستقلالية (النسبية) عن الدول، سواء من حيث التمويل أو من حيث الرقابة والضبط. لكن الأهم بالنسبة إلى مفهوم السياسة ما بعد الدولية هو أن هؤلاء الفاعلين غالبًا ما ينخرطون ويتفاعلون ضمن شبكات عابرة للحدود، ما ينتج تأثيـرًا متفاوت الحدّة في العلاقات بين الدول و/ أو في العمليات السياسية ضمن دولة واحدة، أو دول عدة، أو ضمن الـمؤسسات الدولية، سواء حدث هذا التأثيـر على نحو مقصود أو عرَضي، أي كعرَض من أعراض النشاط الذي يمارسه الفاعلون.

---

29 تبدو لنا هذه المصطلحات عصيّة على النقل إلـى اللغة العربية، وتبقى جزءًا من العدة المفهومية التي تعوّل عليها أدبيات علم التعقّد في وصف ظاهرتَي التزامن والتراكب هذه. ولْنتأمل مصطلحات أخرى عديدة مشابهة، مثل coopetition الذي يؤلّف بيـن مصطلحي التعاون cooperation والتنافس competition، وcaoplexity الذي يؤلف بيـن مصطلحَي الشواش chaos والتعقد complexity. غير أن المصطلح الأبرز الذي شدد عليه روزنو في هذا السياق هو fragmegration الذي يؤلف بين التفكُّك fragmenting من جهة والاندماج integration من جهة أخرى. وهو تقريبًا مرادفٌ للتوليف الذي اقترحه يال فيرغسون وريتشارد مانشباخ بين الانصهار fussion والانشطار fission. ينظر:

30 Ferguson & Mansbach, p. 2.
Rosenau & Durfee, p. 61.

31 للمزيد، ينظر: حمشي، **مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية**، ص 164-173.

32 المرجع نفسه، ص 164-173. نظرًا إلى حدود هذه الدراسة، لن نغطي هنا شبكات وشركات السياسة العالمية أو الحوكمة العالمية التي تُعدّ جزءًا أساسيًا من هذا النقاش. وللاطلاع على المزيد عنها، ينظر: خيّر وحمشي، ص 3-9.

أ- المنظمات غير الحكومية

عرف عدد المنظمات غير الحكومية ومجالاتُ نشاطها نموًّا متسارعًا بفعل عوامل عدة، أبرزها: التقدم المتسارع في تكنولوجيات الإعلام والاتصال والنقل، والنمو المتسارع للاقتصاد العالمي، حيث يمكن ملاحظة وجود تناسب طردي بين زيادة مستويات عولمة الاقتصاد الدولي وزيادة عدد هذه المنظمات وأنواعها، والتغيُّر المتسارع في البنية الديموغرافية للعالم (نمو المناطق الحضرية) وما يرافقه من تغيُّر في طبيعة الوعي العالمي بجدية المخاطر والتحديات المشتركة التي تتطلب فعلًا عالميًا مشتركًا، وصعودُ الاهتمام العالمي بقضايا التحول الديمقراطي والسلام العالمي والبيئة وحقوق الإنسان وتحوّلها إلى قضايا سياسية عابرة للقوميات، فضلًا عن تطوّر أرضية قانونية ومعيارية غير مسبوقة بشأن تلك القضايا. لذلك، يمكن المجادلة بأن الاطّراد في انتشار المنظمات غير الحكومية سيبقى مرتبطًا بالاطراد في زيادة حجم تدفق المعلومات وقدرة الأشخاص على التنقل والتواصل عبر الحدود، وهو ما يجعل عمليات المنظمات غير الحكومية العابرة للحدود وتحالفاتها أسهل وأقل تكلفة. وسيبقى هذا الاطّراد مرتبطًا باستمرار ظهور وتعقّد المشكلات والقضايا العالمية المشتركة/ العابرة للحدود التي "تثقل كاهل قدرات الترتيبات المؤسساتية بين الدول"، لأن ظهور هذه المنظمات يأتي في الأساس استجابة للمشكلات الناجمة عن اتّساع عمليات العولمة وتعمّقها[33]. تستمر المنظمات غير الحكومية في كونها مظهرًا واضحًا للتشتت المتزايد في السلطة العالمية بعيدًا عن الدولة، وهو ما يؤكد فرضية العالَمين - عالمٌ متمركز حول الدولة وعالمٌ متعدد المراكز - التي اقترحها روزنو. ما عادت السلطة العالمية تتركز في أيدي حكومات الدول والشركات المتعددة الجنسيات، لكنها باتت متعددة المراكز وتنتشر على نحوٍ أفقي (غير هرمي) بين الأفراد والمنظمات غير الرسمية، بفضل التمكين غير المسبوق الذي صاروا يحظون به من خلال الاستغلال المكثف لتكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة. كما صارت تنتقل إلى المستويات الرسمية الأدنى من الحكومات المركزية، بما في ذلك المدن[34].

ب- الشركات المتعددة الجنسيات

تهيمن هذه الشركات على ما يربو على تسعة أعشار حجم الاستثمارات الأجنبية المباشرة عبر العالم، ما يعني قدرة هائلة على ممارسة الضغط والتأثير في السياسة العالمية. كما تتحكم في ما يزيد على ثلثي حجم التجارة العالمية، ما يجعلها تهيمن بوضوح على النظام التجاري العالمي الذي ما عاد دوليًا في جوهره. أبعد من ذلك، تكرّس الشركات المتعددة الجنسيات اعتمادًا متبادلًا اقتصاديًا عابرًا للحدود، يتجاوز مجالَي المالية والتجارة العالمية، ليشمل مختلف مجالات الإنتاج. وتحوّلت الشركات المتعددة الجنسيات، بفضل اتّساع عملياتها واتّساع الفضاءات المكانية التي تمتد عليها، إلى فاعلين "إمبرياليين" بحكم الواقع، بل من الناحية الجغرافية أكثر "إمبريالية" من أي إمبراطورية سبق لها أن وجُدت في التاريخ، على حد تعبير روبرت غيلبين Robert Gilpin[35]. يتجاوز تأثير هذه الشركات البعدَ الاقتصادي ليصل إلى البعد السياسي، حيث في إمكانها أن تموّل الحملات الانتخابية، أو أن تدفع بأحزاب أو شخصيات سياسية معيّنة إلى سدة الحكم، في مقابل استجابتها لاحقًا لمطالبها، إضافة إلى رعاية جماعات ضغط تابعة لها تضغط بطريقة روتينية على المؤسسات التشريعية والتنفيذية، على حدّ سواء، لمصالح سياسات عامة معيّنة، أو ضد أخرى، هذا فضلًا عن لجوئها إلى القنوات غير الشرعية بمختلف أشكالها، مثل تقديم الرشاوى وتكريس الفساد السياسي والإداري. وإذا كانت الشركات المتعددة الجنسيات قد باتت تمارس سلطة موازية، على نحو متزايد، لسلطة الحكومات، كما لاحظت سوزان سترينج[36]، فإن النفوذ السياسي الناجم عن هذه السلطة لم يقتصر يومًا على الدول الضعيفة، بل يشمل أيضًا الدول القوية، وإن على نحو متفاوت.

ج- الشبكات غير الشرعية

تشمل هذه الشبكاتُ الجماعاتِ الإرهابيةَ وجماعاتِ الجريمة المنظمة العابرة للحدود بأشكالها المختلفة[37]. وتمثل شبكات أكثر مما تمثّل فاعلين مستقل بعضُهم عن بعض، وذلك بسبب الاعتماد المتبادل المتزايد بينهم، حيث تترابط نشاطات وموارد هذه الجماعات القادرة على عبور الحدود وتتداخل، سواء كانت تعمل في مجالات الجريمة والإرهاب والاتجار بالبشر والمخدرات، و/ أو الأسلحة. وكما لاحظت آنيت لومان،

33 David Brown et *al.*, "Globalization, NGOs, and Mulitsectoral Relations," in: Joseph S. Nye Jr. & John D. Donahue (eds.), *Governance in a Globalizing World* (USA: Brookings Institution Press, 2000), pp. 280-281.

34 Ibid., p. 26.

35 روبرت غيلبين، **الاقتصاد السياسي للعلاقات الدولية**، ترجمة مركز الخليج للأبحاث (دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2004)، ص 288.

36 مقتبس في:
Sean McFate, "Durable Disorder: The Return of Private Armies and the Emergence of Neomedievalism," a PhD. dissertation, London School of Economics and Political Science, 2011, p. 139.

37 هذه الشبكات غير شرعية، لأنها من ناحية تتحدى وتنتهك القوانين والمعايير، ومن ناحية أخرى غالبًا ما تستعمل العنف لتحقيق أهدافها.

باتت الحدود الفاصلة بين الجريمة المنظمة والإرهاب، وعلى نحو متزايد، غير واضحة[38]. والواقع أن هذه الشبكات لا تنفك تكسب المزيد من المساحة والقوة بسبب التزايد في حدّة افتقار أقاليم واسعة من العالم إلى الحكم ungovernable، حيث تتعاظم قدرتها على عبور الحدود، وعلى الفعل ما وراء الحدود في منحًى عكسي مع تزايد عدم قدرة الدول على مراقبة مختلف التدفقات وضبطها، داخل وعبر الحدود التي تفصل بعضها عن بعض. ولا يمثل تزايد حجم التهديدات والتحديات، التي تفرضها التنظيمات/ الشبكات الإرهابية، عاملًا من عوامل الاضطراب في السياسة ما بعد الدولية فحسب. العلاقة بين المتغيرين معقدة جدًا، ولا تظهر في اتجاه واحد. فالإرهاب العابر للحدود لا يؤدي إلى زيادة الاضطراب فحسب، بل تُعَدُّ زيادة الاضطراب بدورها عاملًا من عوامل انبثاق تنظيمات إرهابية جديدة و/ أو تشعّب تنظيمات جديدة عن تنظيمات قائمة أصلًا. يسلك الفاعلون غير الشرعيين سلوك الشبكات المعقدة، فهم في نهاية المطاف ليسوا فاعلين مستقلًا بعضُهم عن بعض؛ ولا يعني ذلك الاهتمام ببعدها العابر للحدود فحسب بل يعني أيضًا الاهتمام بخاصية التعقّد الملازمة لها. فهي هجينة، ومتشعبة/ قابلة للتشعّب، ولا تخلو من خاصية الانبثاق والقدرة على التكيّف وتوظيف الفرص والتسهيلات والإمكانات نفسها التي يوظّفها الفاعلون الشرعيون، والقدرة في الوقت نفسه على استغلال ما لا تشمله آليات الضبط والحوكمة المحلية و/ أو العالمية. من ناحية أخرى، لا بد من تأكيد الاطراد في التناسب بين زيادة الاضطراب في السياسة ما بعد الدولية، وزيادة الحدة في خاصية التعقد التي تميّز فاعلي الشبكات غير الشرعية. يمكن المرء التفكير في تزايد أنماط الهجرة، أو استمرار التطور النوعي في تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة وتزايد قدرة الأفراد والجماعات على الوصول إليها واستعمالها في تعزيز قدرتها على التنظيم والتأثير، مثلما يمكن التفكير في نمو المناطق الحضرية العشوائية، وغيرها من العوامل التي ستبقى تساهم في اطراد التوسع في هذه الشبكات.

3- الاضطراب المتزايد في بنية النظام السياسي الدولي[39]

غداة نهاية الحرب العالمية الثانية، كان عدد الدول ذات السيادة لا يتجاوز 74 دولة (51 منها أعضاء في الأمم المتحدة)، الآن، وبعد استقلال جنوب السودان، صار عددها 193 دولة، مع وجود دول/ أقاليم عدة لا تحظى باعتراف دولي كامل[40]، بمعنى أن هناك على الأقل دولة واحدة لا تعترف باستقلالها. فضلًا عن ذلك، وتحت وطأة الحدود الإقليمية ما بين الدول ذات السيادة، تعجّ جغرافيا العالم بإثنيات لا تحظى بكيانات سياسية خاصة بها (تعدُّ نفسها أممًا من دون دول)، بعضُها مشتت بين حدود دولتين أو عدة دول[41]، ويصل عدد أفراد بعضها إلى عشرات الملايين، مع أن نصف عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة تقريبًا لا يتجاوز عدد سكانه عدة ملايين من الأشخاص. ومن شأن هذه المضامين المرتبطة بدور الدول باعتبارها وحدات مكوّنة للنظام السياسي الدولي، أن تستمر في الضغط على الاستقرار السياسي للنظام الدولي، المنكشفِ أصلًا أمام مصادر الاضطراب الأخرى. على هذا النحو، باتت الدولة في حد ذاتها، على الأقل منذ نهاية الحرب الباردة، مصدرًا للاضطراب في البنية السياسية للنظام الدولي، وما عادت تمثل وحدته الناظمة والضابطة كما كان - ولا يزال - يُعتقد منذ معاهدة وستفاليا.

في نهاية سبعينيات القرن الماضي، جادل هادلي بول (1932-1985)، استنادًا إلى تأملات سابقة تعود إلى أرنولد وولفرز (1882-1968)[42]، بأنّ العالم قد يلج حقبة جديدة من العصور الوسطى، بسبب انتشار مظاهرَ متعددة للعنف، ما عادت الدولة قادرة على ضبطها[43]. غير أن هذه الأطروحة لم تحظ بالاهتمام الكافي حينها، لأن الدولة الوستفالية بدت متماسكة خلال فترة الحرب الباردة، وقادرة نسبيًا على تحقيق الوعود المنتظرة منها. فضلًا عن ذلك، ناقش بول نفسُه خمسة معايير لاختبار إمكان أن يكون العالم فعلًا يعرف عصرًا وسيطًا جديدًا[44]: الاندماج الإقليمي للدول (وينبغي أن ننتبه إلى أن بول لم يعاين شيئًا لا ممَّا آل إليه الاندماج الإقليمي في أوروبا بعد نهاية الحرب الباردة، ولا من الإقليميات الجديدة new regionalisms التي اجتاحت العالم بعدها بسنوات)، وتفكك الدول (والملاحظة نفسُها تسري على ما حدث في أثر انهيار الاتحاد السوفياتي وما انبثق

38 Annette Lohmann, *Who Owns the Sahara?* (Abuja, Nigeria: Friedrich-Ebert-Stiftung, 2011), p. 5.

39 حمشي، **مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية**، ص 203-211.

40 تشمل الدول: تايوان، وإسرائيل، وكوسوفو، وفلسطين، وأرمينيا، بينما تشمل الأقاليم: قبرص الشمالية، وناغورنو كاراباخ، وأبخازيا، وأوسيتيا الجنوبية، وترانسنيستريا، وغرينلاند، والصحراء الغربية، وأرض الصومال.

41 التاميل بين الهند وسريلانكا وماليزيا وسنغافورة، والكرد بين العراق وسورية وتركيا وإيران، واليوروبيين بين نيجيريا وبنين وتوغو وسيراليون، والبلوشستان بين باكستان وأفغانستان وإيران، والسيخ بين الهند وباكستان، والكشمير بين الهند وباكستان والصين. في خصوص ظاهرة الأمم التي لا تحظى بدول، ينظر:

James Minahan, *Nations without States* (Westport, CT: Greenwood Publishing, 1996).

42 Wolfers, p. 242.

43 Bull, p. 254.

44 Ibid., pp. 254-266.

منه من دول ربما ما كان عددها ليخطر على بال بول)، وعودة العنف الدولي الخاص (أي الذي يمارسه فاعلون خواص غير الدول، وقد كانت الشركات الأمنية الخاصة والمرتزقة الجدد لمّا تظهر على الساحة على عهد بول)، وانتشار المنظمات عبر الوطنية، وتوحيد التكنولوجيا للعالم (وهذه أيضًا لم يشهد منها بول غير النزر اليسير).

خلص بول إلى نتيجة مفادها أن فترة السبعينيات شهدت بعض هذه الاتجاهات الكبرى، لكنها ما كانت كافية للجزم بأن تلك الفترة شهدت حقًّا انتقالًا نحو عصر وسيط جديد[45]. كان وولفرز بدوره وعلى غرار بول، مؤمنًا بفكرة أن النظام الدولي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كان لا يزال نظامًا وستفاليًا، مختلفًا عن نظام العصور الوسطى، لأن الدولة الوستفالية كانت لا تزال تمسك بزمام السياسة الدولية آنذاك، غير أنه توقع أن من شأن حركة تصفية الاستعمار وتزايد عدد دول العالم الثالث أن يدفع نحو اضطراب النظام الوستفالي القائم. وجادل على نحو مثير للاهتمام بأنّ الأجيال القادمة (بالنسبة إلى المرحلة التي كان يكتب فيها) ستجد أن من شأن المستقبل أن يشبه الماضي أكثر مما يشبه الحاضر، وأن الحدود الفاصلة بين السياسة الداخلية والخارجية، ستغدو أقلّ وضوحًا مما بدت عليه حينها[46]، ما يؤدي إلى التحوّل نحو عصر وسيط جديد.

قبل أن نمضي قدمًا في فحص مفهوم العصر الوسيط الجديد، دعونا نُلْق قليلًا من الضوء على الكيفية التي تعكس بها حالة التعايش بين النظامين تصوّر روزنو للنقاش الذي ينبغي أن يجمع، من الناحية الأولى، براديم السياسة ما بعد الدولية، ومن الناحية الثانية البراديمَين السائدين مع نهاية ثمانينيات القرن العشرين وبداية تسعينياته، أي الواقعية والليبرالية. يؤكد روزنو أن البراديم الأول لا ينفي الآخرين، ولا يدّعي الحلول محلّهما. يفترض روزنو أنّ فهم السياسة الدولية يعتمد اعتمادًا كبيرًا على البراديم الذي نستخدمه لتأويل مسار الأحداث؛ فالحقائق، في رأيه، "لا تتحدث عن نفسها، والشؤون العالمية ليست بدهية، وما نعرفه يعتمد على كيفية تنظيم الأحداث واتجاهاتها التي نقدّر أنها مهمة" في تأويلاتنا[47]. وحين يقارن بين البراديمات الثلاثة (ينظر الجدول (1)[48])، فهو لا يبتغي تحديد أيّها أفضلُ، أو أيها على صواب، إنما يفعل ذلك ليبيّن التشابه والاختلاف بينها، وليثبت أن المسألة تتعلق بالمعاني والمضامين المتعددة التي قد يضفيها ملاحظون مختلفون على الأحداث نفسها. حسبُه أن يبيّن كيف أن النظرية المبنية على استمرارية النظام الدولي (أو المتمركز حول الدول) الفوضوي (الواقعية) تعطي صورة مختلفة عن تلك المبنية على رصد التحولات التي أذكتها الأسواق المفتوحة، أو الحريات الفردية، أو التعاون بين الدول (الليبرالية)، ومختلفة تمامًا عن تلك المبنية على سبر التغيرات الناتجة من توسع مهارات الأفراد وقدراتهم وتعاظم الاستعداد لدى الأفراد والجماعات لتحدي مراكز السلطة التقليدية في النظام الدولي (الاضطراب أو السياسة ما بعد الدولية)[49]. من الناحية النظرية، ولمّا يتعلق الأمر بفهم السياسة ما بعد الدولية، تتعايش البراديمات الثلاثة تمامًا، كما يتعايش النظام المتمركز حول الدول والنظام المتعدد المراكز.

ثانيًا: السياسة ما بعد الدولية: عصر وسيط جديد؟

بعد عشرين عامًا من صدور كتاب بول، **المجتمع الفوضى**[50]، أعادت آن ماري سلوتر بعث أطروحة العصر الوسيط الجديد في دراسة لها على صفحات مجلة **السياسة الخارجية**[51]، مجادِلة بأنّ العالم يلج مرة أخرى حقبة جديدة من العصور الوسطى، بفعل فقدان الدولة القدرةَ على ضبط العولمة الاقتصادية، ومحاجّة كذلك بأن نموذج العصر الوسيط الجديد يقدم بديلًا تحليليًا لنموذج النظام الدولي الليبرالي، المتمركز حول الدول والمؤسسات الدولية. في هذا الصدد، أحالت سلوتر على نحو أساسي إلى دراسة أخرى نشرتها جيسيكا ماثيوز في وقت سابق[52]، ناقشت فيها كيف تتحوّل السلطة باستمرار من مركز النظام الدولي (الدولة) عالميًّا نحو الأعلى، ومحليًّا نحو الأسفل، وعلى نحو عشوائي نحوَ مختلف الفاعلين غير الدول، بعضُها - لمّا يتعلق الأمر بالفاعلين المحليين ذوي المطالب الهوياتية مثلًا - يذهب إلى حد منازعة الدولة خاصيتَي الشرعية والولاء.

45 Ibid.

46 مقتبس في: McFate, pp. 34-35.

47 Rosenau & Durfee, p. 76.

48 عن مضمون هذه المقارنة وتفصيلات ما ورد في الجدول (1)، ينظر:
Ibid., pp. 76-93.
وللتوسع بشأن منزلة براديم السياسة ما بعد الدولية بين نظريات العلاقات الدولية، يمكن الاطلاع أيضًا على:
Ferguson, & Mansbach, "Post-internationalism and IR Theory," pp. 529-549.

49 Rosenau & Durfee, p. 7.

50 Bull.
لن نركز هنا على بول، على الرغم من أن كتابه يبقى من المراجع الكلاسيكية المهمة عن المفهوم، وفي حقل العلاقات الدولية على العموم. بسبب حدود مساحة الدراسة، ولأن كتاب بول صدر مع نهاية سبعينيات القرن العشرين، ووافته المنيّة في منتصف الثمانينيات (أي إنه لم يقف على التحولات والتعقيدات العميقة التي شهدتها السياسة الدولية بعد نهاية الحرب الباردة)، فإننا نحيل أيضًا إلى الأدبيات الأحدث.

51 Anne-Marie Slaughter, "The Real New World Order," *Foreign Affairs*, vol. 76, no. 5 (1997).

52 Jessica Mathews, "Power Shift," *Foreign Affairs*, vol. 76, no. 1 (1997).

الجدول (1)

مقارنة بين براديمات الواقعية والليبرالية والسياسة ما بعد الدولية

	الواقعية	الليبرالية	السياسة ما بعد الدولية
عدد الافتراضات	معدودات	معدودات	متعددة
مدى تعقد البرادايم	متدني التعقد	متدني التعقد	عالي التعقد
وحدات اختبار الفرضيات	الأحداث	القضايا/ المشكلات	سلاسل من الأحداث المتعاقبة
البنى العالمية	نظام دولي فوضوي	مؤسسات منوعة	بنية متشعّبة إلى نظام متمركز على الدول ونظام متعدد المراكز
سيادة الدولة	مستقرة	متآكلة	متآكلة
بنية الدولة	فاعل موحد	متعددة	متشظّية
دور بنية المجتمع	غير مهم	محوري	محوري
دور الأفراد	غير مهم	محدود	محوري
مصادر القلق لدى الجماعات	معضلة الأمن	معضلة السلطة	معضلة الاستقلالية
اتجاه التنافس	المكاسب النسبية	المكاسب المطلقة	المكاسب المطلقة
الحدود بين الداخلي والخارجي	صلبة وراسخة	سهلة الاختراق	سهلة الاختراق
التكنولوجيا ووسائل الاتصال	تسهل سيطرة الدولة	تميّز الولوج إلى بنى الدولة	تقليص سيطرة الدولة
التحالفات المتشكلة	الأحلاف	الجماعات ذات المصالح المتقاطعة	تجمعات فضفاضة من الفاعلين
إدارة الدول للاقتصاد	الحكومات تتعاون ضمن اجتماعات القمم	الحكومات مقيدة بأدوار المنظمات غير الحكومية	تعاون/ صراع بين فاعلي النظامين المتمركز حول الدول ومتعدد المراكز
دور الدولة في حماية الفرد من العولمة	ممارسة الضبط والرقابة على حركة التجارة والأموال لحماية الوظائف	ليس أمامها سوى الاستفادة من ديناميات الأسواق الحرة	على الدولة توفير شبكات الحماية وحماية أولئك الذين يعانون مع توسع نطاق العولمة
الحساسية للتغير	متدنية	معتدلة	عالية

المصدر: أُعِدَّ الجدول (1) استنادًا إلى:

James Rosenau & Mary Durfee, *Thinking Theory Thoroughly: Coherent Approaches to an Incoherent World* (Boulder, CO: Westview Press, 2000), p. 78.

من ناحية أخرى، حاجَّ سين ماكفايت بأن العالم يزداد تقهقرًا نحو عصر وسيط جديد، بتزايد عدم قدرة الدولة على احتكار ممارسة العنف (في تعريف ماكس فيبر الكلاسيكي للدولة)، وذلك تحت وطأة التأثير المتنامي الذي صارت تخلّفه الجيوش (أو الشركات الأمنية) الخاصة التي تعتبر مثيلًا معاصرًا للجيوش المرتزقة التي ميّزت العصر الوسيط الأول؛ ما يعني، في نهاية المطاف، تقهقر النظام السياسي الدولي نحو حقبة ما قبل وستفاليا. لكنها في الوقت نفسه تبدي خصائص جديدة، من شأنها أن تسوّغ أطروحة العصر الوسيط الجديد، فتعاظم دورها لا يرتبط بتراجع دور الدولة فحسب، بل يرتبط أيضًا بتعاظم أدوار المنظمات الدولية، الحكومية وغير الحكومية، فضلًا عن الشركات المتعددة الجنسيات، بفضل تزايد الطلب على خدماتها في مجال الحماية والتأمين. وبوصفها شركات متعددةَ الجنسيات في حدّ ذاتها، تُعَدّ الشركاتُ الأمنية الخاصة مظهرًا جوهريًا من مظاهر العصر الوسيط الجديد، لأنها لا تدين بالولاء لأي دولة، بما في ذلك الدول المضيفة لها، فما بالك بالدول المتعاقدة معها، تمامًا كما كانت عليه حال شركة الهند الشرقية البريطانية (أُسّست في عام 1600)، أو شركة الهند الشرقية الهولندية (أُسّست في عام 1602)، فالولاء الوحيد الذي تدين به هذه الشركات هو الولاء لحاملي أسهمها، سواء أكانوا جماعات ضغط منظمة، أم أفرادًا همُّهم الوحيد الربح[53].

53 McFate, p. 131.

تقوّض ديناميات العصر الوسيط الجديد النظامَ الوستفالي عبر ثلاثة مسارات أساسية: أولًا، إعادة صوغ الإقليمي اعتمادًا على معايير متداخلة تجمع بين المكوّنات العرقية والدينية والثقافية. فقد شهدت الخريطة السياسية للعالم اضطرابًا شديدًا منذ نهاية الحرب الباردة، حيث تطورت حركاتٌ انفصالية تسعى لتأسيس دول جديدة، وأخرى إلحاقية irredentist تدعو إلى ضم أقاليم تزعم أحقية تاريخية فيها، وأخرى اندماجية على مستوى إقليمي، ما يؤكد تراجع الثقة بقدرة النظام الوستفالي على تأمين تطلّعات الأفراد والجماعات؛ ثانيًا، بروز تحديات تواجه النظام المتمركز حول الدول، القائم على احتكار الدولة لصفة الفاعلية agency في السياسة الدولية، حيث صار الفاعلون غير الدول ينافسون الدولة خاصيتَي الشرعية والولاء اللتيْن كانتا حكرًا عليها؛ ثالثًا، انتشار مظاهر ما قبل حداثية في نظام يقدم نفسه على أنه نظامٌ حداثي بامتياز، مثل التعصب القبلي والتطهير العرقي والإبادات الجماعية والتطرف الديني.

إضافة إلى ذلك، يتقوض النظام الوستفالي، بحسب برتراند بادي، تحت تأثير خطابين متعارضين: الأول هو خطاب العولمة الذي يدعو إلى التخلّي عن الدولة، لأنها فقدت القدرة على أداء دورها التقليدي في ظل التحولات التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية التي أضحت تفرضها العولمة؛ والثاني هو خطاب التفكك الذي يدعو بدوره إلى التخلّي عن الدولة لأنها ما عادت قادرة على تلبية تطلّعات مواطنيها الذين صاروا أكثر التفافًا حول مرجعيات محلية تقليدية، مثل التشكيلات القبلية والطائفية والعرقية، ظنًا منهم أنها كفيلة بتحقيق مواطنة فعلية، لا مجرد مواطنة بلاغية[54].

غير أن التعارض بين الخطابين لا ينفي وجود تداخل وتراكب بين النزعتين. وهنا تلتقي هذه الأطروحة مع رؤية روزنو التي طرقها المبحث السابق. بحسب أنصار أطروحة العصر الوسيط الجديد، لا تختلف هذه الحالة جوهريًا عن التداخل الذي ساد في أثناء العصر الوسيط الأول بين النزعة الإمبريالية، ممثلةً دينيًا في الكنيسة وسياسيًا واقتصاديًا في الإمبراطوريات[55]، والممالك التوسعية من ناحية، والنزعة الإقطاعية المحلية، ممثلةً في الإمارات والمدن من ناحية ثانية، والنزعة العابرة للحدود ممثلة في الأديرة monasteries ونقابات التجار والصناع guilds من ناحية ثالثة. ويضيف يورغ فريديريكس أنه في الوقت الذي اتسم العصر الوسيط الأول بوجود سلطات متداخلة وولاءات متعددة، حيث تتجاذب هذه السلطات الجميعَ عبر ادّعاءات امتلاك الشرعية والقدرة على تحقيق خلاص الفرد، سواء عبر السلطة السياسية (الإمبراطورية) أو عبر السلطة الدينية (الكنيسة)، يبدو العصرُ الوسيط الجديد وكأنه يتّسم بإعادة بعث حالة "السلطات المتداخلة والولاءات المتعددة"[56]، حيث تتجاذب الفردَ عدةُ قوى دافعة/ جاذبة عبر ادّعاءات امتلاك الشرعية والقدرة على تحقيق خلاصه عبر سيادة الدولة من جهة، وعبر فاعلية السوق الاقتصادية العالمية من جهة أخرى. في هذا السياق، يذهب بول إلى التشديد على أن العبرة ليست بتعدّد الفاعلين فحسب، بل بالقرائن التي تدل على أن نظام الدول قد يفسح الطريق أمام نظام جوهره تشظّي السلطة وتداخلها، تمامًا مثلما كانت عليه حال العصور الوسطى[57].

استخدمت سوزان ستراينج في خاتمة تحليلها تشتت السلطة في المجتمع والاقتصاد العالمي، ما يعرف بمعضلة بينوكيو Pinocchio's problem أداةً لتيسير فهم ما تعنيه هذه الظاهرة لنا نحن، بوصفنا أفرادًا. تقول ستراينج: "لقد بدت لي الخيوط التي ربطت كلًا منا بالدولة شبيهةً بالخيوط التي رُبط بها بينوكيو؛ تلك الخيوط التي جعلته دمية في أيدي قوى لا يستطيع لا السيطرة عليها ولا التأثير فيها. في نهاية القصة، ما عادت مشكلته كامنة في أنه كلما تفوّه بالأكاذيب زاد أنفه طولًا؛ فقد سبق له أن تعلم أنّ الأكاذيب كانت كاذبة[58]. لقد باتت مشكلته حين تحوّل أخيرًا، وبطريقة سحرية، من دمية خشبية إلى ولد حقيقي، أنه ما عادت ثمة أيّ خيوط تتحكم فيه. كان عليه أن يقرر بنفسه ما يجب أن يفعله والسلطة التي يجب عليه احترامها، والتي يجب عليه تحدّيها ومقاومتها. لو لم يكن لدينا الآن نظامٌ للحوكمة العالمية، أيًّا كان شكله، وكانت لدينا مجموعة متداعية من مصادر السلطة ينازع بعضُها بعضًا، لكنّا نواجه مشكلةَ بينوكيو نفسَها. لمن ندين بالطاعة والولاء والبيعة؟ من الواضح أننا لا نفعل ذلك دومًا للسلطة نفسِها. فأحيانًا لحكومة دولة معينة؛

54 مقتبس في:

Jörg Friedrichs, *European Approaches to International Relations Theory* (London: Routledge, 2004), p. 136.

55 João Almeida, "Hedley Bull, 'Embedded Cosmopolitanism,' and the Pluralist-Solidarist Debate," in: Richard Little & John Williams (eds.), *The Anarchical Society in a Globalized World* (Basingstoke, UK: Palgrave Macmillan, 2006), p. 53.

56 Bull, p. 245.

57 هذه القرائن، مثلما ذكرنا سابقًا، خمسٌ: الاندماج الإقليمي للدول، وتفكك الدول، وعودة العنف الدولي الخاص (أي الذي يرتكبه فاعلون خواص غير الدول)، وانتشار المنظمات عبر الوطنية، وتوحيد التكنولوجيا للعالم. ينظر:

Ibid., pp. 254-266.

58 ربما أرادت ستراينج بذلك ما يُعرف بمفارقة بينوكيو Pinocchio paradox، وهي مفارقة منطقية كلاسيكية مفادها: إذا قال بينوكيو "أنفي يطول الآن"، فإن هذه المقولة لا هي صادقة ولا هي كاذبة؛ لأن زيادة طول أنفه تعني أنه كاذب (لأنه كلما كذب، طال أنفه)، تمامًا كما أن ثبات طول أنفه يعني أنه كاذبٌ أيضًا (لأنه مرة أخرى كلما كذب، طال أنفه)، وهكذا تنشأ هذه المفارقة الكاذبة.

وأحيانًا أخرى لشركة، وأحايين أخرى لحركة اجتماعية عابرة للحدود؛ تارة لعائلة، وأخرى لجيل بعينه، وثالثةً لرفاق الحرفة أو المهنة. مع نهاية الحرب الباردة، وانتصار اقتصاد السوق، تلاشت اليقينيات والمطلقات مجددًا. وهكذا، وفي عالم تتشتت فيه السلطة على مراكز عدة، نكتشف أن كلًّا منا يتقاسم بينوكيو المعضلة نفسَها. ليس للفرد مرشِدٌ غير وعيه الخاص به"[59].

يحاجّ فريدريكس بأن العصر الوسيط الجديد، بوصفه مفهومًا مستجدًا في العلوم الاجتماعية ككل، لا يمثل عرضًا لأحجية جديدة على الباحثين، بل هو تعبيرٌ دقيقٌ عن حالة من الارتباك الناجم عن تحولات عميقة تدكّ أوصال النظام الوستفالي المتمركز حول الدولة، على أن للجوء إلى العصور الوسطى ما يبرره، فقد كانت هذه الفترة تتسم بأنها نظام من السلطات المتراكبة والولاءات المتعددة التي تتفاعل في ما بينها في ظل ثنائية من ادعاءات تتنافس حول الشرعية، طرفاها الإمبراطورية الرومانية والكنيسة الكاثوليكية. إن الهدف من تشبيه عالم ما بعد الحرب الباردة بعالم يتّجه رأسًا صوب عصر وسيط جديد، بحسب فريدريكس، هو السعي للتغلب على العمى التصوّري الذي رُحنا ضحايًا له بسبب العادات العقلية القوية التي أكسبتنا إياها الحداثة[60]، ومن ذلك التعلق بمنطق التقدم الخطّي الثابت والمستمر. وقد عبّر روزنو عن ذلك ببلاغة حين دعا مرارًا وتكرارًا إلى الإفلات مما سمّاه الأقفاص المفهومية التي ما انفكت دراسة السياسة الدولية تقبع خلف أسوارها[61].

لا بد أنّ بول تمكّن من أن يبرح الأقفاص المفهومية التي جاء عليها روزنو، وتمكّن أيضًا من أن يتجاوز حالة العمى التصوري التي أتى عليها فريدريكس، فلم تُعْمِ عقيدةُ التقدم الخطّي بصيرتَه عن المحاجّة بأن نظام الدول ذات السيادة (أو النظام المتمركز حول الدول بتعبير روزنو) حين ينهار، قد لا تحلّ محلّه حكومةٌ عالميةٌ بحسب ما تشيعه تلك العقيدة، بل يحلّ تنظيمٌ سياسي عالمي حديث وعلماني شبيه لما كان موجودًا في العالم المسيحي الغربي في أثناء العصور الوسطى؛ "إنه نظام حيث ما من حاكم أو دولة تكون لها السيادة الأسمى على إقليم معين وشريحة معينة من السكان المسيحيين؛ فكلٌّ منها تتقاسم السلطة، أدناها، مع المُقطَعِين vassals[62]، وأعلاها، مع البابا و(في ألمانيا وإيطاليا) مع حاكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة". وينافح بول عن فرضية أن هذا النظام هو ما قد يحلّ محلّ نظام الدول الذي ما برح يخفق في تجسيد الحكومة العالمية[63].

فسردية العصر الوسيط الجديد، إذًا، تتفق في الأساس مع مفهوم السياسة ما بعد الدولية، بمعنى تلك التي يتشارك/ يتنافس في صنعها عدة فاعلين، ولا يكون الحسم فيها بالضرورة للدولة. قد يبدو من أول وهلة أن عالمًا كهذا سيؤول إلى انتفاء للنظام disorder الضروري للاستقرار، بدلًا من انتفاء التراتبية hierarchy المعهودة منذ معاهدة وستفاليا، لكن ذلك يبقى بعيدًا عن الدقة. فالعصر الوسيط الأول في أوروبا شهد تداخلًا في السلطات والولاءات، إلّا أن التنافس بين الإقطاع (المحلي) والكنيسة الكاثوليكية (باعتبارها سلطة أسمى) لم يَقُدْ إلى حالة من انتفاء النظام، بل حدث توازن مستقر طوال عدة قرون (في الإمبراطوريات والممالك القائمة)[64].

تكشف الفترة التي تصاعدت فيها حدة العولمة (ثمانينيات القرن العشرين وتسعينياته) عن بعض التماثل بين العصرين. ويعود الفضل في الاستقرار النسبي الراهن، قياسًا إلى أفول العامل الناظم وهو الدولة، إلى التجاذبات بين طرفَي نقيض، فالمواطن يسعى للاستفادة من مزايا العولمة، لكنه في المقابل يتمسك بالدولة لحمايته من سلبياتها. ومن ثمّ، فإنّ المبدأ الناظم في هذه الحالة هو التوازن المتأرجح بين النزعة الاقتصادية (مقتضيات السوق) والنزعة الاجتماعية (مقتضيات الهوية)، والاختلاف بين العصر الوسيط الجديد والقديم، هو أن النزعة الاقتصادية صارت قوة جذب خارجية، بينما صارت النزعة الاجتماعية قوة جذب محلّية[65].

يبيّن الجدول (2) أوجه التشابه البنيوي بين العصرين الوسيط الأول والجديد، فثمة قوى جذب في كليهما تدّعي كل منها الشرعيةَ والقدرةَ على تخليص الفرد من مشكلاته المختلفة (الإمبراطورية/ الكنيسة، السوق/ الدولة)، مع فارق أن العصر الوسيط الجديد يشهد صراعًا، قواعدُ اللعبة فيه معلمنة secularized، فالسوق والدولة كلاهما يستند إلى أسس علمانية صريحة. وإن كانت إرهاصات بروز الدولة-الأمة قد شوهدت مبكرًا حين كانت الإمبراطورية في آخر مراحل صراعها مع الكنيسة، فإن الصراع الحالي لا يبدو أنه سيفضي

59 Susan Strange, *The Retreat of the State: The Diffusion of Power in the World Economy* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996), pp. 198-199.

60 Friedrichs, p. 129.

61 Rosenau, *Turbulence in World Politics*, p. 22.
شهد لروزنو منظّران مرموقان من طينة يال فيرغسون وريشتارد مانشباخ بالإفلات منها، بينما لا يزال منظّرون كُثر في حقل العلاقات الدولية أسرى مصفّدين داخلها. ينظر:
Ferguson & Mansbach, *Remapping Global Politics*, p. 17.

62 المُقطَع، في أثناء العصور الوسطى، هو رجل يتعهد بالقتال إلى جانب الملك أو اللورد حين يستدعيه لذلك، في مقابل أرض إقطاعية يملّكه إيّاها ليعيش عليها.

63 Bull, p. 245.

64 عادل زقاغ، "العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسة في العلاقات الدولية"، **مجلة المفكر**، العدد 7 (2012)، ص 162.

65 المرجع نفسه، ص 163.

الجدول (2)

الفروقات بين العصر الوسيط الأول والعصر الوسط الجديد

العصر الوسيط الأول	العصر الوسيط الجديد
تميَّز بوجود سلطات متداخلة وولاءات متعددة، تتجاذب الجميع عبر ادعاءات امتلاك الشرعية والقدرة على تحقيق خلاص الفرد عبر السلطة السياسية (الإمبراطورية) أو عبر السلطة الدينية (الكنسيّة).	يتميّز بإعادة إحياء واقع السلطات المتداخلة والولاءات المتعددة. والقوى الدافعة هذه المرة تتجاذب الجميع عبر ادعاءات امتلاك الشرعية والقدرة على تحقيق خلاص الفرد عبر سيادة الدولة من ناحية، وفاعلية السوق (العالمية) من ناحية أخرى.
تمثلت النواة الاجتماعية للسرديات "العلمانية"، المتعلقة بادعاءات الشرعية في العصر الوسيط الأول، في الطبقة الإقطاعية الأرستقراطية.	تتمثل النواة الاجتماعية للسرديات "السياسية"، المتعلقة بادعاءات الشرعية في العصر الوسيط الجديد، في النخبة من صناع السياسة العالمية والبيروقراطيين الدوليين.
تمثلت النواة الاجتماعية للسرديات الدينية في طبقة رجال الدين المنضوين تحت قبة الكنيسة الكاثوليكية، حيث كانوا يحظون بقدرة كبيرة على التواصل الاجتماعي لا تحدّها العوائق الجغرافية.	تتمثل النواة الاجتماعية للسرديات الاقتصادية في طبقة رجال الأعمال العابرين للحدود، ويحظى هؤلاء بدورهم بقدرة كبيرة على التواصل الاجتماعي، وما عادت الجغرافيا تشكل عقبة في طريقهم.
اعتمدت السرديات الدينية على التيولوجيا الدينية التي بشّر بها مناصرون معروفون لدى العامة، والشيء ذاته في السرديات العلمانية المناوئة، وإن بدرجة أقل.	تعتمد منظومتا الدولة-الأمة واقتصاد السوق على نخبة تستند إلى المعرفة، أي إلى جماعة إبستيمية تتشكل من مثقفين ومؤلفين معروفين لدى العامة.
ادعت كلتا الشرعيتين المتنافستين التفوق، لكن كلتيهما انهارت في النهاية، فاسحتين المجال لظهور الدولة-الأمة.	تدّعي الشرعيتان المتنافستان التفوق، لكن من غير الواضح ما سيؤول إليه هذا التنافس.

المصدر: أُعِدَّ الجدول (2) استنادًا إلى:

Jörg Friedrichs, "The Meaning of New Medievalism," *European Journal of International Relations*, vol. 7, no. 4 (2001), p. 492.

إلى خيار ثالث بمعالم واضحة، ومن هنا تنبع شرعية التساؤل عمّا إذا كان العصر الوسيط الجديد (أو الحالي) سيقودنا إلى نهضة إنسانية جديدة، كما كانت عليه الحال مع العصر الوسيط الأول، أم أنه سيجعلنا نتقهقر إلى عصر ظلمات آخر[66].

خاتمة

حاولت الدراسة فحص المضامين النظرية التي ينطوي عليها التحول نحو السياسة ما بعد الدولية، وذلك بمناقشة مفهوم التعايش بين النظام المتمركز حول الدول والنظام المتعدد المراكز، ومفهوم العصر الوسيط الجديد. يمكن، عبر هذين المفهومين، تصورُ أنماط إعادة تموضع وإعادة توزع السلطة في النظام العالمي من الدول (والمؤسسات الدولية) نحو الفاعلين غير الدول، وهو جوهر تعريف روزنو للسياسة ما بعد الدولية. ويعيد المفهومان كلاهما توجيه

"حاولت الدراسة فحص المضامين النظرية التي ينطوي عليها التحول نحو السياسة ما بعد الدولية، بمناقشة مفهوم التعايش بين النظام المتمركز حول الدول والنظام المتعدد المراكز، ومفهوم العصر الوسيط الجديد. يمكن، عبر هذين المفهومين، تصورُ أنماط إعادة تموضع وإعادة توزع السلطة في النظام العالمي من الدول (والمؤسسات الدولية) نحو الفاعلين غير الدول، وهو جوهر تعريف روزنو للسياسة ما بعد الدولية"

66 المرجع نفسه.

البحث في حقل العلاقات الدولية بعيدًا عن المقاربات المتمركزة حول الدولة، نحو التفكير في السياسة العالمية باعتبارها نظامًا بلا بنية محددة unstructured، تتنازع فيه، وفي الوقت نفسِه، تتعايش سلطاتٌ متداخلة وولاءاتٌ متعددة من ناحية، ويتزامن فيه ويتعايش نظامان، أحدهما متمركز حول الدول والفاعلين الخاضعين لسيادتها، وآخر متعدد المراكز من ناحية أخرى.

إذا كانت الدولة، مثلما بات واضحًا، ما عادت مصدرًا وحيدًا للسلطة في السياسة ما بعد الدولية، فهذا لا ينفي دورها باعتبارها مصدرًا من بين مصادر أخرى لتلك السلطة. لذلك، نعيد التشديد على أن النظام المتعدد المراكز، في براديم السياسة ما بعد الدولية (أو براديم الاضطراب) الذي طوّره روزنو، لا يلغي النظام المتمركز حول الدول، ولا يحل محله، لكنهما يتعايشان معًا. وإذا كان من الضروري التشديد على أن السيادة، في مفهوم العصر الوسيط الجديد، تتآكل من الداخل، بقدر ما تتآكل من الخارج، فمن الضروري أيضًا تأكيد أن عوامل التآكل من الخارج لا تأتي من المنظمات الدولية، مثل الأمم المتحدة أو حلف شمال الأطلسي، أو من الشركات المتعددة الجنسيات فحسب، بل تأتي أيضًا من دول أخرى، قد تكون أكثر سطوة أو أشد هشاشة مما ينبغي أن تكون عليه في النموذج الوستفالي التقليدي.

لذلك، يُبقي مفهومُ العصر الوسيط الجديد على دورٍ حاسم لسلطة الدولة في الإبقاء على النظام العالمي بعيدًا عن حافة الانهيار الذي قد تسبّبه نهاية الدولة، حيث يمكن ملاحظة شكل من أشكال التجاذب الثابت والمستقر بين طرفي نقيض، فالمواطن يسعى للاستفادة من مزايا العولمة، لكنه في المقابل يتمسك بالدولة لحمايته من مخاطرها، وباستثناء الجماعات المسلحة الخارجة على القانون التي تتحدى نظام الدولة نفسَه (سواء تعلق الأمر بالجماعات الإرهابية أم بحركات التمرد)، يبدو أن الفاعلين غير الدول يتبنون الموقفَ الهجين نفسَه من الدولة، فهم (قد) يعملون على تقويض سلطتها، لكن ليس إلى الحد الذي قد تختفي معه.

لا بد، أخيرًا، من تبديد الشكوك التي قد تلوح في أذهاننا حيال نموذج العصر الوسيط الجديد، تلك الشكوك التي تبثّها الصورة التاريخية التي قد تبقى لصيقةً به، توحي بشيوع الفوضى وشحّ الأمن والنظام واليقين، وتُبِينه حقبةً مظلمة حالكة Dark Age. وقد سبق أن صوَّره روبرت كابلان على هذه الهيئة، في نصّ ذائع الصيت نشره تحت عنوان "الفوضى القادمة"، حين قال: "إننا نلج عالمًا متشعبًا إلى عالمَيْن: جزءٌ من الكوكب يقطنه رجلُ هيغل وفوكوياما الأخيرُ موفور الصحة والطعام، مُرَفَّه بالتكنولوجيا؛ أما الجزء الآخر الأوسع، فيقطنه رجل هوبز الأول محكوم عليه بعيش حياة قصيرة، تطفح بالعزلة والفاقة، والقذارة والوحشية". ثم أبعد من ذلك، تنبأ كابلان أن يعمّ العالمَ نموذجُ الحروب الأهلية البشعة في غرب أفريقيا، فتتداعى الحضارة ولا يظل أمام المرء سوى الاستثمار في تشييد قلعة على شاكلة قلاع القرون الوسطى إذا أراد البقاء والصمود خلال القرن الحادي والعشرين[67]. تعرّضت أطروحة كابلان للنقد بطبيعة الحال[68]، غير أن ما يهمنا، كما ذكرنا، هو تبديد الشكوك في المزايا التحليلية التي يوفرها لنا مفهوم العصر الوسيط الجديد بوصفه نموذجًا نظريًا لا نموذجًا تاريخيًا؛ وهو مثلما بيّنته هذه الدراسة أشدُّ ثراءً وتعقدًا من النموذج الوستفالي المتمركز حول الدولة. ومن خلال مقارنته بمفهوم روزنو عن التعايش بين النظامَيْن، المتمركز حول الدول والمتعدد المراكز، يتضح لنا أن هذا الأخير لا يقل ثراءً وتعقدًا.

67 Robert D. Kaplan, "The Coming Anarchy," *Atlantic Monthly*, vol. 273, no. 2 (1994), accessed on 10/2/2022, at: https://bit.ly/3B9ZsyI

وقد أعيد نشره في:

Robert D. Kaplan, "The Coming Anarchy," in: Gearóid Ó Tuathail et al. (eds.), *The Geopolitics Reader* (London: Routledge, 1998), pp. 188-196.

68 Simon Dalby, "The Environment as Geopolitical Threat: Reading Robert Kaplan's 'Coming Anarchy'," *Ecumene*, vol. 3, no. 4 (1996), pp. 472-496.

وقد أعيد نشر جزء منه في:

Tuathail et al. (eds.), pp. 197-203.

المراجع

References

العربية

حمشي، محمد. "نظرية التعقد في العلاقات الدولية: النظام الدولي كنظام معقد وشواشي السلوك". **المستقبل العربي**. العدد 484 (حزيران/ يونيو 2019).

________.**مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

خيّر، شهرزاد ومحمد حمشي. "الحوكمة العالمية والسلطة الخاصة". **المجلة الجزائرية للأمن والتنمية**. مج 10، العدد 3 (2021).

زقاغ، عادل. "العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسة في العلاقات الدولية". **مجلة المفكر**. العدد 7 (2012).

غيلبين، روبرت. **الاقتصاد السياسي للعلاقات الدولية**. ترجمة مركز الخليج للأبحاث. دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2004.

الأجنبية

Baylis, John, Steve Smith & Patricia Owens (eds.). *The Globalization of World Politics: An Introduction to International Relations*. 8th ed. New York: Oxford University Press, 2020.

Brown, Chris. *Understanding International Relations*. 3rd ed. New York: Palgrave Macmillan, 2005.

Bull, Hedley. *The Anarchical Society*. New York: Palgrave, 1977 [2002].

Buzan, Barry & Richard Little. *International Systems in World History: Remaking the Study of International Relations*. New York: Oxford University Press, 2000.

Cerny, Philip. *Rethinking World Politics*. Oxford: Oxford University Press, 2010.

Dalby, Simon. "The Environment as Geopolitical Threat: Reading Robert Kaplan's 'Coming Anarchy'." *Ecumene*. vol. 3, no. 4 (1996).

Ferguson, Yale H. & R. J. Barry Jones (eds.). *Political Space: Frontiers of Change and Governance in a Globalizing World*. New York: State University of New York Press, 2002.

Ferguson, Yale H. & Richard W. Mansbach. "Post-internationalism and IR Theory." *Millennium - Journal of International Studies*. vol. 35, no. 3 (2007).

________. *Remapping Global Politics: History's Revenge and Future Shock*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

Friedrichs, Jörg. *European Approaches to International Relations Theory*. London: Routledge, 2004.

________. "The Meaning of New Medievalism." *European Journal of International Relations*. vol. 7, no. 4 (2001).

Haas, Ernst B. "International Integration: The European and the Universal Process." *International Organization*. vol. 15, no. 4 (1961).

Hobbs, Heidi H. (ed.). *Pondering Postinternationalism: A Paradigm for the Twenty-First Century*. Albany; New York: State University of New York Press, 2000.

Little, Richard & John Williams (eds.). *The Anarchical Society in a Globalized World*. Basingstoke, UK: Palgrave Macmillan, 2006.

Lohmann, Annette. *Who Owns the Sahara?* Abuja, Nigeria: Friedrich-Ebert-Stiftung, 2011.

Mathews, Jessica. "Power Shift." *Foreign Affairs*. vol. 76, no. 1 (1997).

McFate, Sean. "Durable Disorder: The Return of Private Armies and the Emergence of Neomedievalism." A PhD. dissertation. London School of Economics and Political Science. 2011.

Minahan, James. *Nations without States*. Westport, CT: Greenwood Publishing, 1996.

Müller, Philipp & Markus Lederer. *Criticizing Global Governance*. New York: Palgrave Macmillan, 2005.

Nye, Joseph S. & John D. Donahue (eds.). *Governance in a Globalizing World*. USA: Brookings Institution Press, 2000.

Ó Tuathail, Gearóid et *al.* (eds.). *The Geopolitics Reader*. London: Routledge, 1998.

Rogers, Damien. *Postinternationalism and Small Arms Control: Theory, Politics, Security*. Farnham, England/ Burlington, VT: Ashgate Publishing, 2009.

Rosenau, James N. *Turbulence in World Politics: A Theory of Change and Continuity*. Princeton: Princeton University Press, 1990.

Rosenau, James N. & Ernst-Otto Czempiel (eds.). *Governance without Government: Order and Change in World Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1992 [2000].

Rosenau, James N. & Mary Durfee. *Thinking Theory Thoroughly: Coherent Approaches to an Incoherent World*. Boulder, CO: Westview Press, 2000.

Slaughter, Anne-Marie. "The Real New World Order." *Foreign Affairs*. vol. 76, no. 5 (1997).

Strange, Susan. *The Retreat of the State: The Diffusion of Power in the World Economy*. Cambridge: Cambridge University Press, 1996.

Suganami, Hidemi. "A Note on the Origins of the Word 'International.'" *British Journal of International Studies*. vol. 4 (1978).

Waltz, Kenneth N. *Theory of International Politics*. Boston: Addison-Wesley, 1979.

Willetts, Peter. *Non-Governmental Organizations in World Politics*. London: Routledge, 2011.

Wolfers, Arnold. *Discord and Collaboration: Essays on International Politics*. Baltimore: John Hopkins University Press, 1962.

التسلم Received 27/5/2021 | التعديل Revised 25/7/2021 | القبول Accepted 1/9/2021 | المعرّف الرقمي DOI https://doi.org/10.31430//KCDH2667

سارة ناصر | Sarah Nasser*

الذاكرة والاعتذار في السياسة الخارجية: حين يأبى الماضي المضي

Memory and Apology in Foreign Policy: When the Past Does not Pass

تناقش هذه الدراسة[1] إمكانية النظر في مظاهر التفاعل بين الذاكرة والاعتذار في السياسة الخارجية، من منطلقات تجسّر الهوة بين حقلَي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية. والاعتذار هو ممارسة تعبيرية لا محض عبارات تنمّ عن لباقة دبلوماسية بين الساسة؛ إنه فعل تفصح من خلاله الدول عن مواقفها تجاه الذاكرة والماضي. كما أن النظر في تفاعل الأبعاد النظرية لمفاهيم على غرار الهوية السردية، والأمن الأنطولوجي، والتمثلات الخطابية كفيلٌ بجسر الهوة بين الحقلين المعرفيين، وذلك عبر نسختين من البنائية الاجتماعية يمكن إقحامهما في النقاش لفهم دوافع اعتذار ألمانيا لإسرائيل ومقاومة تركيا الضغوط الدولية للاعتذار عن مسألة تهجير الأرمن. وتخلص الدراسة إلى أن بنائية نزار مساري النقدية تفسر اعتذار ألمانيا عبر النظر في دور السياسة الخارجية في إعادة صُنع الهوية الوطنية عبر تحول تمثيلات الآخر اليهودي، ومن ثم الإسرائيلي، من عدو مغاير للذات إلى آخرَ مشابه لها، وكيف صار ذلك جزءًا من مسؤوليتها الأخلاقية. وتنتهي إلى أن بنائيّة تيد هوف المجتمعية "الممارساتية" تفسر إحجام تركيا عن الاعتذار لأرمينيا، بوصفه حاجةً أنطولوجية ترتبط بإصرار تركيا على الاحتفاظ بهويتها السردية الروتينية وحماية ذاكرتها البطولية.

كلمات مفتاحية: الذاكرة، الاعتذار، الأمن الأنطولوجي، الهوية السردية، التمثلات الخطابية، البنائية الاجتماعية.

This study discusses the possibility of bridging the gap between IR (International Relation) and Foreign Policy Analysis when studying the interaction between memory and apology in foreign policy. By dealing with apology as an expressive practice, not just as a tact between statesmen, this study argues that apology is an act used by states to express their attitudes toward their past memories. It presumes that examining the interaction on the theoretical level between concepts such as narrative identity, ontological security, and discursive representations would bridge the gap between the two fields through two versions of social constructivism. Those two versions are then used to understand the motives behind Germany's apology to Israel, and Turkey's resistance to apologize to Armenia despite international pressure to do so. The study concludes that "critical constructivism" approach by Nizar Messari can explain the German case. It considers the role of foreign policy as a tool in reconstructing national identity through transforming representation of the Jewish/Israeli "other" from a "different other", who is an enemy of the self, to a "similar other", who is a part of its moral responsibility. As for Turkey, it concludes that Ted Hopf's "practical/societal constructivism" suggests that the reasons behind Turkey's unwillingness to apologize to Armenia is due to an ontological need best understood as "a need to preserve the routine of its narrative identity, and the need to preserve it heroic memories".

Keywords: Memory, Apology, Ontological Security, Narrative Identity, Discursive Representations, Social Constructivism.

* باحثة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية.
Researcher in Political Science and International Relations.
Email: sna001@dohainstitute.edu.qa

1 تتقدم الباحثة بالشكر الجزيل إلى المشاركين في السيمنار الذي نظمه برنامج العلوم السياسية والعلاقات الدولية في معهد الدوحة للدراسات العليا لمناقشة مسودة هذه الدراسة وإثرائها، وتخص بالشكر كلًا من محمد حمشي وأحمد قاسم حسين وجامع يوسف الذين اطلعوا على المسودة، وتفضلوا بالتعقيب عليها.

مقدمة

قد يلامس اعتذار صادق قلب الإنسان بطريقة لا يمكن العوض المادي أو سياسة القوة ملامسته بها[1].

من قال إن الماضي يمضي بلا عودة؟ ألا يتحدى الماضي خطية سهم الزمن وحتميته، فيجد طريقه إلى الحاضر ثم المستقبل، وبهذا تتحرر الذكرى من ثقل الماضي، متمردةً على حدود الزمان المطرد في مضيه نحو الأمام، غير مبالية بما لو كان الحاضر والمستقبل يرغبان في عودتها، وعودة ما تستبطنه في طياتها من سلام وأمجاد وبطولات وإنجازات، أو صراع وإذلال وهزائم وإبادات؛ ولأن ماضي الدول مُترَع بالنمط الثاني من الذكريات فقد تنامت في العلاقات الدولية ممارسة الاعتذار؟

برزت هذه الممارسة بوصفها ضرورة لتخلص الدول من ذكريات ماضيها المؤلمة التي تطارد حاضرها وتهدد مستقبلها. وعلى الرغم من أن الاعتذار ظاهرة مهمة ومتنامية في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للدول فإن البحث فيها لا يزال فقيرًا، ويُنظَر إليها بعين الريبة بوصفها بوابة لإقحام الإنسان، بمعاييره وأخلاقه وماضيه وهوياته، في حيز التحليل البحثي الذي يتوقع منه أن يظل منضبطًا من الناحية العلمية.

ومن هنا تتجلى أهمية هذه الدراسة؛ فهي تسعى إلى تقديم إضافة نظرية إلى الإسهامات الشحيحة التي تبحث في الذاكرة والاعتذار، وتهدف إلى تجاوز الثغرات المرصودة في بنيان تلك الأدبيات التي لوحظ افتقارها إلى الربط بين حقلَي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية[2]. وتعمل على مناقشة موضوع الذاكرة والاعتذار، وما يثيره من مفاهيم في أدبيات حقلنا العربي. فباستثناء بعض الجهود النظرية المتفرقة في دراسة العلاقة بين الذاكرة والتاريخ على غرار العدد الثالث والثلاثين من دورية **تبين** للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية، وعنوانه: "من 'الذاكرة' إلى 'دراسات الذاكرة' مقاربات عربية بينتخصصية"[3]، ما زالت الإسهامات العربية محدودة في مجال العلاقة بين الذاكرة والاعتذار في السياسة الخارجية.

وتعالج هذه الدراسة إشكالية أساسية تتمثل في إمكانية دراسة مظاهر التفاعل بين الذاكرة والاعتذار في السياسة الخارجية من منطلق سدّ الفجوة بين حقلَي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية. وتفترض أن النظر في تفاعل الأبعاد النظرية لمفاهيمَ على غرار الهوية السردية، والأمن الأنطولوجي، والتمثلات الخطابية، كفيل بسدّ الفجوة بين الحقلين عبر نسختين من المقاربة البنائية الاجتماعية؛ مؤكدةً أن الفهم الناجع لمكامن الاختلاف في سلوك الدول (الاعتذار والامتناع عن الاعتذار) يقتضي التنقيب في ذلك التفاعل نفسه.

تنقسم الدراسة مبحثين أساسيين: يقدم المبحث الأول فحصًا نظريًا ينطلق من تفكيك التفاعل بين الذاكرة والاعتذار، وينتهي برسم أرضية نظرية بنائية ملائمة للجسر الذي قد يصل بين حقلَي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية. ويستند هذا المبحث إلى إسهامات نزار مساري Nizar Messari وتيد هوف Ted Hopf. في حين يقدم المبحث الثاني مناقشة عامة في محاولة لتوظيف نسختين من النظرية البنائية، لتفسير واقع السياسات الخارجية الممارسة للاعتذار والمحجِمة عنه في بعض الدول، ويوظف هذا المبحث نسخة مساري لتفكيك التشابكات الكامنة خلف اعتذار ألمانيا لإسرائيل حول ما يُعرف بـ "المحرقة"، ونسخة هوف لفهم دوافع إحجام تركيا عن القيام بالأمر عينه حيال مسألة تهجير الأرمن.

أولًا: الذاكرة والاعتذار: إطار نظري للتجسير بين حقلي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية

من يتحكم في الماضي يتحكم في المستقبل، ومن يتحكم في الحاضر يتحكم في الماضي[4].

يقدم هذا المبحث محاولة لبناء أرضية نظرية تجسيرية ملائمة لدراسة التفاعلات بين الاعتذار والذاكرة، فينطلق من محاولة لفهم معنى الاعتذار والذاكرة، فاحصًا طبيعة التفاعل والتداخل بينهما، مرورًا بإثارة جملة من إشكالات حقل العلاقات الدولية التي تجعل من عملية الانخراط في مشاريع للاتصال المعرفي مع حقل تحليل السياسة الخارجية أمرًا في حاجة إلى مزيد من الجهود التنظيرية، وصولًا إلى تقديم أرضية نظرية مناسبة.

---

1 Por Chihiro Ikegami, "Memory and Apology in Germany and Japan," *LetraUrbana*, 8/12/2020, accessed on 27/3/2022, at: https://bit.ly/3oLQ12q

2 على الرغم من التداخل بين حقلَي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية في جملة من المسائل الأنطولوجية والمنهجية، فإن الجماعة المعرفية، في العموم، تتعامل معهما بوصفهما حقلَين مستقلَّين في العلوم السياسية.

3 ينظر: **تبين**، عدد خاص "من 'الذاكرة' إلى 'دراسات الذاكرة' مقاربات عربية بينتخصصية"، العدد 33، مج 9 (صيف 2020).

4 George Orwell, *Nineteen Eighty-Four* (New York: Harcourt, Brace and Company, 1949), p. 32.

بادئ ذي بدء، يسرد مايكل ماروس مجموعة من المتطلبات التي توضح معنى الاعتذار الحقيقي "الصادق" ومعاييره حول ما يصدر من الدول تجاه ضحاياها[5]، وهي كالآتي: الإقرار بارتكاب خطأ ما؛ تحمّل المسؤولية المترتبة على ارتكابه؛ التعبير عن الأسف والندم حيال الأضرار الناجمة عنه؛ الالتزام بجبر الأضرار؛ التعهد بعدم تكرار الخطأ. في الغالب تتعلق ممارسة الاعتذار بانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان لم تتخطّها شعوب الدول الضحايا، أو أخطاء ارتُكِبت في الماضي ولم يُعاقَب عليها مقترفوها[6]. وهنا تكمن أهمية الاعتذار؛ إذ يؤكد نيكولاس تافوتشيس أن الاعتذار، بغض النظر عن مدى صِدقه أو آثاره، لا يمكنه إلغاء ما حدث، بل لا يمنح "مرتكب الخطأ" إمكانية التراجع عن فعلته، ومع ذلك ولحكمة غامضة فإن هذا هو بالضبط ما يقوم به[7].

> إن النظر في الدوافع المسوغة أو الكابحة لممارسة الدول الاعتذار، يقتضي حتمًا إثارة مسألة الذاكرة؛ إذ إن معظم ممارسات الاعتذار السياسي تُعدّ نتاجًا لأفعال خاطئة ارتكبها الجناة في الماضي. ولأن تقادم الزمن يُضعف نظريًا حاجة الدولة إلى الاعتذار، فإن استمرار الدول في تقديم اعتذارها يقودنا إلى إقحام مسألة الذاكرة في التفسير، بوصفها قوة تدفع الدول للمضي قدمًا في تلك الممارسة

إن النظر في الدوافع المسوغة أو الكابحة لممارسة الدول الاعتذار، يقتضي حتمًا إثارة مسألة الذاكرة Memory؛ إذ إن معظم ممارسات الاعتذار السياسي تُعدّ نتاجًا لأفعال خاطئة ارتكبها الجناة[8] في الماضي.

ولأن تقادم الزمن يُضعف نظريًا حاجة الدولة إلى الاعتذار، فإن استمرار الدول في تقديم اعتذارها يقودنا إلى إقحام مسألة الذاكرة في التفسير، بوصفها قوة تدفع الدول للمضي قدمًا في تلك الممارسة.

يرى روبرت وينيث في دراسة له بعنوان "قوة الاعتذار وعملية المصالحة التاريخية"[9]، أنه على الرغم من عدّ الاعتذار وسيلة لحفظ ماء الوجه على الساحة الدولية، فإنه يرتبط أيضًا بعقد الجُناة النية والعزم على المصالحة. وأشار جان مارك كويكود إلى أن بعض حالات الاعتذار لا تفضي قطعًا إلى المصالحة وخصوصًا في الجرائم التي لا تُغتفر[10]، لكن مع ذلك فإن وينيث يؤكد أن الطبيعة الرمزية للاعتذار تؤدي دورًا مفصليًا في جلب الراحة النفسية للضحية حتى بعد ارتكاب أبشع الجرائم؛ ويعود جزء من ذلك إلى الشعور بالاطمئنان حيال عدم تكرار الفعل، في حين يتعلق الشق الآخر بتشكيل قواعد دولية Rules تعزز الأمن[11]. وبعيدًا عن مركزية الضحية عند وينيث، يركز مارك أمستوتز على الكيفية التي يواجه من خلالها الجاني أشباح ماضيه عبر تذكّره أفعاله الخاطئة التي خلت، وتَحمّله مسؤولية ارتكابها[12]. لا يمكننا، إذًا، التعامل مع عبارة: "أنا أعتذر" "I apologize"، بوصفها عبارة سياسية تنمّ عن لباقة دبلوماسية بين الساسة، بل هي ممارسة تعبيرية أو تعبير ممارساتي يظهر على المستوى الدولي على أنه قاعدة عرفية تترتب عليها ممارسات تحفظ الأمن، وهي على المستوى الأعمق ممارسات يفصح الجاني من خلالها عن موقفٍ ما تجاه تاريخه، وهو موقف يتأسس على رغبته "المتصورة" في مستقبل أفضل لعلاقته مع الضحية، أو محاولته دفن خطايا ماضيه وحرصه على ألا تُنبش[13].

5 نستخدم مفردة الضحية في هذا السياق بالمعنى المتداول في علم النفس، وهو الشخص الذي يمارس الآخرون في حقه أفعالًا تراها الضحية سلبية.

6 Michael R. Marrus, "Official Apologies and the Quest for Historical Justice," *Journal of Human Rights*, vol. 6, no. 1 (2007), p. 79.

7 Nicholas Tavuchis, *Mea Culpa: A Sociology of Apology and Reconciliation* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2002), p. 5.

8 المقصود بالجناة هنا مرتكبو الأفعال الذين يُطالَبون بالاعتذار عنها، ولا تحمل المفردة في هذا السياق أي دلالات معيارية أو أي أحكام أخلاقية بشأن تلك الأفعال.

9 Robert R. Weyeneth, "The Power of Apology and the Process of Historical Reconciliation," *The Public Historian*, vol. 23, no. 3 (Summer 2001), pp. 9-38.

10 Jean-Marc Coicaud, "Apology: A Small Yet Important Part of Justice," *Japanese Journal of Political Science*, vol. 10, no. 1 (2009), p. 100.

11 Weyeneth, p. 32.

12 Mark R. Amstutz, *The Healing of Nations: The Promise and Limits of Political Forgiveness* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield Publishers, 2005), p. vii.

13 يمكن الإحالة هنا إلى أدبيات "أفعال الخطاب" في العلاقات الدولية، والتي استُلهمت نقاشاتها من إسهام فيلسوف اللغة البريطاني جون أوستن **كيف نفعل الأشياء بالكلام؟** يجادل أوستن في كتابه بأن استخدامات اللغة لا تقتصر على الإخبار أو الوصف بل تتعدى ذلك لتشمل "ممارسة الأشياء"، ما يجعل اللغة شكلًا من أشكال الفعل. ووفق المنطق نفسه يجادل الباحث البنائي نيكولاس أونوف بأن قواعد العلاقات الدولية هي شكل من أشكال أفعال الخطاب التي قد تكون حازمة، أو آمرة، أو تعهدية. ولأن توصيف الاعتذار في شطره الأكبر يقتضي عهودًا وضماناتٍ بعدم تكرار الخطأ، فيمكن عدّ الاعتذار من الممارسات التعهدية للدول. ينظر: John L. Austin (ed.), *How to Do Things with Words* (Oxford/ New York: Harvard University Press, 1962); Nicholas Onuf, "Constructivism: A User's Manual," in: Vendulka Kubálková, Nicholas Onuf, & Paul Kower (eds.), *International Relations in a Constructed World* (London: Routledge, 2015), pp. 58-78.

أما فيما يتعلق بمسألة الذاكرة، وعلى وجه الخصوص الذاكرة الجمعية، فقد ميز بيير نورا بين الذاكرة والتاريخ؛ فالذاكرة مقدسة وحيّة وتطورية وتفاوضية ومفعمة بالعاطفة، أما التاريخ فهو مدنس وتحليلي وبارد ومنفصل عن الحاضر[14]. أما موريس هالبفاكس وإن كان قد أكدّ في كتابه **الذاكرة الجمعية** على "التضاد النهائي" بين الذاكرة والتاريخ فإنه ميّز بين نوعين من التاريخ: التاريخ المكتوب، والتاريخ المعيش، ففي حين يتعارض الأول صراحة مع الذاكرة الجمعية يميل الثاني إلى أن يشكّل مرجعًا حيويًا تستند إليه ذاكرة المجتمع بين فينة وأخرى لاستعادة أحداث الماضي[15]. وهي الأحداث التي قد تدفع بذلك المجتمع إما إلى المضي قدمًا نحو الاعتذار بغرض علاج جراح ماضيه وإحلال اتساق سردي يتجاوز من خلاله فجوات ذاكرته، وإما قد تدفعه نحو النأي عن الاعتذار بغرض تجاهل الذكريات الأليمة أو محاولة التعايش معها[16].

وبالنسبة إلى مسألة التاريخ والذاكرة يقدم بول ريكور Paul Ricœur مقاربة فلسفية للربط بين أربعة موضوعات جوهرية؛ أولها الذاكرة التي تضرب جذورها في إسهامات علم النفس؛ وثانيها التاريخ بوصفه علمًا إنسانيًا قائمًا في حد ذاته؛ وثالثها النسيان الذي يرسم ملامح طبيعة الوضع الإنساني؛ وآخرها صعوبة الغفران والتفتيش عن مستقبل إنساني مشرق يتجاوز ظلمة الحاضر العنيف[17].

وعند النظر في تفاعل مفهومَي الذاكرة والاعتذار، نجد إسهامين أساسيين، أحدهما يندرج في حقل العلاقات الدولية والآخر في حقل تحليل السياسة الخارجية. فيما يتعلق بالإسهام الأول، تشير جنيفر ليند في كتابها **الدول الآسفة: الاعتذار في السياسة الدولية**[18]، إلى نوعين من التذكر: أولهما التذكر الرسمي الذي يشمل أقوال القادة والمحاكمات القانونية والاحتفالات والتعليم؛ وثانيهما التذكر المجتمعي الأوسع الذي يشمل التصورات الفردية-المجتمعية لما يجري تذكّره بعيدًا عن الرواية الرسمية للدولة. وفي هاتين الروايتين نوعان من الذكريات، أحدهما اعتذاري يصعب تجاوزه، والآخر غير اعتذاري يسهل إسكاته[19]. ففي حين تنتفي صفة الندم المجتمعي عن النوع الأخير من الذكريات على نحوٍ يبعث القلق في نفس الضحية يتميز النوع الأول من الذكريات بتعبير الجاني عن ندمه حيال خطايا ماضيه واعتذاره عنها، وقد يأتي ذلك الاعتذار في أشكال عدة، منها ما هو اعتذار تاريخي لجماعات محلية[20]، ومنها ما يرجع إلى مآسي الحرب العالمية الثانية، فضلًا عن حالات الاعتذار الكولونيالية وممارسة الاعتذار المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان[21]. وبغض النظر عن نوع الاعتذار في حد ذاته، تؤكد ليند حقيقة أن كلتا الروايتين، سواء أكانت الرسمية أم المجتمعية، لهما دور أساسي بوصفهما جزءًا من الذاكرة الجمعية الأكبر للدولة المعتذِرة؛ فالتذكر المجتمعي للأحداث قد يؤدي في بعض الأحيان دورًا ضاغطًا متحديًا سياسة الدولة، وقد تسيطر الرواية الرسمية للدولة أحيانًا أخرى على ما يجب أن يتذكره المجتمع أو يتناساه[22]، وفي هذه الحالة تكون الذاكرة أداة في يد السلطة تشكلها وفق ما يتلاءم مع أهدافها ومصالحها.

وفيما يتعلق بإسهامات حقل السياسة الخارجية في مسألة التفاعل بين الذاكرة والاعتذار، على ندرتها، يعدّ إسهام شانون جونز أحد أبرز تلك المداخل؛ إذ يشكك في مدى صدق السياسات الخارجية الممارِسة للاعتذار في ألمانيا واليابان، بوصفها آلية مصالحة دبلوماسية تكفّر فيها عن أخطاء ماضيها، خصوصًا في ظل تلقّي بعض الضحايا تعويضًا ماديًا دون آخرين[23]. وتقحم هذه الدراسة مسألة الذاكرة عند حديثها عن شكل التعويضات، مشيرة إلى أن النصب والأماكن التذكارية -على غرار "نصب وارسو" لضحايا النازية و"النصب التذكاري للقتلى اليهود في أوروبا"- تُعدّ أحد أقل رموز الاعتذار تكلفة، بل أقلها قدرة على الدفع بالمصالحة قدمًا[24].

تثير حجة جونز، المتعلقة بتدني قيمة الاعتذار الرمزي، تساؤلًا إشكاليًا عن قيمة الاعتذار الرمزي في مقابل الاعتذار المادي،

---

14 Pierre Nora, "Between Memory and History: Les Lieux De Mémoire," *Representations*, vol. 26 (April 1989), pp. 2-3, 8, accessed on 27/4/2021, at: https://bit.ly/3fMJ50D

15 موريس هالبفاكس، **الذاكرة الجمعية**، ترجمة نسرين الزهر (دمشق/ بيروت: بيت المواطن للنشر والتوزيع، 2016).

16 ينظر: **تبين**.

17 بول ريكور، **الذاكرة، التاريخ، النسيان**، ترجمة جورج زيناتي (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009)، ص 12-13.

18 Jennifer M. Lind, *Sorry States: Apologies in International Politics* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010).

19 Ibid., pp. 14-16.

20 يُدرس هذا النوع من الاعتذار في نطاق أدبيات العدالة الانتقالية التي سنأتي على ذكرها لاحقًا.

21 Ąžuolas Bagdonas, "The Practice of State Apologies: The Role of Demands for Historical Apologies," PhD. Dissertation, Central European University, Budapest, 2010, p. 34.

22 Lind.

23 تسلط شانون الضوء على ما تسميه "فجوة الاعتراف" التي تتضمن تفاوتًا في الفئات المتلقية للعدالة التعويضية، على غرار ما جرى في ألمانيا التي قدمت تعويضات مادية ورمزية لليهود لما قد يكتنف ذلك من عوائد مادية تتمثل في تحقيق مصالحها في السياسة الخارجية، في حين لم يتلقّ الغجر وعمال السخرة وغيرهم من الضحايا أي تعويضات؛ لعدم وجود أي مصالح تعود على الدولة الألمانية من ذلك الفعل. ويشكل هذا الإسهام، في اعتقادنا، حلقة وصل بين البعد المحلي للاعتذار وما يثيره من مفاهيم كالعدالة الانتقالية، والبعد الخارجي للاعتذار والذي يُدرس في نطاق تحليل السياسة الخارجية. ينظر:
Shannon Jones, "Apology Diplomacy: Justice for All?" Netherlands Institute of International Relations 'Clingendael'," (September 2011), pp. 20-21, accessed on 28/4/2021, at: https://bit.ly/3oM6qnw

24 Ibid.

وهو تساؤل يحيلنا إلى نقاش أنطولوجي أوسع في حقل العلاقات الدولية، يُعرف بنقاش العوامل المادية - العوامل المتعلقة بالأفكار Materialism vs. Ideationalism[25]، ويبحث هذا النقاش في الفرق الذي تحدثه الأفكار في العالم الاجتماعي؛ إذ يؤمن الماديون بأن القوى المادية، كالموارد الطبيعية والقدرات العسكرية، تمثّل واقع النظام الدولي، وأن موقع الفاعلين في خريطة توزيع القدرات المادية قد يمكّن ممارسات الدول أو يقيّدها. في حين يؤمن أولئك الذين يركزون على العوامل المتعلقة بالأفكار بأن المعرفة البينذاتية Intersubjective knowledge تعطي البنى المادية معناها، فالأفكار تبني الحقائق الاجتماعية وتعكس العالم المادي وتسوغه. ولمّا كان واقع الحال هو أن لا أسبقية للمادة على الأفكار، بل لا أسبقية للأفكار على المادة فإن تراتبية الطابعَين المادي والمعنوي للاعتذار قد تختلف من فاعل إلى آخر تبعًا لاختلاف التأويلات والمعتقدات والهويات؛ فقد يعدّ بعض الفاعلين ممارسة الاعتذار الرمزية أعظم قيمة وصدقية من العوض المادي، في حين يرى آخرون في جبر الأضرار ماديًا قرينة على صدق الاعتذار.

وبسبب طبيعة الدراسة ومساعيها لسدّ الفجوة بين حقلَي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية، فإن جلّ ما استعرضته إلى الآن لا يزال في المستوى نفسه الذي توقفت عنده غالبية الإسهامات المنطلقة من أرضية عابرة للتخصصات تربط بين حقل العلاقات الدولية وعلوم التاريخ والنفس والاجتماع، أو حقل تحليل السياسة الخارجية وبقية العلوم الاجتماعية، لكن دون أن تتمخض عن إسهام يصل حقل العلاقات الدولية بحقل تحليل السياسة الخارجية لدراسة تفاعل الذاكرة والاعتذار. وبناء عليه، تنظر الدراسة تاليًا في جذور الفصام بين الحقلين، مرورًا بإشكالات نظريات التيار السائد، وصولًا إلى المقاربات البنائية التي نزعم قدرتها على تقديم إسهام لبناء الجسر المنتظَر.

منذ أن أعلن ديفيد سينغر في مقالته الشهيرة "إشكالية مستوى التحليل في العلاقات الدولية"، عن وجود ثلاثة مستويات للتحليل في العلاقات الدولية هي الفرد، والدولة، والنظام الدولي[26]، اتسعت الفجوة بين حقلَي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية، إلى درجة أن كليهما صارا ينطلقان من أرضية نظرية مختلفة. ففي حين يَنطلق حقل العلاقات الدولية من أسس نظمية Systemic تُدرَس من خلالها علاقات الدول في مستوى النظام الدولي وما يقدمه من حوافز وقيود على الوحدات المتفاعلة فيه، فإنّ حقل تحليل السياسة الخارجية ينطلق من أرضية سلوكية Behavioral تعطي الأفضلية التفسيرية لصناع القرار والأبعاد الداخلية للدولة.

تُرجع فيندولكا كابلكوفا ذلك الفصام إلى الثورة العلمية في العلوم الاجتماعية في خمسينيات القرن العشرين والتي على إثرها برزت "المثنوية التقليدية" Traditionalism في مقابل "السلوكية العلموية" Scientism[27]؛ فعلى عكس المنطلقات التقليدية التي غلبت عليها الطبيعة الفلسفية، مثّلت العلموية نزعة لمماثلة أسس حقل العلاقات الدولية بأسس العلوم الطبيعية التجريبية والإحصائية، ما خلق مشروعًا نظريًا مهيمنًا يركز على التفسيرات النظمية لسلوك الدول، وهو ما يعرف بنظريات التيار السائد التي تضم تحت جناحيها الواقعية الجديدة والليبرالية المؤسساتية، على حساب حقل تحليل السياسة الخارجية المتمسك بأهمية الفرد وأثر الجماعة في المستويات الجزئية للتحليل[28].

برعت نظريات التيار السائد وخصوصًا واقعية كينيث والتز الجديدة في تقديم تفسيرات ممنهجة لكيفية تفاعل الدول. ففي كتابة الشهير **نظرية السياسة الدولية** (1979)، قدّم والتز نظرية للعلاقات الدولية تنطلق من مفهوم "بنية النظام الدولي" الأشبه بطاولة البلياردو التي تضم وحداتٍ دوليةً تستجيب للتفاعل الدائر على تلك الطاولة بما يشبه الاستجابات الآلية التي تبديها "كرات البلياردو"[29] المتصادمة مع بعضها؛ الأمر الذي رسم لهويات الدول صورة تُقصي متغيراتها الداخلية، وتُبقي على التصورات العقلانية المختزلة للدولة في صندوق أسود يعين باحثي الحقل على تجاوز الفوضى التحليلية التي قد تنجم عن إثارة ما يكتنفه ذلك الصندوق من أبعاد هوياتية وقيمية ومعيارية؛ ما رسخ الافتراضات العقلانية حول سلوك الدولة بوصفه كيانًا يسعى لتحقيق أهدافه المادية عبر تعظيم المكاسب وتقليل التكاليف، في ظل بيئة دولية فوضوية يغلب عليها الصراع من أجل البقاء. وسواء تعلق الأمر بالواقعية الكلاسيكية أو الكلاسيكية الجديدة تظل سلوكات الدول مدفوعة بالسعي لتحقيق الأمن

25 Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge: University Press, 1999), pp. 92-96.

26 David Singer, "The Level-of-Analysis Problem in International Relations," *World Politics*, vol. 14, no. 1 (1961);
وللمزيد حول المراجعات الحديثة التي عرفها المفهوم، ينظر: محمد حمشي، "مدرسة باريس للدراسات الأمنية وإشكالية مستوى التحليل في العلاقات الدولية"، **السياسة الدولية**، العدد 212 (نيسان/ أبريل 2018).

27 Vendulka Kubálková, *Foreign Policy in A Constructed World* (Abingdon, Oxon: Routledge, Taylor & Francis Group, 2001), pp. 17-18.

28 Valerie M. Hudson, "Foreign Policy Decision-Making: A Touchstone for International Relations Theory in the Twenty-first Century," *Foreign Policy Decision-Making (Revisited)*, 1/20/2002, accessed on 27/3/2021, at: https://bit.ly/3bRsl7B

29 Kenneth N. Waltz, *Theory of International Politics* (Long Grove, IL: Waveland Press, 1979), pp. 66, 93, 101.

والبقاء. ولهذا يشير جان ألينز إيهونو وآخرون إلى أن تأكيد الواقعيين أولوية السياسة العليا المدفوعة بالقوة لتحقيق المصلحة الوطنية نابعٌ من افتراض يرى أن اعتماد الدول على الأخلاق والقانون والعاطفة رهانٌ خاسر لا يضمن مصالحها وأمنها وبقاءها[30].

على الجانب الآخر، لم يوافق الليبراليون المؤسساتيون، أمثال روبرت كيوهين، هوى الواقعيين في التقليل من أهمية فرص التعاون بين الدول، بل أكدوا إمكانية تخفيف حالة الفوضى عبر تعزيز أدوار المؤسسات الدولية التي تخلق نوعًا من الثقة بين أطرافها[31]. فمع زيادة الاعتماد المتبادل Interdependence على الصعيد الدولي، جنبًا إلى جنب مع تنامي أهمية السياسة الدنيا في مسائل حقوق الإنسان والمناخ والعدالة، صارت الدول أشد حساسية حيال الضغوط المعيارية الدولية القادمة من الفواعل غير الحكومية، وبات امتناع الدول عن تلبية مطالب الاعتذار وتقديم التعويضات مقدمةً لرفع دعاوى قضائية دولية وممارسة مقاطعات اقتصادية ودبلوماسية تدفع بالدول للمضي قدمًا نحو المصالحة[32]. ويرفض الواقعيون الجدد هذه الحجج لسببين رئيسَين، يتمثل أولهما في أن الدولة هي الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية، ولا يمكن المؤسسات الدولية أن تكون بالأهمية عينها. أما ثانيهما، فيتمثل في أن إمكانية ضبط المؤسسات الدولية لسلوك الدول تتوقف على احتمال وجود تقاطع عارض بين المعايير الدولية ومصالح الدول العقلانية[33].

وبالرغم من محاولات المؤسساتيين، فإنّ نظريات التيار السائد لم تسلم من المناكفات النظرية القادمة من التأمليين النقديين الساعين لتفكيك المقاربات العقلانية لطبيعة الفاعلين والبنى الدولية؛ فعلى خلاف التيار السائد، يَفترِض التأمليون أن العالم الاجتماعي أشد تعقيدًا مما يبدو عليه من منظور العقلانيين الاختزالي؛ إذ أعادوا استشكال البعد الهوياتي والمصلحي للفاعل، مع رفض الانطلاق من أي جوهر "معطى" كامن في هويته ومصالحه.

ومن بين إسهامات التأمليين ذاع صيت الإسهامات البنائية لسببين؛ يتمثل الأول في تقديمها أرضيــة إبستيمولوجية وسيطة Via media تتعالى على المثنويات التي سلبت مخيال الحقل سنين طويلة[34]. أما الثاني فهو عجز نظريات التيار السائد عن التنبؤ بنهاية الحرب الباردة، وعجزها عن تفسيرها بعد نهايتها؛ وذلك بسبب افتقارهم إلى الأسس الأنطولوجية الاجتماعية اللازمة لفهم التحولات التي أفضت إلى نهايتها.

وقد مهّد ولوج العوامل المتعلقة بالأفكار Ideational في نظريات الحقل إلى انخراط التيار البنائي في حقل تحليل السياسة الخارجية أو على الأقل التقارب مع مفاهيمه؛ إذ رأى البنائيون أن الفصام بين الحقلَين مأزق لا بد من تجاوزه، وهو ما تجلى في إسهامات عديدة، مثل إسهام مارثا فاينمور التي سعت لردم تلك الهوة عبر إعادة التفكير في مثنوية الفاعل-البنية من خلال إعادة التفكير في المصالح؛ إذ قامت فاينمور أولًا بالتثبيت المنهجي Methodological bracketing للفاعلية من أجل توضيح قوة الهياكل الاجتماعية في دراسة الحالات الثلاث التي تناولتها، ومن ثم عكست ذلك التثبيت متسائلة عن المصدر الذي أتت منه البنى المعيارية المؤثرة في مصالح الدول وهوياتها[35].

ومع ذلك، لم يتوقف إسهام البنائيين عند براعة حلولهم الأنطولوجية والإبستيمولوجية لتلك المثنويات المتعارضة، ولم تقتصر إسهاماتهم على كونها أرضية ملاءمــة للتقارب مع حقل السياسة الخارجية؛ فقد قدموا إسهامات مفيدة تتعلق بمسألة الذاكرة الوطنية؛ إذ أشار إريك لانجنباخر، على سبيل المثال، في دراستــه "الذاكرة الجماعية بوصفها عاملًا في الثقافة السياسية والعلاقات الدولية"، إلى أن التطورات النظرية والمفهومية الأخيرة في مجال العلاقات الدولية قد طورت ما يشبه حقلًا فرعيًا معنيًا بدراسة الذاكرة الجمعية Collective memory، ويشيد لانجنباخر بالإسهامات البنائية التي انخرطت في نقدٍ فذّ للنماذج السائدة في الحقل، والتي تعيق إقحام الذاكرة في حيز التحليل عبر تركيزها على جوانب تعظيم القوة والمخاوف الأمنية والأولويات العسكرية بافتراض تقديمها تفسيراتٍ شاملةً تنبؤيةً بالسلوك الدولي، وقد تبيّن لاحقًا أنها لا تقدم سوى تفسيراتٍ جزئية للواقع[36]. ولم يتوقف الأمر عند البنائيين على تقديمهم نقدًا للتيار السائد، كما هو الحال عند بقية التأمليين، فقد

30 Jean-Allens Iheonu, Frank-Collins Okafor & Raphael Eze, "Realism and Apology Diplomacy in the Conduct of International Relations: A Study of Hiroshima and Nagasaki," *IOSR Journal of Humanities and Social Science*, vol. 25, no. 8 (August 2020), pp. 31-32.

31 Robert O. Keohane, *After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984), pp. 52, 80-84.

32 Thomas U. Berger, "Sorry States in a Sorry World: Beyond German Exceptionalism," *Journal of East Asian Studies*, vol. 9, no. 3 (2009), p. 347.

33 محمد حمشي، "النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية: نحو إقحام نظرية التعقد داخل الحقل"، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة1 الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2017، ص 40.

34 Wendt, pp. 38-39.

35 Martha Finnemore, *National Interests in International Society* (Ithaca: Cornell University Press, 1996), p. 25.

36 Eric Langenbacher, "Collective Memory as a Factor in Political Culture and International Relations," in: Eric Langenbacher, Yossi Shain (eds.), *Power and the Past: Collective Memory and International Relations* (Washington, DC: Georgetown University Press, 2010), p. 21.



حاولوا استكشاف معنى أن يكون سلوك الدولة مبنيًا اجتماعيًا وتاريخيًا وثقافيًا، وكيف أن هذا السلوك في حاجة إلى إقحام الهويات والمصالح والقيم والمعايير لكي يُفهَم بصورة أعمق[37].

ولم تكن محاولة البنائيين استكشاف ذلك بمعزل عن الذاكرة؛ فعلى سبيل المثال، حين ناقش ألكسندر ونت مسألة الهوية والمصالح كانت الذاكرة أحد أهم العناصر المكونة لهوية الفاعلين الشخصية "I"، والتي تتحول لاحقًا إلى هوية مؤسسية أو هوية دولة عبر الشعور بما يكتنفه الحديث بضمير الجمع "نحن" "we"، الذي يتطلب بناء سردٍ مشترك للذات الجماعية، استنادًا إلى ما يحمله الفاعلون في الذاكرة الجمعية[38]. ويتقاطع ذلك مع ما ذكره دنكان بيل؛ فـ "الهوية هي أحد مفاهيم العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة [...] التي تؤدي من خلالها الذاكرة دورًا مفصليًا"[39]. وهذا ما يؤكده لانجنباخر من أن الهويات الجمعية هي أشبه ما تكون بأجزاء ثقافات تسمح للأفراد بتوجيه أنفسهم في سياق أكبر يوفر لهم المعنى، وهو السياق الذي تؤدي فيه الذاكرة دور الشاهد أو المتحقق من وجود الذات[40]، فما تتذكره الجماعات حيال ماضيها وحاضرها يعينها على فهم "من هي؟" و"ماذا تمثّل؟"؛ الأمر الذي تتولد عنه ارتباطات عاطفية تضامنية مبنية على الثقة، ويرتبط إلى حد ما بما أكده بيير نورا من غياب أي ترادف مفهومي بين التاريخ والذاكرة، فـ "الذاكرة مقدسة، والتاريخ مدنس، الذاكرة حية تطورية تفاوضية تنتمي إلى ماضي جماعات معينة وحاضرها، في حين أن التاريخ هو إعادة بناء للماضي بأسلوب تحليلي [...]، التاريخ حقائق باردة وجافة، والذاكرة عاطفية معاشة وحاضرة"[41]. ولهذا تعدّ الذاكرة مفهومًا أقرب إلى الأبعاد الوطنية والهوياتية والسردية مقارنة بالتاريخ، فبها تحيا أساطير الأمم وأمجادها وصدماتها، فتصير جزءًا لا يتجزأ من ثقافتها السياسية التي يجري إنتاجها، بل يعاد إنتاجها باستمرار.

وبالرغم من إشادة لانجنباخر بالإسهامات البنائية وقدرتها على التنظير لمسألة الذاكرة، فإنه يعيب عليها قلة اهتمامها بها، وخصوصًا ما تجلى في إسهام بيتر كاتزنشتاين المعنون بـ **القوة المروَّضة: ألمانيا في أوروبا**، الذي يخلص فيه إلى حقيقة ارتباط العلاقات الأوروبية الألمانية بتاريخ ألمانيا وذاكرتها الجمعية التي تقود سلوك ألمانيا نحو إبراز قوّتها عبر مؤسسات الاتحاد الأوروبي بدلًا من إظهارها في معانٍ قومية منبثقة من ذاكرتها النازية التي أفضت إلى مصائب ماضيها، وأصبحت عاملًا يرسم السياسات الأوروبية منذ عام 1945[42]، فمن وجهة نظر لانجنباخر اختزل كاتزنشتاين مسألة الذاكرة "في خمس صفحات دون أن يتطرق إلى ديناميتها"[43].

صحيح أن الإسهامات البنائية لم تقدّم الكثير فيما يتعلق مباشرة بمسألة الذاكرة، ولكن ما تمتلكه من مفاهيم وأدوات تحليلية كفيل بأن يجعلها أحد أهم المداخل المفيدة للنظر في علاقة الذاكرة بالسياسة الخارجية؛ فمن زاوية تبرع البنائية في سدها الفجوة بين حقلَي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية، ومن زاوية أخرى تمتلك القدرة على إثارة مفاهيم الهوية والثقافة والأفكار والسرد التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالذاكرة وما تحمله من ذكريات تُفضي إلى ممارسة الاعتذار تجاه ضحايا الماضي. يقودنا كل ذلك في نهاية المطاف إلى تجاوز منطق لانجنباخر الذي يحتفي بإسهامات البنائيين، ومن ثم يُعرِض عنها لصالح الأدبيات المعهودة التي تطرقت إلى ذلك الارتباط المباشر بين الذاكرة والسياسة الخارجية في معزل عن نظريات الحقل. وبناء عليه، تستعرض الدراسة تاليًا نسختين من التيار البنائي تمكّنتا من تقديم أرضية تجسيرية للحقلين، وفي الوقت نفسه تعدّان ملائمتين لدراسة أثر الذاكرة في السياسة الخارجية، عبر إثارتهما الأبعاد الهوياتية والسردية التي تحيي أساطير الأمم وصدماتها، وتعيد إنتاجها في شكل تذكرٍ مستمر للماضي، وهما "البنائية المجتمعية" لتيد هوف و"البنائية النقدية" لنزار مساري.

لكن قبل ذلك، لا مناص من أن نأتي سريعًا على ذكر أحد أهم الإسهامات التي اقتربت إلى حد ما من التوليفة التجسيرية لدراسة الذاكرة والاعتذار، وهو عمل أزولاس باجدوناس الذي يضع نفسه في إطارٍ عابر للتخصصات ينطلق من أرضية تحقيقات فلسفية لمعضلة المسؤولية الجماعية[44]، ومع ذلك ناقش في دراسته مسألة الاعتذار ببراعة؛ إذ سلط الضوء على دور الهوية السردية في تشكيل ممارسة الدول للاعتذار؛ ما أتاح له التوفيق بين البعدَين اللغوي والنفسي لممارسات الاعتذار، والذي تمثل في أفكاره حول "الحفاظ على صورة الذات"، و"حفظ ماء الوجه"، و"التعافي من الصدمات الوطنية"، و"التجديد الأخلاقي" و"المصالحة".

37 Ibid., pp. 21-22.

38 Wendt, pp. 224-225.

39 Duncan Bell, *Memory, Trauma and World Politics: Reflections on the Relationship between Past and Present* (Houndmills: Palgrave Macmillan, 2006), p. 5.

40 Ibid., p. 22.

41 Nora, pp. 7-24.

42 Peter J. Katzenstein, *Tamed Power: Germany in Europe* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1997).

43 Langenbacher, "Collective Memory," p. 23.

44 Bagdonas, p. 12.

إن طرح باجدوناس مفاهيم، على غرار المصالحة والصدمات الوطنية، يحيلنا إلى مسألة الاعتذار المحلي التي غالبًا ما تناقش في إطار أدبيات "العدالة الانتقالية"، وهي الأدبيات التي تبحث دور المصالحة المحلية في التكفير عن أخطاء الماضي وتيسير عملية الانتقال الديمقراطي، بعيدًا عن النزاعات ودوامات العنف على المستوى المحلي؛ إذ ثمة ارتباط بين العدالة الانتقالية والاعتذار؛ فتوصيف العدالة الانتقالية يكتنف خمسة جوانب، هي: الحقيقة، والعدالة، وجبر الضرر، وضمانات عدم التكرار، والمصالحة[45]، ثلاثة من تلك الجوانب هي أساس لأيّ اعتذار يتسم بالصدق، وهي: الحقيقة أو "الإقرار بارتكاب خطأ ما"، والالتزام بجبر الأضرار المترتبة على الخطأ، وتقديم ضمانات للضحية بعدم تكرار الخطأ في المستقبل.

علاوة على ذلك يأتي إسهام باجدوناس في سياق تقديره أهمية "الجمهور" و"البنى" و"الوقت" في حالات الاعتذار التاريخية على المستوى الدولي. وينظر في أثر اعتذار الدول أو مطالبتها بالاعتذار في إنتاج الهوية الوطنية؛ مشيرًا إلى إسهاماتها في تحديد القيم التي ينبني عليها المجتمع السياسي، ووصوله إلى تصورٍ مشترك حيال الأحداث التاريخية الوطنية. فضلًا عن ذلك، يناقش باجدوناس أثر السرديات المحلية في اتخاذ قرار الاعتذار من الدولة الضحية، مؤكدًا اعتماد ذلك على مدى توافق الروايات بين الجاني والضحية[46]. وهنا يُلفت أنظارنا إلى مسألة مفصلية في تفاعل الذاكرة والاعتذار وهي مسألة الهوية السردية؛ فالاعتذار الصادق يستلزم استيعابًا لوجهة نظر الضحية و"روايتها" في السردية الذاتية للجاني، وبذلك يصبح للاعتذار دورٌ في تغيير التمركز على الذات في القصة التي يرويها الجاني عن نفسه؛ إذ إن حالات الاعتذار الصادقة تتجاوز مسألة تأكيد الجاني للقواعد التي انتهكها إلى إعادة تشكيله السردية التي يقدمها عن ذاته؛ نتيجة لاستيعابه تصورات الدولة الضحية وسرديتها التاريخية، لكن ذلك لا يكلَّل بالنجاح دائمًا، فعلى الرغم من الضغوط المعيارية التي يفرضها النظام الدولي على الدول "للتصالح مع ماضيها" ومواءمة سردياتها مع سرديات المجتمعات في الدول الضحايا، فقد تطفو على السطح سرديات قومية مضادة لإعادة تغيير السردية المهيمنة، أو قد تأبى السردية الرسمية للدولة التخلي عن البطولات القومية المنتقاة من الماضي[47].

45 جيريمي ساركين، "لماذا ينبغي مفهمة العدالة الانتقالية في البلدان العربية نظريًا وتجريبيًا؟"، **سياسات عربية**، مج 8، العدد 47 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2020)، ص 13.

46 Bagdonas, p. 50.

47 Ibid., p. 65.

يتقاطع إسهام باجدوناس مع إسهام هوف في مسألة الهوية السردية؛ إذ يقدم هوف محاولةً لفهم الكيفية التي تُدرِك من خلالها الدول هوياتها الجمعية Collective identities، وكيف يؤثر إدراكها في سياستها الخارجية وفهمها للدول الأخرى؛ فعلى خلاف التيار البنائي السائد، نسخة ألكسندر ونت الذي ظل إسهامه عالقًا في البعد الاجتماعي الدولي لهوية الدولة بوصفها نتاجًا للبنية الثقافية البينذاتية Intersubjective، يسعى هوف لإثبات ارتباط الهويات المحلية سببيًا وتكوينيًا بتوجهات السياسة الخارجية، عبر تشكيلها "تفاهمات بينذاتية مجتمعية" ترسم سردية صريحة لطبيعة التهديدات والفرص، والأصدقاء والأعداء[48]. وانطلاقًا من منطلقاته الممارساتية Practice، يجادل هوف بأن عملية إنتاج تلك التفاهمات وإعادة إنتاجها تجريان عبر سردية مجتمعية خطابية تتمظهر في شكل عادات روتينية يومية Habits تحافظ على استمراريتها بالذاكرة المعاشة[49]. وبالرغم من حيازة التفاهمات المجتمعية تلك الأسبقية التحليلية عند هوف، فإنه لا يغيّب الأبعاد الدولية البنيوية التي تسهم في تشكيل الهويات الوطنية عبر التفاعل الرمزي المستمر بين الدول. ففي نهاية المطاف، نسخته من البنائية هي مزج مُحكم بين منطقَي الملاءمة Logic of appropriateness والعادة Habit والتفاعل الرمز Symbolic interaction.

وبسبب طبيعة نسخته الممارساتية من البنائية، والتي تعطي قيمة تفسيرية لمنطق العادة والعادات الروتينية التي تقدمها الهوية السردية، يفتح إسهام هوف مدخلًا نظريًا للتقاطع مع عدد من الدراسات التي بحثت في مسألة الأمن الأنطولوجي وعلاقته بالروتين والسرد، ومن بين تلك الإسهامات تبرز أعمال التيار البنائي الذي سعى لتوظيف أفكار أنتوني غيدنز المتعلقة بدور السرد الروتيني في الإبقاء على حالة الأمن الأنطولوجي عند الفاعلين[50]. إذ قدمت جنيفر ميتزن إسهامًا تطرقت فيه إلى أهمية العلاقات الاجتماعية الروتينية في إضفاء نوع من الاستمرارية السردية واليقين المعرفي المستقر في البيئة الدولية؛ لأن الفاعلين في حاجة إلى الشعور بالأمان

48 Ted Hopf, *Social Construction of International Politics: Identities & Foreign Policies, Moscow, 1955 and 1999* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002).

49 Ted Hopf, *Reconstructing the Cold War: The Early Years, 1945-1958* (New York: Oxford University Press, 2014), pp. 8, 20.

50 يعرّف أنتوني غيدنز الأمن الأنطولوجي بأنه: الحالة التي يشعر من خلالها المرء باستمرارية الأحداث وانتظامها في حياته، وهي غالبًا ما تكون مرتبطة بأمن الذات وفهمها لنفسها في ظل ماضي خبراتها وعلاقاتها الاجتماعية، إذ ينذر فقدان الذات لأمنها الأنطولوجي بتلاشي معناها وفهمها لذاتها ودخولها في حالةٍ من التناقض، وربما إعادة إنتاج الذات، الأمر الذي يتأتى منه معضلات شتى تتمظهر لاحقًا على مستوى السلوك. للمزيد، ينظر:
Anthony Giddens, *Modernity and Self-Identity* (Cambridge: Polity Press, 1991).

الهوياتي والأنطولوجي ليتابعوا السعي إلى غاياتهم، فالإجراءات الروتينية تعمل على "تهدئة البيئة المعرفية"، وتزويد الفاعلين بمعنى العالم وطرائق التعامل المعتادة فيه؛ ما يشكل ملاذًا للفاعلين من الخوف والفوضى[51]. وترى جيني إدكنز أن التكاليف النفسية الناجمة عن كسر عادات السرد الروتينية واستقراره باهظة على الفاعلين، فلمّا كانت الذاكرة أداةً لإنتاج الوجود السياسي وإعادة إنتاجه فإن خرق المجتمعات عاداتها السردية كفيلٌ ببروز صدمات مجتمعية تأخذ شكل تشوهات زمنية غير قابلة للتفسير أو التنبؤ بها؛ ذلك أنها لا تندرج ضمن الإطار المعرفي للذات، ما ينجم عنه ذاتٌ ممزقة السرد مفتقرة إلى تماسكها الزمني والهوياتي، وبطبيعة الحال، أمنها الأنطولوجي[52].

أشرنا سابقًا إلى تقاطع إسهام باجدوناس مع إسهام هوف في مسألة الهوية السردية، إلا أن ذلك لم يتوقف عند هوف فحسب؛ إذ يمكن رصد تقاطع بين مسألة إنتاج الهوية الوطنية عند باجدوناس مع الإسهام الذي يقدمه نزار مساري في نسخته من البنائية النقدية، التي يتجاوز من خلالها التفسيرات السائدة لدور السياسة الخارجية بوصفها أداة لبناء الجسور بين الدول، لصالح المحاجّة بوصفها "أداة لبناء الهويات والمصالح الوطنية"، فانطلاقًا من الإرث النقدي لمنظري العلاقات الدولية ما بعد الحداثيين، أمثال ديفيد كامبل David Campbell وآر بي جي والكر R. B. J. Walker، يثير مساري مسائل الهوية والأفكار والغيرية ومفصلية تمثيلات الخطاب discourse representations في السياسة الخارجية[53] بوصفها أدوات لبناء هوية الذات؛ ذلك أن تعامل الذات مع الآخر[54] "العدو" يجعل السياسة الخارجية أداة لتمثيل Represent الآخر على أنه تهديد لمعنى الذات وأحيانًا لوجودها، وفي هذه العلاقة يعاد إنتاج هوية توصيفها "ما ليست عليه الأنا"؛ فيصبح الداخل آمنًا ومسالمًا وخيرًا ومتفوقًا، والآخر نقيض ذلك. وبناء عليه، فلا

51 Jennifer Mitzen, "Ontological Security in World Politics: State Identity and the Security Dilemma," *European Journal of International Relations*, vol. 12, no. 3 (2006), pp. 346-347.

52 Jenny Edkins, *Trauma and the Memory of Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003).

53 هنا يرى مساري أن الكلام أو الخطاب كالفعل saying is doing، فكلمات صناع القرار مهمة كأفعالهم، فما يقال أو ما يُصمَت عنه مهمّ لصنع الهوية وإعادة صنعها، وهو منطق يتقاطع مع ما أشرنا إليه في مسألة أفعال الخطاب.

54 ناقشت أدبيات العلاقات الدولية مفهوم الآخر انطلاقًا من المثنويات المتناحرة بين الداخل والخارج، المحلي والدولي، الآمن والمهدد، الغرب والشرق، فمثلًا يقبل التيار السائد ثنائية الخارج الفوضوي المهدد في مقابل الداخل الآمن وهكذا دواليك. في حين أن التيار النقدي كما في أعمال آشلي يدرس كيفية بناء الثنائيات عبر ما أسماه الممارسات البطولية التي يتمثل فيها الشق الأول البطولي تمثيلًا إيجابيًا، لكي يجري تمثيل الآخر تمثيلًا سلبيًا.

> يتضح أن الفصام المصطنع بين حقلَي العلاقات الدولية والسياسة الخارجية، ما هو إلا نتاج أدوات منهجية حكَمت المخيال المعرفي لباحثي الحقل، نتيجة ارتباطها بإسهامات مهمة لباحثي التيار السائد، مع ذلك تقدم البنائية مدخلاً مفيدًا لإمكانية التجسير بين الحقلين وإقحام الذاكرة والهويات والخطاب والسرد والأفكار في حيز التحليل، وهي الأبعاد التي غيّبتها الأسس الأنطولوجية والإبستيمولوجية لباحثي التيار السائد بوصفها ميتافيزيقية وغير قابلة للقياس، وبوابة للفوضى البحثية في الحقل

أخلاق مقيدة لسلوك الأنا تجاهه، ولا ندم حيال إقصائه وتهميشه أو حتى إبادته. على خلاف ذلك، تتلاشى تلك التمثيلات السلبية عند الآخر "المشابه"؛ إذ تعيد السياسة الخارجية تأكيد "ما هي عليه الأنا"، عبر تمثيل الآخر على أنه جزء قريب من الذات ينبغي "أخلاقيًا" الدفاع عنه وحمايته[55].

في ضوء ما تقدم في هذا المبحث، يتضح أن الفصام المصطنع بين حقلَي العلاقات الدولية والسياسة الخارجية، ما هو إلا نتاج أدوات منهجية حكَمت المخيال المعرفي لباحثي الحقل، نتيجة ارتباطها بإسهامات مهمة لباحثي التيار السائد، مع ذلك تقدم البنائية مدخلًا مفيدًا لإمكانية التجسير بين الحقلين وإقحام الذاكرة والهويات والخطاب والسرد والأفكار في حيز التحليل، وهي الأبعاد التي غيّبتها الأسس الأنطولوجية والإبستيمولوجية لباحثي التيار السائد بوصفها ميتافيزيقية وغير قابلة للقياس، وبوابة للفوضى البحثية في الحقل. وقد ركزنا في هذا الإطار على إسهامين بنائيَين مفيدين لإقحامهما في المناقشة الآتية التي ستنظر في تفاعل الذاكرة مع الاعتذار، وتمظهرهما في السياسة الخارجية لألمانيا وتركيا.

55 Nizar Messari, "Identity and Foreign Policy - The Case of Islam in U.S. Foreign Policy," in: Vendulka Kubálková (ed.), *Foreign Policy in a Constructed World* (Abingdon: Routledge, 2002), pp. 227-228, 236.

ثانيًا: اعتذار ألمانيا وإحجام تركيا عن الاعتذار: مناقشة عامة

"لا هوية ألمانية من دون الأوشفيتز. ستظل ذكرى الهولوكوست أمرًا يخص كل المواطنين الألمان، إنها جزءٌ من تاريخ البلد". الرئيس الألماني الأسبق يواخيم غاوك Joachim Gauck (2012-2017)، 2015.

سنكون على استعدادٍ لمواجهة تاريخنا إذا كان ثمة شيءٌ لنواجهه في المقام الأول. وعلى الجميع أن يعرف أنّ تاريخ تركيا لا يرتبط بالإبادة الجماعية. الرئيس التركي رجب طيب أردوغان (2014-)، 2005.

انطلاقًا من هذين الاقتباسين، يحاول هذا المبحث تقديم مناقشة عامة يُسقط من خلالها التجريدات النظرية والمفهومية الآنفة على واقع ممارسات الاعتذار واللا اعتذار الدولية[56]، لفهم الدوافع الكامنة خلف بقاء ألمانيا رهينة أشباح ماضيها وسياساتها الاعتذارية المحابية لإسرائيل من ناحية، وتجاوز تركيا ذكريات تهجير الأرمن وتبنّيها سياسة خارجية تقاوم الضغوط الدولية الدافعة نحو الاعتذار من ناحية أخرى.

1- ألمانيا وإسرائيل: من العُذر إلى الاعتذار

ذكرنا في المبحث السابق إسهام مساري الذي تعامل من خلاله مع الهوية وفق منطق علائقي Relational، مركّزًا على نوعين من الغيرية Otherness: يتمثل النوع الأول في أن الآخر العدوّ الذي يعيد إنتاج هوية الذات وفق معانٍ تتناقض مع ما يمثّله من قيم ومعايير وصفات، وينتج من ذلك سلوكات غير مقيدة تجاهه، فيصير نبذه أو إبادته أمرًا ممكنًا ومسوغًا. ويتمثل الثاني في أن الآخر المشابه الذي تنخرط الذات معه في تفاعلٍ إيجابي يسلط الضوء على التشابهات بينهما، ثم يعيد تعزيز تلك التشابهات في الهوية الوطنية للذات وسردياتها وسلوكياتها، ليصبح الآخر جزءًا أصيلًا منها.

في ضوء ما سبق، نناقش في هذا المبحث التمثيل الألماني للآخر اليهودي/ الإسرائيلي، وقد مر بمرحلتين؛ الأولى مثلت فيها السياسة الألمانية يهودَ الداخل والخارج بوصفهم الآخر (العدو)، والثانية مثلت فيها السياسة الخارجية الإسرائيلي بوصفه الآخر (المشابه)، وجزءًا لا يتجزأ من الذات الألمانية. ونبدأ نقاش هذه الحالة بالمرور سريعًا على مسألة الهولوكست وما حام حولها من التباساتٍ أفضت إلى المبالغة في التهويل من ويلاتها. ومن ثَمّ نستعرض سريعًا مرحلية السياسة الخارجية الألمانية المحابية لإسرائيل[57] والمعتذرة لها عن أخطاء ماضيها، وكيف انعكست تلك السياسة على الهوية الوطنية الألمانية التي أعيد إنتاجها لتتوافق مع الموقف الألماني المعتذر، ونختم دراسة الحالة باستعراض سريع لأهم الاستنتاجات المستقاة من التجربة الألمانية.

يؤكد نورمان فينكلشتاين Norman Finkelstein في كتابه **كيف صنع اليهود الهولوكوست؟ "المحرقة"** أن الهولوكوست صناعة أيديولوجية. وهي كحال كثيرٍ من الأيديولوجيات وإن كانت على قدرٍ من الصلة بالواقع فإنها تتأسس على دعم مصالح سياسية واجتماعية لفئةٍ ما. ففي أعقاب أحداث عام 1967 تجلّت باكورة استغلال إسرائيل للهولوكوست في رسم صورةٍ عن نفسها تبين فيها أنها دولة ضحية؛ الأمر الذي مكّنها من ابتزاز المال الأوروبي والحفاظ على حصانة غير مسوغة أبقتها صامدة في وجه الانتقادات التي شملت ممارساتها المجحفة في حق الشعب الفلسطيني[58]. وأفضى اصطناع الهولوكوست وما زامنه من حياكة أكاذيب زَيّفت حقائق التاريخ، وأكدت فرادة المأساة اليهودية وتغييب معاناة الضحايا الآخرين إلى منح اليهود خصوصية نفسية وعاطفية تماشت مع هويتهم المزعومة بأنهم شعب الله المختار، وإلى حيازتهم رأسَ مال أخلاقيًا كان ولا يزال مسوغًا أساسيًا لنشأة إسرائيل ودفاعها عن نفسها واستمرارية وجودها غير المشروع[59]، ولم تتوقف حدود ذلك الاصطناع على تحقيق اليهود مآرب مادية، بل تعاظم الأمر إلى حد المغالاة في مطالبة ألمانيا بتقديم اعتذار يشمل إقحام الشعب الألماني في تبلور تلك المأساة ومآلاتها.

فعلى سبيل المثال، يؤكد توماس بيرغر أن الغالبية الألمانية لم تكن تشعر بالذنب حيال ما تمارسه السلطة تجاه الأقليات وخصوصًا الأقلية اليهودية، فالبروباغاندا النازية أعادت صقل الهوية الألمانية، على يدي وزير الدعاية النازية بول يوزف غوبلز Paul Joseph Goebbels على نحو تمكن فيه الخطاب النازي من رسم صورة إيجابية للجنود النازيين، وما يقترفونه في معسكرات الاعتقال، الأمر الذي شلّ قدرة الشعب على تكوين أي مقاومة خطابية أو حتى الشعور بالذنب Guilt حيال ما يُرتكب[60].

56 ثمة سجل تاريخي حافل بحالات الاعتذار والامتناع عن الاعتذار في السياسة الخارجية، ولا يمكن أن تحيط به دراسة بهذا الحجم.

57 يوجد أثر كبير للشعور بالذنب والندم في توجهات السياسة الخارجية الألمانية تجاه إسرائيل.

58 نورمان فنكلشتاين، **كيف صنع اليهود الهولوكوست؟! "المحرقة"**، ترجمة ماري شهرستان، ط 3 (دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 2012)، ص 25. إن استخدام عبارة "صناعة المحرقة" يعني التمييز بين المحرقة بوصفها واقعة تاريخية وما بُني حولها من سرديات وهويات اجتماعية، وقد كان لذلك دور في الضغط على السياسة الخارجية الألمانية لتحميل الألمان كلهم مسؤولية ما حدث.

59 المرجع نفسه، ص 79.

60 Thomas U. Berger, *War, Guilt, and World Politics After World War II* (Cambridge: Cambridge University Press, 2012).

ولم يتوقف الأمر عند تحميل الشعب الألماني مسؤولية تلك الممارسات بل وصل إلى حد تغييب معاناة الضحايا غير اليهود وتضخيم المعاناة اليهودية. فبالنظر في حيثيات الهولوكست التي جرت فيها الإبادة الجماعية الممنهجة ليهود أوروبا ولأقلياتٍ ألمانية خلال السنوات الست الممتدة من 1933 إلى 1939، يجادل إسحاق فرهاديان، مشددًا على معاناة اليهود، بأنه منذ صعود أدولف هتلر Adolf Hitler (1933-1945) إلى السلطة، بدأت ألمانيا تنتهج سياسة داخلية قائمة على مجموعة من القوانين العرقية التي فصلت اليهود الألمان عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحجة اختلاف دمهم وعرقهم عن الدم الألماني الآري المتفوق[61]، وانتهت بمحاولات دفع اليهود الألمان إلى مغادرة ألمانيا. ولكن إبان الحرب العالمية الثانية زادت حدة الوتيرة؛ إذ ارتكب النظام الألماني النازي جرائم، قتل فيها ما يقارب ثمانين في المئة من يهود أوروبا[62].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي تكبدت فيها ألمانيا خسائر فادحة[63]، مرّت الهوية الألمانية بعملية إعادة إنتاج، وكان لسلسلة الممارسات المعتذرة (لليهود) في السياسة الخارجية دورٌ في إعادة بناء الذاكرة الألمانية؛ ما أفضى إلى التحول السردي والتمثيلي للآخر اليهودي من عدو إلى صديق. ويؤكد ستيفن إنغرت أنها قد انطلقت من كونها أعذارًا Excuses عن الماضي إلى ممارسات اعتذار Apologies[64] حقيقية، وفقًا لمعايير الاعتذار السالف ذكرها عند مايكل مـاروس[65]. ويقسم إنغرت تلك الممارسات إلى أربع مراحل: الأولى من عام 1945 إلى عام 1960، وتمثلت في تقديم أول مستشار لألمانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية كونراد أديناور Konrad Adenauer (1949-1963) ما يشبه طلب العذر حيال ارتكاب ألمانيا المجازر. وتتجلى الثانية في الركوع الشهير للمستشار الألماني ويلي براندت Willy Brandt (1969-1974) لطلب الغفران أمام نصب وارسو التذكاري لضحايا النازية في أواخر السبعينيات. وتبرز الثالثة في خطاب الرئيس الألماني ريتشارد فون فايتسكر Richard von Weizsäcker (1984-1994) في البوندستاغ في عام 1985 احتفالًا بالذكرى الأربعين لنهاية الحرب الأوروبية، والذي اعترف من خلاله للمرة الأولى بتحمل ألمانيا المسؤولية السياسية والقانونية كاملةً عن جرائمها. أما المرحلة الرابعة فتتمثل في اعتذار الرئيس الألماني يوهانس راو Johannes Rau (1999-2004) في الكنيست في عام 2000[66].

فيما يتعلق بـمرحلة طلب أديناور "العُذر"، فعلى خلاف ما يجادل به روبرت وينيث بأن "الدول غالبًا ما تعتذر عن أخطائها بهدف ترميم صورتها المشوهة على الصعيد الدولي"[67]؛ فقد كان الخطاب الألماني لا يزال مرتبكًا من جراء الكوارث الاقتصادية والاجتماعية التي خلّفتها الحرب العالمية الثانية، ولم يُبدِ اهتمامًا بسمعة ألمانيا الدولية، وترميم الوطن المنقسم، ودفاعه المتهالك، وشعبه اللاجئ والعاطل عن العمل[68]؛ ما يفسر، بحسب إنغرت، الطبيعة التي تعامل بها الألمان مع ذكرى ماضيهم آنذاك، والتي ألقوا من خلالها بالمسؤولية الأخلاقية والذنب السياسي الذي أصر الحلفاء على إثارته على كاهل السلطة النازية، لأنهم رأوا أنهم تعرضـوا للخداع والإساءة من جانب هتلر.

وسرعان ما تلاشت تلك الثقافة المجتمعية بعد محاكمات نورمبورغ[69] التي أعادت للشعب الألماني ذكريات مؤلمة حول تلك المأساة. وهي الذكريات التي تزامنت مع ضغوطٍ دولية ضيّقت الخناق على ألمانيا لدفعها إلى تقديم اعتذارٍ جماعي، إن هي أرادت فتح صفحة جديدة مع أوروبا والولايات المتحدة[70]، وهو ما ترتب عليه إلقاء المستشار الألماني أديناور خطابه الشهير في أيلول/ سبتمبر 1951 أمام البرلمان الألماني، قائلًا: "تدرك حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية، ومعها الغالبية العظمى من الشعب الألماني، معاناة يهود ألمانيا التي لا مثيل لها في عصر الاشتراكية القومية. إن الغالبية العظمى من الشعب

61 Isaac Farhadian, "Anti-Semitism in Nazi Germany," Senior Honors Conference, Thresholds, *Journal of the CSU Stanislaus* (May 2009), pp. 1-2, accessed on 27/3/2022, at: https://bit.ly/3fm7gV0

62 Stefan Engert, "Germany - Israel: A Prototypical Political Apology and Reconciliation Process," in: Christopher Daase et al. (eds.), *Apology and Reconciliation in International Relations the Importance of Being Sorry* (London: Routledge, 2016), p. 31.

63 Ruth Wittlinger & Martin Larose, "No Future for Germany's Past? Collective Memory and German Foreign Policy," *German Politics*, vol. 16, no. 4 (2007), p. 483.

64 الفرق بين العذر Excuse والاعتذار Apology في **معجم أكسفورد** هو أن الأول يعني إيجاد سبب يسوغ سلوكًا مسيئًا في حين أن الثاني يقتضي تقديم الأسف حيال سلوك خاطئ.

65 المعايير هي الإقرار بارتكاب خطأ ما، وقبول المسؤولية المتأتية عن ارتكابه، والتعبير عن الأسف والندم حيال الأضرار الناجمة عنه، والالتزام بجبـر الأضرار، والتعهد بعدم تكرار الخطأ.

66 Engert, "Germany - Israel: A Prototypical Political Apology and Reconciliation Process," pp. 30-34, 38, 40-43.

67 Weyeneth, p. 9.

68 Wolfgang Stolper & Karl Roskamp, "Planning a Free Economy: Germany 1945-1960." *Zeitschrift Für Die Gesamte Staatswissenschaft/ Journal of Institutional and Theoretical Economics* 135, no. 3 (1979), p. 376, accessed on 11/4/2022, at: https://bit.ly/3ufJKAt. P.376

69 أُنشئت محكمة نورمبورغ في تشرين الثاني/ نوفمبر 1945 وجـرى حلها في آب/ أغسطس 1946، وهي محكمة عسكرية دولية أسسها الحلفاء لمحاكمة مجرمي الحرب العالمية الثانية، عبر تصنيف الجرائم ثلاثة أنواع: جرائم ضد السلام، جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية، وقد جرت المحاكمات التي ترأسها أربعة قضاة من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وروسيا، على مرحلتين: أولًا، محاكمة كبار ضباط الجيش الألماني المسؤولين عن التعذيب والإبادات والقتل الجماعي. ثانيًا، محاكمة الأطباء الذين أجروا تجارب طبية على جثث القتلى اليهود"، ينظر: حمشي، ص 394.

70 Ambassador Wendy R. Sherman, "On Political Forgiveness: Some Preliminary Reflections," *Policy Brief*, Belfer Center for Science and International Affairs, p. 6, accessed on 27/3/2022, at: https://bit.ly/34fAVsn

الألماني تبغض تلك الجرائم ولم تشارك فيها [...][71]، وقد عرّض العديد من الألمان أنفسهم للخطر حين استجابوا لمعتقداتهم الدينية وصوت ضميرهم، وأظهروا الاستعداد لمساعدة اليهود[72]. ارتُكِبت باسم الشعب الألماني جَرائمُ لا توصف؛ ما ألزمنا بتعويضٍ معنوي ومادي تجاه إسرائيل [...]، فيما يتعلق بمدى التعويضات [...]، يتعين على المرء أن يأخذ في الحسبان محدودية القدرة الألمانية التي يقع على كاهلها عبء إعانة أهالي عدد لا يحصى من ضحايا الحرب فضلًا عن العناية باللاجئين والمهجرين"[73].

ووصفت ويندي شيرمان هذا الخطاب بأنه رفضٌ قاطع من أديناور لتقديم اعتذار أو إسناد المسؤولية إلى المواطنين الألمان، بل في واقع الأمر، كان ذلك الخطاب مدعاة للفخر الألماني[74]، وهو الوصف الذي يتسق مع التشكيكات التي عبّر عنها فلاديمير جانكلفتش Vladimir Jankélévitch في ستينيات القرن الماضي حيال مدى صدق ذلك الاعتذار، ويتسق أيضًا مع ما أكده إنغرت من أن رمزيات ذلك الخطاب أتت مخيبة للآمال؛ بسبب افتقارها إلى الاعتراف الجماعي بالذنب الألماني وخلوّها من المفاهيم الحقيقية للندم، مثل "الذنب" و"ارتكاب" و"مسؤولية"، فضلًا عن تمييزها بين الألمان "الخيّرين" و"القلة النازية المجرمة"؛ ما يجعل الهولوكست جريمة مقتصرة على تلك القلة[75]، ولا تمتد مسؤوليتها إلى عامة الشعب الألماني كما يطمح "صانعو الهولوكوست".

تَبعت ذلك الخطاب محاولاتٌ فاترة من أديناور لجسّ نبض الشعب الألماني حيال تقديم تعويضات مادية لإسرائيل، إلا أن ذلك لم يجد رواجًا بين الألمان الذين رأى غالبيتهم أن تلك المساعدات غير مسوّغة، أو باهظة، أو حتى غير ضرورية. وعلى الرغم من توقيع الطرفين في عام 1952 اتفاقية لوكسمبورغ التي حصلت إسرائيل بموجبها على ما يقارب الثلاثة مليارات مارك ألماني - تُدفَع على مدار اثني عشر عامًا - وعدّها محاولة لجبر الضرر، فإنّ الذاكرة الإسرائيلية ظلّت مشحونة بماضي الهولوكست الذي منعها من قبول المصالحة الألمانية قبولًا كاملًا، وقد ألمح موشيه شاريت Moshe Sharett (1954-1955) - ثاني رئيس وزراء لإسرائيل - إلى أن "اتفاقية لوكسمبورغ لا تعني تطبيع العلاقات مع ألمانيا"[76]. فحتى مع محاولات أديناور التقرب من إسرائيل وإرساء قواعد علاقة جديدة تتجاوز خلافات الماضي، كانت تمثيلات الآخر الإسرائيلي إبان عُذر أديناور لا تزال تحمل في طياتها بذور الشقاق، ولم تحاول السياسة الخارجية الألمانية التأثير في الهوية المحلية لصالح إسرائيل.

لكن ذلك لم يستمر طويلًا، فسرعان ما تحوّل "عُذر" ألمانيا إلى "اعتذارٍ" غير لفظي كان أكثر صدقًا في سبعينيات القرن الماضي، بعد أن جثا ويلي براندت على ركبتيه أمام نصب وارسو، وهي الإيماءة التي رأتها ليند واحدة من أشهر محاولات الدول للتكفير عن أخطائها[77]. وبالرغم من ميل سياسة براندت ناحية المصالحة مع بولندا، فإن محاولاته إقامة علاقات طبيعية مع إسرائيل لم تتوقف أيضًا، فكان له دورٌ مهم في تجاوز ماضي الأعذار الألمانية السابقة، لتظهر ألمانيا بذلك على أنها دولة تحاول تطهير نفسها من خطايا الماضي الذي تقبّلته، وآن الأوان ليتقبّله بقية الألمان.

ومن اعتذار براندت الصامت إلى نداء ريتشارد فون فايتسكر في منتصف الثمانينيات إلى الشعب الألماني لإعادة إحياء ذكرى الهولوكست وتحمّل مسؤوليتها، بدأت ألمانيا في هذه المرحلة في مناقشة مسألة "ارتكابها" الإبادة الجماعية ليهود أوروبا على نحو علني، فضلًا عن بداية الحديث عن "المسؤولية" التاريخية المستمرة للأمة حيال تلك "الفظائع"؛ ما حدا بالسلطات الألمانية إلى إعادة بناء خطاب الهوية الوطنية في إطار مواجهة الألمان ذكرى ماضيهم، فقد أشار روث ويتلينجر ومارتن لاروس إلى أن الذاكرة الألمانية الجمعية حول المحرقة كانت العامل المؤثّر الأهم في منطق المؤسسات والسياسة المحلية الألمانية، بحيث صُقل خطاب الثقافة السياسية الألمانية على نحوٍ "يواجه" فيه الألمان ذكرى المحرقة[78]، وبالفعل بدأ المجتمع الألماني خطواته الأولى نحو التحول إلى مجتمعٍ مأسور بذكرى ماضيه مع اليهود. في هذه المرحلة، أُنشِئت تمثيلات تجاه الآخر الإسرائيلي بوصفه آخرَ مشابهًا يخضع للمسؤولية الأخلاقية للأنا الألمانية، وذلك بعد اعترافات الرئيس الألماني فايتسكر بالمسؤولية الجماعية الألمانية تجاه ضحايا المعسكرات الذين تعرضوا للإبادة الجماعية، وبعد توجيهه الألمان إلى تقبّل ماضيهم وتحمّل مسؤوليتهم، فقد أكد أنه

71 التشديد في النص الأصلي، لتأكيد أن جماعية Collectiveness الاعتذار الألماني لم تتضمن اعتراف الألمان بالمسؤولية تجاه ما اقتُرف في الهولوكست، مع ذلك تجدر الإشارة هنا إلى أن فردية الاعتذار وجمعيته تظل معضلة فلسفية في أدبيات الاعتذار.

72 التشديد في النص الأصلي، لتأكيد أن إخلاء الألمان مسؤوليتهم من جرائم الهولوكست أعقبه تأكيد الخطاب على أصالة الألمان المستعدين لمساعدة اليهود.

73 Stefan Engert, "A Case Study in 'Atonement': Adenauer's Holocaust Apology," *Israel Journal of Foreign Affairs*, vol. 4, no. 3 (2010), p. 116.

74 Sherman.

75 Engert, "Germany - Israel: A Prototypical Political Apology and Reconciliation Process," pp. 44-45.

76 Ibid., pp. 37-38.

77 Lind, p. 148.

78 Wittlinger & Larose, p. 483.

لا وجود لمصالحة حقيقية دون تلك الذكرى التي بنسيانها سيبقى الألمان في عزلة[79].

وتُوّجت سلسلة ممارسات الاعتذار الألمانية بخطاب الرئيس الألماني يوهانس راو أمام الكنيست في مطلع هذه الألفية، والذي عبّر فيه عن الندم الشديد وطلب الغفران عمّا ارتكبه الألمان من مآسٍ، وطلب رسميًا من إسرائيل الصفح عن تلك "الجريمة" التي ستظل صورها تطارد حاضر الألمان الذين لا حياة لهم في معزلٍ عن تلك الذكرى[80]، ويرى إنغرت أن ذلك الخطاب المُعتذر كان قرينة على ولوج العلاقات الألمانية - الإسرائيلية منطقة المصالحة، فتحمّل ألمانيا مسؤوليتها الجماعية، إضافة إلى اعترافها بأن ما حصل هو جريمة إنسانية، ويدل استعدادها التام لجبر الضرر المادي على صدق الاعتذار الذي تزامن مع جهود سياسية لتأسيس بنية مجتمعية ملائمة لإنتاجه وإعادة إنتاجه[81]. وأشار لانجنباخر إلى أن الشعور بالذنب الجماعي عند الشباب الألمان بات يُطبع في سنٍ مبكرة؛ ما ينعكس على خلق هوية وطنية لم تـعد ألمانيــا تتناساها[82]، وهو ما يؤكده كل من إليزابيث هاين ومارك سيلدن اللذين ذكرا أن الكتب الدراسية والنصب التذكارية تعجّ بأمارات ذنب الألمان وتوبتهم عن جرائمهم، الأمر الذي يبني شبابًا ألمانيين لا ينفصلون عن ذكريات ماضيهم، وما تحمله من شعورٍ بالذنب والعار[83].

واستمرت السياسة الخارجية الألمانية في الانقياد خلف تلك الذكرى، وهو ما تجلى بوضوح في الثقافة العسكرية الألمانية التي تبنّت مبدأ "التردد حيال اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية"، تلك السياسة التي أثارت عند كاتزنشتاين تساؤلاتٍ عن سبب قبول ألمانيا القيود المفروضة على سيادتها وقدراتها العسكرية؛ فعلى الرغم من أنها قوة أوروبية مهمة اليوم، لماذا لا تتصرف ألمانيا "عسكريًا" بما يتلاءم مع ذلك؟ ولماذا قبلت أن يتم ترويضها؟ يعود جزء من ذلك إلى الذكرى الألمانية المأساوية التي هيكلت سياساتها العسكرية، وسياسات أوروبا عمومًا[84]، فضلًا عمّا تعرضت له المدن الألمانية من دمارٍ، وما واجهه الشعب الألماني من انتهاكات مارسته قوات الحرب العالمية الثانية[85].

> **إن معايير الاعتذار الصادق عند مايكل ماروس، وإن كانت قد أكدت ضرورة تحمّل مسؤولية أخطاء الماضي، لا تعني إلقاء اللوم على الشعب الألماني أو ديمومة استحضار أخطاء الماضي مطية تعيد إنتاج خصوصية المعاناة اليهودية، وتفتح المجال أمام مواصلة إسرائيل ممارساتها المجحفة في حق الشعب الفلسطيني**

نخلص مما سبق إلى أن معايير الاعتذار الصادق عند مايكل ماروس، وإن كانت قد أكدت ضرورة تحمّل مسؤولية أخطاء الماضي، لا تعني إلقاء اللوم على الشعب الألماني أو ديمومة استحضار أخطاء الماضي مطية تعيد إنتاج خصوصية المعاناة اليهودية، وتفتح المجال أمام مواصلة إسرائيل ممارساتها المجحفة في حق الشعب الفلسطيني. وتقدّم بنائية مساري النقدية أدواتٍ مفيدة لفهم علاقة الذاكرة بالاعتذار في السياسة الخارجية، وتؤدي تلك السياسة إلى إعادة إنتاج الهوية الوطنية عبر تغيير تمثيلات الأنا تجاه الآخر، ففي الحقبة النازية صوّرت الأنا النازية الآرية بتمثيلات إيجابية راوحت بين (العرق الصافي، المتفوق، الخير ...)، في حين صُوّر الآخر اليهودي على أنه مغاير "عدو" (دمه غير نقيّ، متدين، مخادع ...)، ولا ضير من إقصائه وتهميشه أو إبادته. بدأت تلك التمثيلات كلها تتلاشى مع سياسة الاعتذار التي مارسها القادة الألمان، بدءًا بأعذار أديناور، مرورًا بركوع براندت، وصولًا إلى خطابَي الاعتذار

79 Richard von Weizsäcker. "40th Anniversary of the End of War in Europe and of National-Socialist Tyranny," *speech*, bundespraesident, 8/5/1985, accessed on 27/3/2022, at: https://bit.ly/3yw1XcW

80 Engert, "Germany - Israel: A Prototypical Political Apology and Reconciliation Process," p. 44-45.

81 Ibid., p. 45.

82 Eric Langenbacher, "Changing Memory Regimes in Contemporary Germany?" *German Politics and Society*, vol. 21, no. 2 (January 2003), p. 58.

83 Laura Elizabeth Hein & Mark Selden (eds.), *Censoring History: Citizenship and Memory in Japan, Germany, and the United States* (Armonk/ London: Routledge, 2016).

84 Katzenstein.

85 تـقدّم العديد من الـمصادر التاريخية وجهًا آخر لسلوك دول الحلفاء في أثناء الحرب وبعدها، من قبيل أوامر ونستون تشرشل بقصف الـمدن الألـمانية للقضاء على الروح الـمعنوية للسكان الألمان. كما قدم النائب الجمهوري الأميركي هومر كابيهارت (1897-1979) فـي خطاب له أمام مجلس الشيوخ (شباط/ فبراير 1946) تقريرًا عن الـمعاناة الإنسانية للشعب الألـماني و(بعض) شعوب أوروبا الشرقية بعيد نهاية الحرب، حيث تحدث عن مئات الآلاف الذين قـتلوا بعد أن وضعت الحرب أوزارها، والـملاييـن من الـمهجرين والـمرحّليـن إلى الاتحاد السوفياتي وأوروبا الغربية والولايات الـمتحدة، وجرى استغلالهم فـي سوق العمل الرخيصة، خاصة من النساء والأطفال. وفـي مؤتمر طهران (أيلول/ سبتمبـر 1943)، وعلى مائدة عشاءٍ مشترك، اقتـرح ستاليـن مسبقًا إعدام ما يراوح بيـن خمسين ألف ومئة ألف من الضباط الألـمان، وهو ما أثار تشرشل، فعقّب عليه روزفلت مازحًا بأن إعدام 49000 فقط سيكون مناسبًا. وفـي بداية 1945، ذكّر روزفلت أنه بعد معاينة الدمار الشديد الذي ألحقه الجيش الألـماني بشبه جزيرة القرم، أصبح يأمل أن يعيد ستاليـن مرة أخرى اقتـراح نخب إعدام خمسين ألفًا إلى مئة ألف من الضباط الألـمان، ينظر: حمشي، ص 410.

لفايتسكر وراو. ومنذ ذلك الحين بدأ تحوّل تمثيلات إسرائيل ناحية الآخر"المشابه" الذي بات جزءًا قريبًا من الذات الألمانية، ويعيد تأكيد ما هي عليه من صفات "إيجابية"، والأهم من ذلك كله، صارت إسرائيل جزءًا من مسؤولية أخلاقية ألمانية تستلزم الدفاع عنها وحمايتها ومنحها معاملة "خاصة"، تتجلى فيها معالم التحيز والمحاباة.

2- تركيا وأرمينيا: حاجة أنطولوجية للإحجام عن الاعتذار

تبرز معضلة الحالة التركية في التساؤل الآتي: إذا كان حُلم تركيا بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لتحصيل المنافع المادية والمعنوية المتأتية منه يتطلب اعتذارًا لأرمينيا بوصفه سلوكًا عقلانيًا متوقعًا، فلماذا تُصرّ تركيا على موقف الإحجام عن الاعتذار حتى في ظل غياب أيّ مكسبٍ مادي لها من ذلك؟

إنّ فهم سبب رفض تركيا تقديم اعتذارٍ عن تهجير الأرمن يقتضي إثارة الأبعاد المعيارية للبنية الدولية لفهم الكيفية التي أثّر من خلالها التفاعل الرمزي مع الغرب في الهوية السردية و"مفهوم البينذاتية" للمجتمع التركي، وتلك خطوة أولى تسبق وضع ذلك كله في إطار الأمن الأنطولوجي التركي المرتبط بالذاكرة والاعتذار.

فيما يتعلق بالبعد المعياري للبنية الدولية الذي عمِل على تنشئة تركيا الحديثة اجتماعيًا Socialization، يناقش هوف مسألة التفاعلية الرمزية، ويعيب على ونْت منطقه الذي استخدمه لتفسير المواجهة الأولى بين آلتر وإيغو Alter and Ego[86]، مشيرًا إلى أن غالبية الدول لا تبدأ تفاعلها الرمزي من الصفر؛ أي بمعزلٍ عن تقاليدها وقيمها ومعاييرها المحلية[87]. والحقيقة أننا نجد أن إسهام ونت يحمل قيمة تفسيرية مهمة لفهم التفاعل الرمزي بين تركيا الحديثة والغرب؛ إذ لا يستقيم منطق هوف بمفرده على اتجاهَي التفاعل بين الطرفين؛ فمنطق هوف الذي يدافع عن فكرة أن الدول تنخرط في التفاعل الرمزي انطلاقًا من هوياتها المحلية السردية يُعدّ ملائمًا لتفسير اتجاه واحد للعلاقة بين الطرفين (من الغرب إلى تركيا)، في حين يفسر منطق ونْت بامتياز اتجاه التفاعل الرمزي الآخر (من تركيا إلى الغرب). فالغرب، إذًا، دخل التفاعل محمّلًا بقيمه ومعاييره وتقاليده الحداثية، في حين أتت تركيا الكمالية كصفحة بيضاء جاهزة للنقش، ما يوحي بأن التفاعل الرمزي بين الطرفين قد غلب عليه منطق التنشئة الاجتماعية لتركيا.

حاولت تركيا الكمالية الحديثة التخلص من السردية العثمانية القديمة التي ارتبطت أوروبيًا وغربيًا بتمثيلاتٍ وصمتها بالتقليدية والتخلف والعنف المرتبط بتهجير الأرمن، عبر إنشاء هوية تركية قومية تتماشى مع المعايير والقيم "المتقدمة" التي صاغتها الرؤية الغربية الحداثية، وأخذ مصطفى كمال أتاتورك على عاتقه صياغة استراتيجيات داخلية تنقل البنية المجتمعية وهويتها السردية من المنطق "العثماني" القديم المتعلق بالمعايير والقيم الموروثة التي تجعل الدولة العثمانية في علاقة هرمية دونية مع الغرب، إلى المنطق "التركي" الحديث الرامي للتجديد والتماثل مع الغرب. وتزامن ذلك مع تكثيفٍ للتفاعل الرمزي مع الغرب بهدف تبني تمثيلات ومن ثم إنتاجها وإعادة إنتاجها، وتتكيف هذه التمثيلات مع هويتها القومية الجديدة وصورتها بوصفها دولة-أمة Nation-state متحضرة تنبذ العنف بأشكاله جميعها، وهو ما تجلى في قول وزير العدل التركي مصطفى نجاتي Mustafa Necati في عام 1924 "إن الأمة التركية الملتزمة بسيرها في طريق اللحاق بالحضارة الحديثة، لا يمكنها تعديل تلك الحضارة وفقًا لاحتياجاتها الخاصة، بل عليها التكيف مع متطلبات هذه الحضارة مهما كانت التكلفة"[88]. وكان تجنب الاعتذار عن أخطاء الماضي إحدى طرائق التكيف التي ستُبقي تركيا في نادي "المتحضرين". وبهذا كان على تركيا أن تصمد أمام موجة الانتقادات والتشكيكات في مدى صدقية الصورة "المسالمة" و"المتحضرة" التي تحاول أن تظهر بها، وكان عليها الصمود أمام ضغوط الإغراء المستمرة من الاتحاد الأوروبي والتي بلغت أوجها في عام 2006 حين أقرّ أعضاء البرلمان الأوروبي بندًا يحثّ تركيا على الاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن، وهذا شرط لانضمامها إلى الاتحاد الأوروبي. وقد سقط هذا الشرط لاحقًا، لكنه لا يزال حتى اليوم من أبرز العقبات أمام انضمامها[89].

وعلى الرغم من تنامي التحديات والضغوط الدولية حافظت تركيا على موقفٍ سياسي خارجي يأبى ربط ماضيها بممارسة الإبادة تجاه طائفة عرقية ما، وهو ما تجلّى في غالبية استجاباتها التي راوحت بين إنكارٍ تامّ للإبادة والتشكيك التاريخي في صدقيتها؛ لإخراجها من دائرة السياسة والقانون إلى دائرة البحث التاريخي الذي سيؤكد لاحقًا نفيها.

86 المواجهة الأولى هي استعارة يقدمها ونْت لتفسير حالة التفاعل الأولى بين الدول في ظل غياب الفهومات المشتركة، وهي حالةٌ يُقدِم عليها الفاعلون بنوعين من الاستعدادات: استعدادات مادية واستعدادات تصورية متعلقة بأفكار الفاعل حول هويته ومصلحته وسلوكه عند المواجهة. تؤدي الاستعدادات التصورية دور مسيّر لمسار التفاعل الرمزي "الإيمائي" بين الفاعلين، ويعطي الفاعل (الأول) يسميه ألتر إشارات معينة يؤولها الفاعل (الثاني) إيغو، ويستجيب لها وفق ما يحمله من تصورات مسبقة تجاه الفاعل الأول، ليقوم الفاعل الأول بتأويل استجابة الفاعل الثاني، وبهذا يقود التفاعل إلى نشأة الفهومات المشتركة بين الفاعلين. ينظر: حمشي، ص 278-279؛ Wendt, pp. 328-335.

87 Hopf, *Reconstructing the Cold War*, pp. 13-14.

88 Ayşe Zarakol, "Ontological (In)Security and State Denial of Historical Crimes: Turkey and Japan," *International Relations*, vol. 24, no. 1 (2010), p. 14.

89 Ibid., p. 5.

فيما يتعلق بالتشكيك التاريخي في ما يُزعم أنه إبادة ممنهجة للأرمن، كان تورغوت أوزال Turgut Özal الرئيس التركي في عام 1989، أول من أكد أن "دراسة مثل هذه الأحداث يجب أن تُترك في أيدي المؤرخين"[90]، وهو النهج نفسُه الذي استمر ما يقارب الثلاثة عقود، وتجلى مؤخرًا في 24 نيسان/ أبريل 2021 في تصريحات أتت في سياق تعقّد العلاقات التركية-الأميركية، وقد أدلى بها إبراهيم قالن Ibrahim Kalin المتحدث باسم الرئاسة التركية على إثر بيان الرئيس الأميركي جو بايدن Joe Biden الذي أشار فيه إلى "أن ما حدث للأرمن هو إبادة جماعية [...] في العهد العثماني"، ليكون ردّه بأن الرئيس أردوغان "دعا سابقًا إلى تكوين لجنةٍ مشتركة للتحقيق في أحداث 1915، بهدف إنقاذ قضية تاريخية من ظلال السياسة والأوساط الخبيثة [مؤكدًا أن] أولئك الذين يخشون من أن يتم الكشف عن الحقائق التاريخية بدعمٍ من الوثائق والأدلة، لم يردوا على دعوة الرئيس أردوغان"[91].

أما فيما يتعلق بالموقف المنكر للإبادة الجماعية في الخطاب التركي الرسمي، وعلى وجه الخصوص خطاب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ففي فترة رئاسته للوزراء في عام 2005 صرح أردوغان بأن تركيا مستعدة "لمواجهة تاريخها إن كان هنالك شيءٌ لتواجهه في المقام الأول، وأن على الجميع أن يعرف أن تاريخ تركيا لا يرتبط بالإبادة الجماعية". وفي العام الذي يليه، ومع تجريم البرلمان الفرنسي لمسألة إنكار الإبادة الجماعية للأرمن، أشار أردوغان إلى أن "الكذبة ستظل كذبة، حتى إن أقر برلمانهم خلاف ذلك!"[92]. وفي عام 2009، عاب أردوغان على الرئيس باراك أوباما استخدامه كلمة إبادة جماعية، مشيرًا إلى أن "استخدامها لن يصبح ملائمًا لمجرد أن من استخدمها هو رئيس الولايات المتحدة"[93].

يعكس خطاب السياسة الخارجية التركية الممانع للاعتذار، أولًا: هيمنة سردية محلية تناكف السرديات الهامشية المغايرة لتصورات الأتراك عن أمجاد ماضيهم البطولي؛ ففي استطلاع للرأي العام أجراه مركز دراسات الاقتصاد والسياسة الخارجية في تركيا EDAM في عام 2015، تبين أن نسبة 9 في المئة فقط من الشعب التركي يريدون من الحكومة التركية أن تقبل مزاعم الإبادة الجماعية للأرمن[94]، تجلى ذلك الموقف مراتٍ عدة في شكل حنقٍ جسيم بين الجماعات المحلية كلما أقدم الرئيس أردوغان على خطواتٍ أكثر لينًا من ناحية أرمينيا. ومع ذلك ظل الموقف التركي ثابتًا على حقيقة أن تهجير الأرمن عاقبةٌ جيوسياسية تُفهَم ضمن سياقٍ معقد لانهيار الدولة العثمانية[95]. وثانيًا: ارتباط السردية المحلية أو القومية باستجابة عكسية لضغوط الدولية الرامية إلى اعتراف تركيا بالإبادة؛ إذ يرى بعضهم أن لتلك الضغوط دورًا مفصليًا في تغذية القومية التركية، معيقةً بذلك الحوار بين الطرفين[96]. فلماذا لا تعتذر تركيا لأرمينيا؟ يمكن الإجابة عن هذا السؤال في ثلاثة مستويات: الدولي، والمحلي، والأنطولوجي.

أشرنا بداية إلى أن نشأة تركيا الكمالية الحديثة وانخراطها الرمزي في الساحة الدولية أتى في شكل تنشئةٍ اجتماعية للمجتمع على القيم والمعايير الغربية الحديثة؛ الأمر الذي تمثل في تحول الهوية السردية التركية من هوية عثمانية تقليدية محافظة تغلب على تمثيلاتها الدولية رمزياتٌ سلبية تلمزها بـ "التقليدية" Representations و"العنف"، إلى هوية سردية تُفهَم في إطار الدولة-الأمة الحديثة التي تشاطر أقرانها الأوروبيين قيم الحداثة المسالمة والعقلانية وضبط النفس. بعد أن أُنشئت تلك الهوية وأُعيد إنتاجها محليًا عبر نسيان الهوية القديمة وذكريات ماضيها، بات الاعتذار فكرةً مقلقةً لتركيا؛ إذ إنّ علاقتها الخلافية مع أرمينيا تلبّي حاجة أمنية وجودية وتحافظ على استقرار سرديتها، وبخرقها ستعود تمثيلات تركيا دوليًا إلى المربع الذي تهابه، وهو مربع ما قبل بداية عملية التنشئة الاجتماعية، والذي سيفضي حتمًا إلى دخولها في حالة من التنافر الأنطولوجي[97] الناجم عن الاختلاف بين رمزيات البيئة الدولية تجاه تركيا وتصوراتها عن ذاتها. بمعنى آخر، تعتقد تركيا أن الاعتذار يعني عودة رمزيات البربرية التقليدية والعنف والتخلف. وهو واقع يخالف سرديتها عن ذاتها بصفتها دولة قومية حديثة مسالمة، ما سينجم عنه قلق وجودي يغذيه تعطّل الروتين الذي يشكّل هوية سردية للمجتمع التركي، تنتج سياسة دولته الخارجية وتعيد إنتاجها.

---

90 Stefan Engert, "Turkey - Armenia: From Denial to Excuse?" in: Daase et al., (eds.), p. 227.

91 "تركيا تستدعي السفير الأميركي بسبب إعلان بايدن مذابح الأرمن إبادة جماعية"، **الجزيرة نت**، 2021/4/24، شوهد في 2022/3/27، في: https://bit.ly/3oLlQIE

92 "Turks Regretful over the Armenian Tragedy of 1915 but Refuse to Qualify It as a Genocide," Edam, 1/1/2015, accessed on 27/3/2022, at: https://bit.ly/3H4fYlZ

93 Engert, "Turkey - Armenia: From Denial to Excuse?" p. 225.

94 "Turks Regretful over the Armenian Tragedy of 1915 but Refuse to Qualify It as a Genocide."

95 Tunç Aybak, "Geopolitics of Denial: Turkish State's 'Armenian Problem'," *Journal of Balkan and Near Eastern Studies*, vol. 18, no. 2 (December 2016), p. 10.

96 Dilaver Arıkan Açar & İnan Rüma, "External Pressure and Turkish Discourse on 'Recognition of the Armenian Genocide'," *Southeast European and Black Sea Studies*, vol. 7, no. 3 (2007), pp. 449-465.

97 Amir Lupovici, "Ontological Dissonance, Clashing Identities, and Israel's Unilateral Steps towards the Palestinians," *Review of International Studies*, vol. 38, no. 4 (December 2011), p. 810.

وهو ما يعني أن التكاليف النفسية لاعتذار تركيا باهظة؛ إذ حين تقرر الاعتذار ستُحْدث صدمة هوياتية مجتمعية تمزق سرديتها الروتينية التي تفهم نفسها من خلالها، ما سيخلق ذاتًا مفعمة باللايقين الإدراكي، مفتقرة إلى تماسكها الزمني والغائي والأنطولوجي.

خاتمة

عالجت هذه الدراسة إشكالية النظر في مظاهر التفاعل بين الذاكرة والاعتذار في السياسة الخارجية من منطلقات تهدف إلى جسر الهوة بين حقلي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية، مفترضةً أن التنقيب في الأبعاد النظرية لمفاهيم على غرار الهوية السردية، والأمن الأنطولوجي، والتمثلات الخطابية، كفيلٌ بتقديم مداخل مهمة لفهم التفاعل بين الذاكرة والهوية في السياسة الخارجية.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. أهمية تفحص الأسس المنهجية السائدة في حقل العلاقات الدولية، فقد مثل الشرخ الذي أحدثته مستويات سينغر التحليلية بين حقلَي العلاقات الدولية وتحليل السياسة الخارجية عقبة أمام جهود جسر الهوة بينهما، الساعية للبحث في مظاهر التفاعل بين الذاكرة والاعتذار في السياسة الخارجية.

2. أهمية المقاربة البنائية الممارساتية، أو "البنائية المجتمعية"، لتيد هوف؛ فهي مدخل مفيد في دراسة التفاعل بين الذاكرة والاعتذار وفق منطق من أسفل إلى أعلى، وتثير تلك المقاربة مفهوم الهوية السردية المجتمعية بوصفها عادات روتينية مستمرة في الذاكرة المعيشة أو "الذاكرة الحاضرة"، وللحفاظ على اتساق تلك الهوية واستمراريتها قد تضطر الدول أحيانًا إلى الإحجام عن الاعتذار تجنبًا لتشكل أي فجوات في الذاكرة، فكسر العادات عبر اعتراف الدول بما قد يناقض الذاكرة الحاضرة لا يخلو من تكاليف باهظة، وقد يعني ولوج الدولة في حالة من اللا أمن الأنطولوجي الذي يهدد تماسك الهوية المجتمعية المرشدة لتفاعلات السياسة الخارجية واستمرارها. وبسبب ما ترتكز عليه تلك المقاربة من مفاهيم على غرار الروتين والاستمرارية يصبح في الإمكان وصفها بالمقاربة التفسيرية لثبات الهويات والمواقف الخارجية واستقرارها.

3. أهمية المقاربة "البنائية النقدية" للمنظّر نزار مساري؛ إذ تعدّ مدخلًا مهمًا لدراسة التفاعل بين الذاكرة والاعتذار وفق منطق نقدي من أعلى إلى أسفل، بحيث تكون السياسة الخارجية أداة منتجة للهوية الوطنية، عبر تلاعب صناع القرار بمحتوى التمثيلات الخطابية للآخر الذي يُحتمل أن يكون عدوًا أو مشابهًا للأنا. في هذه المقاربة، يمكن النظر إلى الذاكرة على أنها إحدى الأدوات التي يشكّلها صناع القرار في السياسة الخارجية، ويعيدون من خلالها تشكيل الهوية الوطنية عبر خلق فجوات في الذاكرة، والإحجام عن الاعتذار، وإعادة إنتاج الآخر بوصفه عدوًا للذات، لا ندم حيال إقصائه أو إبادته؛ ما يعيد إنتاج الذات نفسها وفق منطق هوياتي علائقي يكون فيه الآخر مغايرًا لكل ما تمثّله الأنا، أو قد يحرص صناع القرار على تذكّر الماضي كما هو والاعتذار عن خطاياه، وإعادة إنتاج الآخر بوصفه جزءًا أصيلًا من الذات، وهذا يعيد إنتاج الذات نفسها على نحوٍ يعزز تشابهها مع الآخر.

وهكذا تتماشى مواقف السياسة الخارجية "المعتذرة" أو "المحجمة عن الاعتذار" مع ما تحرص الدولة على أن يتذكره المجتمع حيال تمثّل الآخر وحيال معنى الذات. وفي حين تتموضع مقاربة هوف في نطاق التنظير لثبات الهوية والمواقف الخارجية واستقرارها، تفتح نسخة مساري الباب أمام إمكانية التلاعب السلطوي بالتمثيلات الخطابية والذاكرة؛ ما يجعلها أقرب إلى منطق التحول والتغيير.

ولأن منطق عمل تلك المقاربة كما أسلفنا هو من أعلى إلى أسفل، فإن دوافع التلاعب السلطوي بالذاكرة والخطاب مبعثها الضغوط المعيارية التي يقدمها المجتمع الدولي للفاعلين الساعين للحفاظ على سردية متسقة عن الذات كما في حالة تركيا. وعندما نمعن النظر في المسألة نجد أن بعض الدول لا تتعرض للضغوط المعيارية والمادية نفسها التي تتعرض لها تركيا حيال مسألة اعتذارها عن إبادة الأرمن، ومن بين تلك الدول إسرائيل وممارساتها اللاإنسانية في حق الشعب الفلسطيني ماضيًا وحاضرًا. كذلك هو الحال فيما يتعلق بفرنسا وماضيها الكولونيالي في الجزائر، وهو الأمر الذي يستدعي من الناحيتين العلمية والقيمية مزيدًا من البحث.

المراجع References

العربية

تبين. عدد خاص "من 'الذاكرة' إلى 'دراسات الذاكرة' مقاربات عربية بينتخصصية". مج 9. العدد 33 (صيف 2020).

حمشي، محمد. "النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية: نحو إقحام نظرية التعقد داخل الحقل". أطروحة دكتوراه. جامعة باتنة 1 الحاج لخضر. باتنة، الجزائر، 2017.

________. "مدرسة باريس للدراسات الأمنية وإشكالية مستوى التحليل في العلاقات الدولية". **السياسة الدولية**. العدد 212 (نيسان/ أبريل 2018).

ريكور، بول. **الذاكرة، التاريخ، النسيان**. ترجمة جورج زيناتي. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.

ساركين، جيريمي. "لماذا ينبغي مفهمة العدالة الانتقالية في البلدان العربية نظريًا وتجريبيًا؟". **سياسات عربية**. مج 8. العدد 47 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2020).

فنكلشتاين، نورمان. **كيف صنع اليهود الهولوكوست؟! "المحرقة"**. ترجمة ماري شهرستان. ط 3. دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 2012.

هالبفاكس، موريس. **الذاكرة الجمعية**. ترجمة نسرين الزهر. دمشق/ بيروت: بيت المواطن للنشر والتوزيع، 2016.

الأجنبية

Açar, Dilaver Arıkan & İnan Rüma. "External Pressure and Turkish Discourse on 'Recognition of the Armenian Genocide'1." *Southeast European and Black Sea Studies*. vol. 7, no. 3 (2007).

Amstutz, Mark R. *The Healing of Nations: The Promise and Limits of Political Forgiveness*. Lanham, MD: Rowman & Littlefield Publishers, 2005.

Austin, John L. (ed.). *How to Do Things with Words*. Oxford/ New York: Harvard University Press, 1962.

Aybak, Tunç. "Geopolitics of Denial: Turkish State's 'Armenian Problem'." *Journal of Balkan and Near Eastern Studies*. vol. 18, no. 2 (December 2016).

Bagdonas, Ąžuolas. "The Practice of State Apologies: The Role of Demands for Historical Apologies." PhD. Dissertation. Central European University. Budapest, 2010.

Bell, Duncan. *Memory, Trauma and World Politics: Reflections on the Relationship between Past and Present*. Houndmills: Palgrave Macmillan, 2006.

Berger, Thomas U. "Sorry States in a Sorry World: Beyond German Exceptionalism." *Journal of East Asian Studies*. vol. 9, no. 3 (2009).

________. *War, Guilt, and World Politics After World War II*. Cambridge: Cambridge University Press, 2012.

Coicaud, Jean-Marc. "Apology: A Small Yet Important Part of Justice." *Japanese Journal of Political Science*. vol. 10, no. 1 (2009).

Daase, Christopher et al. (eds.). *Apology and Reconciliation in International Relations the Importance of Being Sorry*. London: Routledge, 2016.

Edkins, Jenny. *Trauma and the Memory of Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 2003.

Engert, Stefan. "A Case Study in 'Atonement': Adenauer's Holocaust Apology." *Israel Journal of Foreign Affairs*. vol 4, no. 3 (2010).

Farhadian, Isaac. "Anti-Semitism in Nazi Germany." Senior Honors Conference, Thresholds. *Journal of the CSU Stanislaus* (*May* 2009). at: https://bit.ly/3fm7gV0

Finnemore, Martha. *National Interests in International Society*. Ithaca: Cornell University Press, 1996.

Giddens, Anthony. *Modernity and Self-Identity*. Cambridge: Polity Press, 1991.

Halbwachs, Maurice. *On Collective Memory*. Chicago: University of Chicago Press, 1992.

Hein, Laura Elizabeth & Mark Selden (eds.). *Censoring History: Citizenship and Memory in Japan,*

Relations. Washington, DC: Georgetown University Press, 2010.

Langenbacher, Eric. "Changing Memory Regimes in Contemporary Germany?" *German Politics and Society*. vol. 21, no. 2 (January 2003).

Lind, Jennifer M. *Sorry States: Apologies in International Politics*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010.

Lupovici, Amir. "Ontological Dissonance, Clashing Identities, and Israel's Unilateral Steps towards the Palestinians." *Review of International Studies*. vol. 38, no. 4 (December 2011).

Marrus, Michael R. "Official Apologies and the Quest for Historical Justice." *Journal of Human Rights*. vol. 6, no. 1 (2007).

Mitzen, Jennifer. "Ontological Security in World Politics: State Identity and the Security Dilemma." *European Journal of International Relations*. vol. 12, no. 3 (2006).

Nora, Pierre. "Between Memory and History: Les lieux de mémoire." *Representations*. vol. 26 (1989). at: https://bit.ly/3fMJ50D

Orwell, George. *Nineteen Eighty-Four*. New York: Harcourt, Brace and Company, 1949.

Sherman, Ambassador Wendy R. "On Political Forgiveness: Some Preliminary Reflections." *Policy Brief*. Belfer Center for Science and International Affairs. at: https://bit.ly/34fAVsn

Singer, David. "The Level-of-Analysis Problem in International Relations." *World Politics*. vol. 14, no. 1 (1961).

Stolper, Wolfgang & Karl Roskamp. "Planning a Free Economy: Germany 1945-1960." *Journal of Institutional and Theoretical Economics*2012)).

Tavuchis, Nicholas. *Mea Culpa: A Sociology of Apology and Reconciliation*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2002.

Germany, and the United States. Armonk/ London: Routledge, 2016.

Hopf, Ted. *Reconstructing the Cold War: The Early Years*, 1945-1958. New York: Oxford University Press, 2014.

________. *Social Construction of International Politics: Identities & Foreign Policies, Moscow, 1955 and 1999*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002.

Hudson, Valerie M. "Foreign Policy Decision-Making: A Touchstone for International Relations Theory in the Twenty-first Century." *Foreign Policy Decision-Making (Revisited)*. 1/20/2002. at: https://bit.ly/3bRsl7B

Iheonu, Jean-Allens, Frank-Collins Okafor & Raphael Eze. "Realism and Apology Diplomacy in the Conduct of International Relations: A Study of Hiroshima and Nagasaki." *IOSR Journal of Humanities and Social Science*. vol. 25, no. 8 (August 2020).

Jones, Shannon. "Apology Diplomacy: Justice for All?" *Netherlands Institute of International Relations 'Clingendael'*" (September 2011). at: https://bit.ly/3oM6qnw

Katzenstein, Peter J. *Tamed Power: Germany in Europe*. Ithaca, New York: Cornell University Press, 1997.

Keohane, Robert O. *After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1984.

Kubálková, Vendulka (ed.). *Foreign Policy in a Constructed World*. Abingdon: Routledge, 2002.

Kubálková, Vendulka, Nicholas Onuf & Paul Kower (eds.). *International Relations in a Constructed World*. London: Routledge, 2015.

Langenbacher, Eric, Yossi Shain (eds.). *Power and the Past: Collective Memory and International*

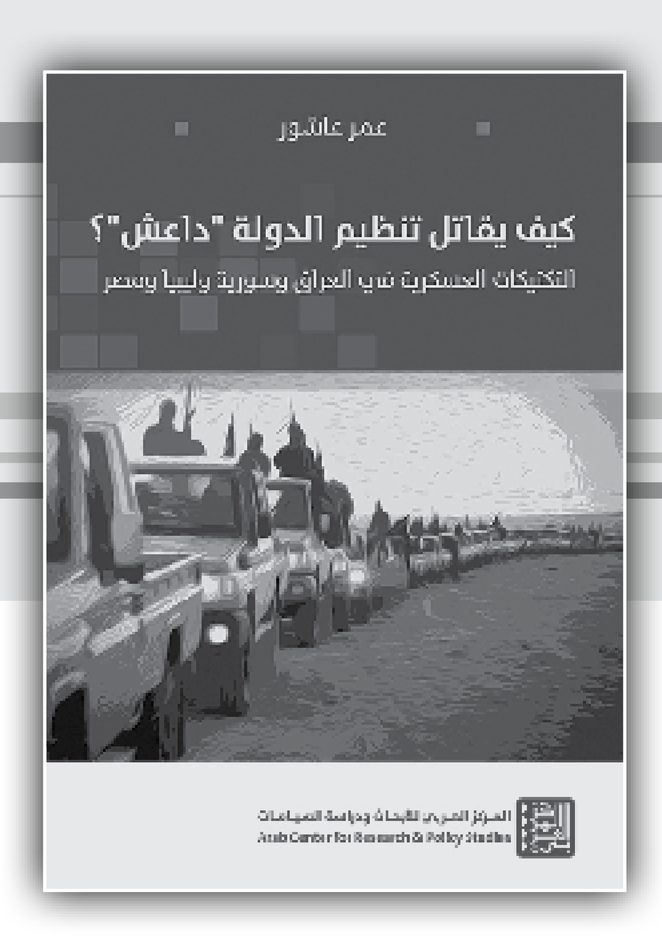
Waltz, Kenneth N. *Theory of International Politics*. Long Grove, IL: Waveland Press, 1979.

Wendt, Alexander. *Social Theory of International Politics*. Cambridge: University Press, 1999.

Weyeneth, Robert R. "The Power of Apology and the Process of Historical Reconciliation." *The Public Historian*. vol. 23, no. 3 (Summer 2001).

Wittlinger, Ruth & Martin Larose. "No Future for Germany's Past? Collective Memory and German Foreign Policy." *German Politics*. vol. 16, no. 4 (2007).

Zarakol, AyŞe. "Ontological (In)Security and State Denial of Historical Crimes: Turkey and Japan." *International Relations*. vol. 24, no. 1 (2010).



صدر حديثًا

تأليف: عمر عاشور

كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟
التكتيكات العسكرية في العراق وسورية وليبيا ومصر

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب لعمر عاشور بعنوان **كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟ التكتيكات العسكرية في العراق وسورية وليبيا ومصر**، قدّم له لاري ب. غودسون. يقع الكتاب في 312 صفحة، ويشتمل على ببليوغرافيا وفهرس عام.

التسلم Received 1/11/2021 | التعديل Revised 15/12/2021 | القبول Accepted 20/12/2021 | المعرف الرقمي DOI https://doi.org/10.31430//VKQK1410

التجاني عبد القادر حامد | Eltigani Abdelgadir Hamid*

الثورة السودانية وآفاق الانتقال الديمقراطي

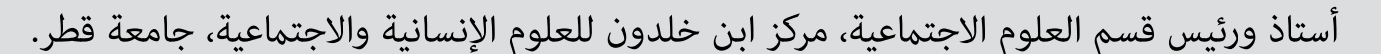
The Sudanese Revolution and Prospects for Democratic Transition

تطرح هذه الدراسة تساؤلات من بينها ما يلي: أكان سقوط نظام الإنقاذ في السودان نتيجة لـ "مبادرة من الداخل" أم لتحالف المعارضة أم لهذين الأمرَين معًا؟ وما مدى تأثير العامل الخارجي في مرحلة إسقاط النظام والانتقال إلى الديمقراطية؟ أيُتوقّع أن يتّبع نظام ما بعد الإنقاذ مسارًا ديمقراطيًا، أم أنه سيتحوّل إلى نظام تسلّطي جديد؟ تنتهي الدراسة إلى القول بأرجحية أن يكون الهدف المتّفق عليه بين القوى الدولية وشركائها السلطويين في الإقليم هو الانتقال بالسودان إلى النظام "الهجين"، حيث تبقى عناصر النظام السلطوي القديم مُمسكة بمفاصل السلطة، مع المحافظة على الحدّ الأدنى من الديمقراطية. يُضاف إلى ذلك أن التحالف العسكري – المدني الحاكم سيجد دعمًا من الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي (ومن حلفائهما الإقليميّين)، وهو ما يُمكّنه من تفكيك مؤسسات النظام السابق، واستيعاب عدد من الحركات المسلّحة في العملية السياسية، والانخراط المتدرّج في المنظومة الدوليةّ (الأمنية والاقتصادية). أما من ناحية الداخل السوداني، فستواجِه الحكومة الانتقالية تحدّيات صعبة، قد لا تؤدي إلى انهيار الوضع الانتقالي فحسب، بل إلى انهيار الدولة السودانية ذاتها أيضًا.

كلمات مفتاحية: الثورة السودانية، الانتقال الديمقراطي، السودان، الاحتجاج.

This study raises several pressing questions: Was the fall of the Salvation Regime in Sudan the result of an internal initiative or the opposition coalition, or both? To what extent did external dynamics influence the overthrow of regime and the transition to democracy? Is the post-Salvation regime likely to follow a democratic trajectory, or will it turn into another authoritarian regime? The study concludes that it is likely that the agreed goal between the international powers and their authoritarian partners in the region is to move Sudan to a "hybrid" system, where the elements of the old authoritarian regime remain in power, while maintaining a minimum level of democracy. In addition, the ruling military-civilian coalition will find support from the United States and the European Union (and their regional allies), enabling it to dismantle the institutions of the former regime, accommodate a number of armed movements in the political process, and gradually integrate into the international (security and economic) system. Meanwhile, domestically, the transitional government will face challenges that may not only lead to the collapse of the transitional process, but also to the collapse of the Sudanese state itself.

Keywords: Sudanese Revolution, Democratic Transition, Sudan, Protest.



* أستاذ ورئيس قسم العلوم الاجتماعية، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر.
Professor and Head of the Department of Social Sciences, Ibn Khaldoun Center for Humanities and Social Sciences, Qatar University.
Email: erahma@qu.edu.qa

مقدمة[1]

لا تُعد عملية "الانتقال إلى الديمقراطية" مشكلة من حيث الصعوبات العملية فحسب، بل أيضًا من حيث صعوبة الاتفاق على إطار مفاهيمي واضح يُسهم في تفسيرها؛ إذ كيف تُقرر مجموعة سياسية متمكنة في السلطة أن تتخلّى عن السلطة، أو تتقاسمها مع آخرين معارضين لها؟ وكيف يمكن مجموعة سياسية حاكمة ومحتكرة للسلاح أن تتفاوض مع مجموعات مدنية ليس لها سلاح؟ تسعى هذه الدراسة إلى النظر في حالة المساومات والتحالفات التي جرت في أعقاب الثورة السودانية (كانون الأول/ ديسمبر 2018)، وتسلّط الضوء بصفة خاصة على تعقيدات الانتقال من نظام "الإنقاذ"، الذي أُسقط بثورة شعبية إلى نظام سياسي بديل، وفقًا للوثيقة الدستورية التي توافقت بشأنها قوى إعلان الحرية والتغيير[2]. وتهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على أحد النماذج التي وُضعت للتنبؤ بصورة الانتقال من نظام سلطوي إلى نظام ديمقراطي بديل، ثم تطبيقه على الحالة السودانية، مع إجراء بعض الاستدراكات التي قد تُبرزها ملامسة الواقع. أمّا أهمية هذه الدراسة، فهي تكمن في منهجها القائم على استخدام "دراسة الحالة" لمساءلة النموذج النظري.

لم يمرَّ على أحداث الثورة السودانية إلّا عام ونصف العام، ثمّ إنَّ عملية التحوّل الثوري ما زالت جارية، وهو أمرٌ جعل الكتابة العلمية المتعلّقة بها ضئيلة. غير أنه توجد العديد من الوثائق والبيانات المنشورة التي يمكن الاعتماد عليها في تحليل المواقف السياسية للمجموعات المختلفة، إضافةً إلى المقابلات التي أُجريت مع بعض الفاعلين، وهي تتضمن خلفياتٍ مهمّة لما وقع من أحداث. أما البعد النظري للدراسة، فهو يتمثّل خصوصًا بحظوة ظاهرة الانتقال من النظم السلطوية إلى النظام الديمقراطي بدراسات عديدة، وما نقوم به في هذه الدراسة ما هو إلّا اختبار لأحد النماذج التي صيغت لتفسير تلك لظاهرة.

1 كتبت هذه الدراسة في منتصف عام 2021، وقد استجدت أحداث كثيرة في المشهد السياسي السوداني لم يكن من الممكن العودة إليها، ولكن هذه الأحداث لم تغير، كما يرى الكاتب، الفكرة المركزية في الدراسة، إن لم تكن قد زادتها تأكيدًا.

2 في كانون الثاني/ يناير 2019، أطلقت مجموعة من القوى السودانية إعلانًا باسم "قوى إعلان الحرية والتغيير"، ضم أربع قوى رئيسة، هي: "تجمع المهنيين السودانيين"، و"الإجماع الوطني"، و"نداء السودان"، و"التجمع الاتحادي المعارض"، ودعا الإعلان إلى إسقاط الرئيس السوداني السابق، عمر البشير (1989-2019)، وتحقيق سلام شامل وعادل، وتشكيل حكومة انتقالية لمدة 4 سنوات.

أولًا: مدخل نظري للدراسة: نموذج ألفرد ستيبان

لقد انشغل عدد من المنظّرين السياسيين المعاصرين بظاهرة التحوّل من النظم السلطوية إلى النظام الديمقراطي. وقد توصّل بعضهم، بعد بحوث مطوّلة في تجارب أمريكا اللاتينية ودول جنوب أوروبا وشرقها، إلى العديد من السيناريوهات والنماذج، على أنَّ النموذجين اللذين نالا قدرًا من القبول لديهم هما نموذج إسبانيا - مرحلة ما بعد فرانسيسكو فرانكو Francisco Franco (1892-1975) - حيث يبدأ الانتقال نحو الديمقراطية بمبادرة من داخل النظام السلطوي ونموذج تحالف القوى المعارضة؛ إذ تتمكن القوى السياسية والمجتمعية المعارضة من إبرام تحالف عريض بينها، ثمّ تنجح في إسقاط النظام السلطوي والاتفاق على صيغة لاقتسام السلطة (بوضع الأسس والمواثيق التي تحكم فترة الانتقال) تؤدّي إلى الانتقال إلى النظام الديمقراطي البديل[3].

سنحاول في هذه الدراسة أن نختبر القدرة التفسيرية للنموذج الأوّل بتطبيقه على الحالة السودانية، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. هل كان سقوط نظام الإنقاذ نتيجة لـ "مبادرة من الداخل"؟ أم هو نتيجة لتحالف المعارضة؟ أم هو نتيجة لهذين الأمرين معًا؟
2. ما مدى تأثير العامل الخارجي (الدولي والإقليمي) في مرحلة إسقاط النظام، وفي مرحلة الانتقال إلى الديمقراطية؟
3. أَمِن المتوقّع أن يتَّبِع نظام ما بعد الإنقاذ مسارًا ديمقراطيًا، أم سيتحوّل إلى نظام تسلّطيٍّ جديدٍ؟ ولماذا؟

لقد اتّجه كثير من الباحثين في النظرية السياسية (وفي النظم السياسية المقارنة) إلى التأمل في ظاهرة "الانتقال من النظم السلطوية إلى النظام الديمقراطي" منذ أواسط السبعينيات من القرن الماضي، حيث شهد العالم، من أميركا اللاتينية إلى جنوب أوروبا وشرقها، تساقطًا للنظم السلطوية مع تصاعد موجات الديمقراطية. وقد رصد صامويل هنتنغتون هذه "الموجات"، وحدّد أماكنها وتواريخ حدوثها في بحثٍ نال شهرة واسعة وأصبح له تأثيرٌ كبير في دراسات التحوّل الديمقراطي[4].

3 Alfred Stepan, "Paths toward Redemocratization," in: Guillermo O'Donnell, Philippe C. Schmitter & Laurence Whitehead (eds.), *Transitions from Authoritarian Rule: Comparative Perspectives* (Baltimore/ London: John Hopkins University Press,1986), p. 65.

4 نشر صمويل هنتنغتون (1927-2008) بحثًا عن الموجة الثالثة في عام 1991، وتعود مادة بحثه إلى محاضرة ألقاها عام 1989 في جامعة أوكلاهوما، ونشرتها الجامعة بعد عامين، يُنظر:

Samuel P. Huntington, *The Third Wave: Democratization in the Late Twenties Twentieth Century* (Norman: University of Oklahoma Press, 1991).

ولكن لم يكن هنتنغتون وحده في هذا المجال، فقد تقدّمه آخرون، إذ سبق أن برزت نظريات ونماذج عديدة يحاول أصحابها تفسير تلك الظاهرة، إما عن طريق "المقارنة" بحالات مشابهة، وإما عن طريق التعمّق في دراسة "البنية" الكُلّيّة للمجتمع وما تتضمن من عوامل اقتصادية وسياسية ودولية، أو عن طريق تتبُّع "الفاعلين" الأساسيّين وما يُضمِرون من قيمٍ ويُبدون من مهارات ويَتّخذون من قرارات.

سنحاول أن نختبر في هذه الدراسة واحدًا من نماذج الانتقال إلى الديمقراطية قام بصياغته ألفرد ستيبان، مدير مركز دراسة الديمقراطية وأستاذ العلوم السياسية في جامعة كولمبيا في عام 1986[5]، وهو نموذج استنبط في إطار مناقشات وبحوث مطوّلة بين فريق من علماء السياسة الذين اتّجهوا لدراسة ظاهرة "الانتقال" نحو النظام الديمقراطي حتى عُرِفوا بـ "الانتقالويّين" Transitologists[6].

يبدأ ستيبان تحليله بتأكيد قول مفاده أنه ليس من الضروري وجود مسار واحد للتحوّل الديمقراطي؛ إذ من الممكن أن تتعدّد المسارات وتتداخل، ويرى أنّ ذلك شرط من شروط الانتقال الناجح إلى النظام الديمقراطي. ثم يحدّد ثمانية مسارات لإنهاء النُّظم التسلّطية والانخراط بعد ذلك في عملية العودة إلى الديمقراطية Re-democratization. ولكنه سرعان ما يستبعد ثلاثة منها لاعتمادها على الغزو العسكري الخارجي (كما في بعض الحالات الأوروبية قبل الحرب العالمية الثانية)، ثم ينتهي إلى أنه منذ فترة الستينيات من القرن الماضي كانت أغلب عمليات الانتقال إلى الديمقراطية - وستظلّ كذلك في المستقبل المنظور - عملياتٍ تؤدي فيها القوى الاجتماعية والسياسية الداخلية دورًا أساسيًا (ولن يكون للقوى العسكرية الخارجية دور في ذلك الانتقال)، ويقدّر أنّ القوى العالمية والاقتصادية والتكتّلات السياسية ستظل تضطلع بدور مهمّ[7].

ويقسّم ستيبان مسارات العودة إلى الديمقراطية إلى عمليّتين: العملية (أ)، يأتي فيها التغيير من داخل النظام السلطوي (أي من الممسكين بالسلطة Power-holders)، والعملية (ب)، يأتي التغيير فيها من تحالف عريض للقوى السياسية المعارضة للنظام. ويمكن تقديم عرض مختصر للعمليّتين كما يلي:

- **العملية (أ)**

يأتي التغيير فيها بمبادرة من داخل النظام السلطوي، حيث يسعى قادة النظام (أو المجموعة المبادرة بالتغيير) إلى تخفيف الضغوط الواقعة عليهم، ولكن مع الاحتفاظ، في الوقت نفسه، بأكبر قدر ممكن من مصالحهم. ولا يفوته أن يلاحظ أن مسار الانتقال الديمقراطي النابع من داخل النظام السلطوي مسار عريض، ولذلك يركّز ستيبان على ثلاثة مسارات فرعية بحسب القاعدة المؤسسية التي تستند إليها المجموعة المبادرة بالتغيير في داخل النظام.

يرى ستيبان أنّ القابضين على السلطة سيظلّون ممسكين بها إلّا إذا أجبرتهم الظروف على إجراء تغيير في معادلة اقتسام السلطة، وذلك كأن تزداد، وتشتد، المطالب الاجتماعية والسياسية من داخل النظام، أو من بعض المجموعات السياسية النشيطة التي كانت موالية له في السابق، أو يزداد الشكّ في مشروعية النظام خاصة بين القوى التي تُنفّذ القوانين وتفرض الطاعة، أو يحدث شقاق بينها، أو تلوح فرصة للقابضين على السلطة ويحتفظون بقدر منها في منافسة انتخابية قادمة، أو يراودهم الأمل في أن يظلّوا فاعلين في الحياة السياسية المقبلة. وإذا حدث هذا، فإنّ هناك احتمالًا كبيرًا في انطلاق مبادرة التغيير من داخل النظام، وتنجح مسيرة الانتقال نحو الديمقراطية. ولن يجري التمهيد للانتقال الديمقراطي إلّا إذا استطاعت القوى السياسية المعارضة التعاون مع القادة المعتدلين في الحكومة في صياغة إطار سلميّ للانتقال نفسه.

ولكن حتى مع نجاح تجربة الانتقال إلى الديمقراطية فإنّ أجهزة القمع التي كان يستخدمها النظام القديم ستظل محتفظة بقوّتها في فترة ما بعد الانتقال؛ ما يمثّل معوّقًا قويًا ضد السياسات الجديدة التي قد تضع قوانين للسيطرة على أجهزة الدولة مستخدمة الإجراءات الديمقراطية. وهذا سيهدّد استقرار النظام الجديد وقد يجعله عرضة لانقلاب داخلي تُدبره أجهزة النظام القديم، خاصة إذا أدركت هذه الأجهزة أنّ الإجراءات الديمقراطية ستشكّل خطرًا أمنيًا عليها[8].

إنّ أوضح مثال للانتقال الديمقراطي، الذي ينطلق من داخل النظام السلطوي، هو ما وقع في إسبانيا بعد وفاة الجنرال فرانكو في عام 1975، ثم بعد اختفائه من المشهد السياسي؛ إذ أتاح ذلك فرصةً لطرح أسئلة أساسية عن مشروعية القوانين التي كان يُصدرها النظام. يضاف إلى ذلك اشتداد الضغوط الشعبية التحتية الداعمة لعملية التغيير. ثم تكتمل الحلقة بمواقف المعارضة السياسية التي كانت تضغط من جهة، وتساوم من جهة أخرى، وهو ما أتاح للعملية الديمقراطية أن تتحوّل من مبادرة إصلاحية محدودة من داخل النظام إلى إصلاح

5 نشر البحث ضمن برنامج "الانتقال من النظم السلطوية إلى الديمقراطية"، وهو مشروع بحثي يُعنى بما عُرف بـ "موجة الدمقرطة الثالثة" Third Wave of Democratization، وقد شارك فيه عددٌ من الأساتذة ضِمن هذا العنوان في عام 1979 بمبادرة من غيرمو أودنيل Guillermo A. O'Donnell، وفيليب شميتر Philippe C. Schmitter، ولورنس وايتهيد Laurence Whitehead، ونشرت أعمال المشروع في أربعة مجلّدات عام 1986.

6 Howard J. Wiarda, "Southern Europe, Eastern Europe, and Comparative Politics: Transitology and the Need for New Theory," *World Affairs*, vol. 164, no. 4 (Spring 2002), pp. 149-156.

7 Stepan, p. 65.

8 Ibid., p. 71.

أكبر تشترك فيه قوى المعارضة السياسية، ثم إلى ثورة وقطيعة مع الماضي تجري عبر مساومة مع القوى المعارضة. إنّ مثل هذا التعاون بين الحكومة والمعارضة هو ما أدّى إلى إضعاف فرص المؤسسة العسكرية وإنجاح الانتقال إلى الديمقراطية[9]. ثمّ إنّ اتفاق القوى المعارضة على قانون للانتخابات أتاح أملًا لبعض قادة النظام القديم، مثل أدولفو سواريز غونزاليز Adolfo Suárez (1932-2014)، بالفوز في الانتخابات القادمة، أو بممارسة العمل السياسي، حتى إنْ لم يحقّقوا نجاحًا في الانتخابات. ومع كلّ هذا، فإنّ تجربة الانتقال إلى الديمقراطية ظلت هشة في إسبانيا لأسباب تتعلّق بالنزاع الإقليمي في منطقة الباسك، التي صارت مهدّدةً للوحدة الوطنية، وصارت أيضًا حجّة تعتمد عليها الأجهزة الأمنية في عرقلة النظام الديمقراطي.

> أوضح مثال للانتقال الديمقراطي، الذي ينطلق من داخل النظام السلطوي، هو ما وقع في إسبانيا بعد وفاة الجنرال فرانكو في عام 1975، ثم بعد اختفائه من المشهد السياسي؛ إذ أتاح ذلك فرصةً لطرح أسئلة أساسية عن مشروعية القوانين التي كان يُصدرها النظام

- **العملية (ب)**

تتضمن هذه العملية نمط التغيير الذي يحدث نتيجة لمبادرة يقوم بها تحالف سياسي عريض Grand Oppositional Pact[10]، حيث تَعقد العناصر المعارضة للنظام اتّحادًا فيما بينها، وتتمكّن عن طريق الثورة من هزيمة النظام السلطوي، ثم تشرع في وضع القواعد لنظام ديمقراطي بديل تَكُون الطريق إلى السلطة مفتوحة فيه لمعظم قوى المعارضة. ويحظى هذا المسار باهتمام كبير لدى الباحثين في شؤون الانتقال الديمقراطي، لأنه قد يُسهم في حلّ معضلتين في آن واحد؛ إذ تتعلّق المُعضلة الأولى بتجريف القاعدة التي يستند إليها النظام، في حين تتعلّق الثانية بوضع قاعدة لنظام ديمقراطي بديل يتضمّن صيغة لتقاسم السلطة بين الفرقاء.

ويلاحظ ستيبان سهولة نجاح القوى المعارضة في تكوين مثل هذا التحالف الواسع، الذي يعتبر استمراره غير مضمون، إذ من السهل أيضًا أن تنحلّ التحالفات وتتساقط، وقد تُستبعد منها بعض المجموعات السياسية المهمة، وهو مؤشّرٌ دالّ على بروز نزعة سلطوية تُعرقل مسار إعادة الديمقراطية. يضاف إلى ذلك أنّ التحالفات الحزبية لا تنشأ في كل النظم السياسية، لأنها بطبيعتها تستلزم شروطًا لا غنى عنها؛ أوّلُها توافر قيادات ذات قدرات تنظيمية وأيديولوجية - تؤهّلها لإجراء المساومات اللازمة - لا تتحقّق التحالفات الكبرى من دونها، وثانيها أن يكون لهذه القيادات أتباع يمكن أن يلتزموا ببنود التحالفات المبرمة وشروطها[11].

ويرتكز النموذج بصفة عامة على افتراض أول مفاده أنّه يوجد في داخل النظام "إصلاحيّون" Reformers في مقابل وجود "معتدلين" Moderates في جانب المعارضة؛ كما يوجد "متشدّدون" Hardliners داخل النظام في مقابل "أصوليين" Radicals في الجهة المعارضة. ويفترض نموذج ثانٍ أن ينخرط الإصلاحيون من هنا والمعتدلون من هناك في مساومات تتعلّق بطبيعة التغيير ومداه، حيث يُحاول الإصلاحيّون الاحتفاظ بأكبر قدر من السلطة، في حين يدفع المعتدلون في اتجاه الانتقال إلى الديمقراطية بأقصى ما يستطيعون. ويفترض نموذج ثالث أنّ المتشدّدين في النظام والأصوليّين طرفان في المعارضة يملكان القدرة على إحباط أيّ تسوية لا يرضيان عنها؛ ما يعني أنّه لكي يحدث انتقال سلميّ إلى الديمقراطية، لا مناص من التوصّل إلى صيغة يرضى عنها هذان الطرفان، وإلّا كانت النتيجة أن يتّجها إلى العنف السياسي وإحباط محاولات الانتقال[12].

ثانيًا: وقائع الثورة السودانية: ماذا حدث؟

1- القيادة العسكرية - الأمنية

يمكن أن يؤرَّخ لنهاية نظام الإنقاذ[13] بالحادي عشر من نيسان/ أبريل 2019، حينما ظهر على شاشات التلفزيون النائب الأول لرئيس الجمهورية، وزير الدفاع الفريق أحمد عوض بن عوف (2015-2019)، معلنًا أنّه قد جرى "اقتلاع النظام والتحفّظ على رأسه في مكان آمن"، وأنّه قد شكّل مجلسًا عسكريًّا يدير دفّة الأمور مدة

9 Ibid., p. 74.

10 Ibid., p. 79.

11 Ibid., p. 80.

12 Jakub Zielinski, "Transitions from Authoritarian Rule and the Problem of Violence," *The Journal of Conflict Resolution*, vol. 43, no. 2 (April 1999), p. 214.

13 هي تسمية أُطلقت على النظام السياسي الذي ترأسه الرئيس السابق عمر البشير عن حزب المؤتمر الوطني، وحكم السودان مدة 30 عامًا.

عامين، إضافة إلى حل مؤسسة الرئاسة، وإعلان حالة الطوارئ[14]. ولكن لم يمض سوى يوم واحد حتى أعلن الفريق بن عوف تنازله عن رئاسة المجلس العسكري وتسليمه مقاليد الأمور إلى الفريق أول عبد الفتاح البرهان (نيسان/ أبريل 2019 - آب/ أغسطس 2019)[15]. غير أنّ هذا الإعلان الرسمي لنهاية النظام قد سبقته احتجاجات شعبية وتظاهرات في كثير من المدن السودانية بسبب أزمة حادة في الخبز والوقود، فضلًا عن شحٍّ غير مألوف في العُملة المحلّية. وقد استمرت الاحتجاجات نحو أربعة أشهر، من 19 كانون الأول/ ديسمبر 2018 إلى 11 نيسان/ أبريل 2019، بلغت فيها أزمة النظام ذروتها، وهي الأزمة التي دفعت بـ "اللجنة الأمنية العليا" إلى صدارة الأحداث، وقد طالبت الرئيس عمر البشير (1989-2019) بأن يُعلن توجّهًا سياسيًا جديدًا للخروج من الأزمة يتضمّن أربع نقاط أساسية: أن يتنحى عن رئاسة حزب المؤتمر الوطني؛ وأن يُعلن عدم ترشّحه لدورة رئاسية قادمة؛ وأن يحلّ المجلس الوطني ومجلس الوزراء ويشكّل حكومة انتقالية كاملة الصلاحية؛ وأن يُشكّل مجلسًا عسكريًا تحت رئاسته يكون مسؤولًا عن أمن البلاد خلال فترة انتقالية لا تتجاوز عامين[16].

ولكن فيما عدا النقطة الأولى المتعلّقة بالتخلّي عن رئاسة الحزب، فإن الرئيس البشير لم يكن مستعدًّا للأخذ بأيّ نقطة من النقاط الأخرى، بل يقال إنه طلب من قيادة اللجنة الأمنية العليا أن تتجه إلى الحسم الأمني[17]، وهو ما جعلها تحزم أمرها فتعلن الاستيلاء التامّ على السلطة، وقد استطاعت أن تفعل ذلك بيُسر لأن مفاتيح السلطة العسكرية والأمنية كانت تحت تصرّفها، ثم إنها لم تكن تجهل الطرق التي تدخل منها إلى الثوار الذين احتشدوا في ساحة القيادة العامة، إذ كانت على اتصال ببعضهم منذ بداية الاحتجاجات[18]، فجَرت في هذا السياق مفاوضات ومساومات واتفاقات بين اللجنة الأمنية التي صارت تعرف بالمجلس العسكري وأطراف المعارضة، وهي المفاوضات التي انتهت بإبرام الشراكة بينه وبين قوى إعلان الحرية والتغيير. ويبدو من إفادات كثيرة متواترة أن المجلس العسكري كان له (من خلال جهازه الأمني) اتصالات سابقة مع بعض أطراف المعارضة، وأنه تباعد تدريجيًا عن النظام ومال إلى التغيير. وممّا يدل على ذلك الخطاب الأول الذي أعلنه الفريق بن عوف، إذ أشار، وهو بصدد توضيح الأسباب التي دعته إلى الانقلاب على الرئيس البشير، إلى أنّ:

1. "اللجنة الأمنية العليا"، المكوّنة من القوات المسلّحة وقوات الشرطة وجهاز الأمن والمخابرات وقوات الدعم السريع هي التي قامت بالتغيير.
2. هذه اللجنة كانت تتابع ما يجري في مؤسسات الحكم من سوء إدارة وفساد وانسداد للأفق أمام الشعب، وخاصة أمام الشباب.
3. النظام كان يُصرّ على الحلول الأمنية، لكن اللجنة رفضت ذلك وعملت على تقديم البدائل والمقترحات للخروج من الأزمة بالطرق السياسية.
4. اللجنة العليا قرّرت بكامل مكوّناتها تنفيذ ما لم يأخذه رأس النظام في الحسبان، وقد تحمّلت المسؤولية كاملة بتغيير النظام لفترة انتقالية مدة عامين تتولّى فيها القوات المسلحة - على نحو أساسي - مسؤولية إدارة الدولة والحفاظ على الأمن، مع تمثيل محدود لمكونات تلك اللجنة[19].

غير أن خطاب الفريق بن عوف لم يتطرّق إلى الأطراف الخارجية، خاصّة الدول الإقليمية الثلاث (المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات ومصر) التي كان لها دور كبير في وضع الترتيبات التي قادت إلى التغيير وفي الدعم المباشر الذي تقدّمت به[20]. ويعود اهتمام هذه الدول بالسودان إلى مسألتين أساسيّتين: الحرب السعودية-الإماراتية في اليمن، والنزاع الإثيوبي-المصري المتعلق بسدّ النهضة. فقد أعلنت السعودية في 12 شباط/ فبراير 2015 - في إطار صراعها مع إيران - عن خُطة عسكرية أُطلق عليها "عاصفة الحزم"، تهدف إلى التصدّي

14 "الجيش يعلن 'اقتلاع' نظام البشير واحتجازه 'في مكان آمن'"، **فرانس 24**، 2019/4/11، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3KBcsAY

15 "ابن عوف يتنازل والبرهان خلفا له"، **وكالة السودان للأنباء "سونا"**، 2019/4/12، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3tSoA9Z

16 أفصح عن هذه النقاط رئيس جهاز الأمن، اللواء صلاح قوش في مقابلة مع رؤساء تحرير الصحف اليومية في 22 شباط/ فبراير 2019، وقد تضمن خطاب الرئيس البشير بعض هذه النقاط ما عدا النقطة المتعلّقة بتخلّيه عن الترشح لفترة رئاسية جديدة. يُنظر: "ضياء الدين بلال: قرارات الرئيس!"، **باج نيوز**، 2019/2/24، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/36fq3Pn

17 "نائب رئيس جهاز الأمن السابق يكشف لأول مرة في حوار معه التفاصيل الكاملة لسقوط البشير ودور قوش وبن عوف وحميدتي وخطة قتل المتظاهرين"، **تاق برس**، 2020/10/5، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3w2y8lI

18 تشير كثير من المصادر إلى أن مدير جهاز الأمن الوطني صلاح قوش كان على اتصال ببعض قيادات المعارضة سعيًا للحصول على تأييدها في الأسابيع التي سبقت عزل الرئيس البشير، خاصة مع زعيم حزب الأمة الصادق المهدي، ورئيس حزب المؤتمر السوداني، عمر الدقير، وأعضاء من حزب البعث، يُنظر: "رويترز تكشف كواليس تورّط الإمارات في الإطاحة بعمر البشير"، **الجزيرة نت**، 2019/7/3، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3JbYPYA

19 بث الخطاب على تلفزيون السودان وعلى قناة **الجزيرة مباشر** وتناقلته وسائل الإعلام المختلفة. للاطلاع على النص الكامل للخطاب، يُنظر: "نص البيان الأول.. هذا ما أعلنه الجيش السوداني"، **الجزيرة نت**، 2019/4/11، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3q1i0wF

20 من المؤشّرات التي تدل على هذا الدور التعاونُ السابق مع كل من الفريق البرهان والفريق محمد حمدان دقلو في حرب اليمن، والدعمُ المتواصل الذي قدّمته هذه الدول للمجلس العسكري لتعزيز موقفه أمام القوى السياسية. للاستزادة في هذا الشأن، ينظر التقرير الذي أعدّه ونشره "مشروع العلوم السياسية للشرق الأوسط" التابع لمعهد دراسات الشرق الأوسط في جامعة جورج واشنطن:
Jean-Baptiste Gallopin, "The Great Game of the UAE and Saudi Arabia in Sudan," *Middle East Political Science*, accessed on 13/3/2022, at: https://bit.ly/3tSBYLl

للقوّات الحوثية في اليمن واستعادة الشرعية للرئاسة اليمنية المنتخبة الممثّلة في الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي (2012). كانت السعودية تتوقّع دعمًا عسكريًّا من مصر وباكستان، ولكنّ ذلك لم يحدث لأسباب مختلفة فاتّجه النظر إلى السودان. وكان المطلب السعودي - الإماراتي من السودان يتلخّص في ثلاث قضايا: قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران، واستبعاد العناصر الإسلامية من القيادة العسكرية والأمنية، وإرسال قوات من الجيش السوداني للمشاركة في حرب اليمن[21]. ونظرًا إلى الضائقة الاقتصادية التي كانت تعانيها حكومته، وافق الرئيس البشير على تلك المطالب في مقابل الدعم الاقتصادي، وقطع العلاقة مع إيران، وأجرى بعض تغييرات أزاح بموجبها بعض العناصر الإسلامية من قيادة الدولة، وأرسل قوّات عسكرية إلى اليمن تحت إشراف الفريق البرهان وقائد قوّات الدعم السريع السودانية الفريق محمد حمدان دقلو المعروف باسم حميدتي (2010-). غير أن هذه التنازلات التي تَقدّم بها الرئيس البشير لم تنجح - فيما يبدو - إلّا في إغراء السعودية والإمارات بالتفكير في إسقاط حكومته واستبدالها بالقيادة العسكرية ذاتها التي كانت تشرف على العمليات العسكرية في اليمن (الفريق البرهان، والفريق دقلو)[22]. وبناءً على هذا يمكن القول إنّ الخطوة الحاسمة نحو التغيير قد أتت من داخل النظام ومن قيادة الجيش والأمن، وبتدبير ودعم من الخارج (السعودية والإمارات)، وإنّ الحكومة الانتقالية - بشقّيها العسكري والمدني - هي نتاج لهذه الترتيبات، مع ملاحظة أن عملية استقطاب بعض عناصر الشقّ المدني لصالح الخطّة السعودية - الإماراتية ظلّت مستمرة خلال الزيارات والتفاهمات الهادفة إلى الاصطفاف ضدّ الإخوان المسلمين[23].

2. الجبهة السياسية: ماذا حدث؟

مثلما صار المجلس العسكري في السودان حكومة أمرٍ واقع في كلّ الميادين، صار الحراك الشعبي في ميدان الاعتصام "حكومة الثورة" أيضًا، لكنّها حكومة مع وقف التنفيذ، لأن المسافة بين ميدان الاعتصام ومجلس الوزراء ليست مسافة جغرافية تقاس بالأميال، بل هي مسافة سياسية معقّدة كليًّا؛ كالمسافة بين الثورة والدولة. ولمّا كانت مرحلة الثورة لا تحتاج إلى أكثر من ضم الصفوف وتزكية الحماسة والاستعداد للتضحية، فقد تولّى قيادتها "تجمُّع المهنيين"[24]، الذي سرعان ما انخرط مع عدد آخر من التنظيمات في كيان سياسي واسع تحت اسم "قوى إعلان الحرية والتغيير".

> مثلما صار المجلس العسكري في السودان حكومة أمرٍ واقع في كلّ الميادين، صار الحراك الشعبي في ميدان الاعتصام "حكومة الثورة" أيضًا، لكنّها حكومة مع وقف التنفيذ، لأن المسافة بين ميدان الاعتصام ومجلس الوزراء ليست مسافة جغرافية تقاس بالأميال، بل هي مسافة سياسية معقّدة كليًّا؛ كالمسافة بين الثورة والدولة

21 Ibid.

22 نظرًا إلى الطبيعة السرية لمثل هذه الأدوار، فليس أمامنا إلّا الاعتماد على تقريرين صحفيّين تضافرت شواهد عديدة على صدقيتهما. التقرير الأول نشرته مجلة **فورن بوليسي** بعد شهر واحد من سقوط نظام البشير. وقد كتب التقرير الصحافي الفرنسي جوروم تبيانا Jerome Tubiana المتخصص في الشؤون الأفريقية، مشيرًا فيه إلى مشاركة فرقة من الجيش السوداني ضمن قوات التحالف الذي قادته السعودية في حرب اليمن، حيث عمل عبد الفتاح البرهان وأحمد دقلو (حميدتي) في قيادة الفرقة السودانية التي شاركت في الحرب السعودية - الإماراتية في اليمن، وكيف أنهما قابلا مسؤولين إماراتيين وسعوديين وتفاهما على ترتيبات ما بعد الرئيس البشير، إذ تأكد للجانب السعودي -الإماراتي أن هذين الرجلين (البرهان - حميدتي) يستوفيان تمامًا شروط القادة الجدد الذين تبحث عنهم الإمارات والسعودية ممّن ليست لهم علاقة مع إيران أو قطر أو الإخوان المسلمين. يُنظر:

Jérôme Tubiana, "The Man Who Terrorized Darfur Is Leading Sudan's Supposed Transition," *Foreign Policy* (May 2019), accessed on 13/3/2022, at: https://bit.ly/3KEbofB

أما التقرير الثاني، الذي يعضد هذه الوقائع، فقد نشرته وكالة **رويترز** في 3 تموز/ يوليو عام 2019 (بعد ثلاثة أشهر من سقوط النظام). وجاء في ذلك التقرير، الذي أعدّه ثلاثة من مراسلي الوكالة اعتمادًا على مقابلات أجروها مع أكثر من عشرة مصادر مطلعة على الأحداث، أن الرئيس البشير توصل إلى تفاهم مع الشيخ محمد بن زايد يقضي بأن يتخلّص البشير من الإسلاميين، وأن يرسل قوات عسكرية لدعم الإمارات والسعودية في حرب اليمن، مقابل دعمٍ مادي تقدمه الإمارات إلى السودان. ولكن الرئيس البشير لم ينجز كلّ ما تعهد به، فقطعت الإمارات إمدادات الوقود عن السودان، في كانون الأول/ ديسمبر 2018، تعبيرًا عن استيائها، ما فاقم الأزمة الاقتصادية التي أودت بالنظام. ينظر:

Khalid Abdelaziz, Michael Georgy & Maha El Dahan, "Abandoned by the UAE, Sudan's Bashir Was Destined to Fall," *Reuters*, 3/7/2019, accessed on 13/3/2022, at: https://reut.rs/36gQXXq

23 من الشخصيات التي شاركت في تلك اللقاءات: مريم الصادق المهدي (حزب الأمة)، وخالد عمر يوسف (المؤتمر السوداني)، وياسر عرمان (الحركة الشعبية قطاع الشمال). يُنظر: "ثورة ديسمبر": السياقات والفاعلون وتحدّيات الانتقال الديمقراطي في السودان"، **تقارير**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/6/2، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/35TXtn1

24 تجمّع المهنيّين السودانيّين هو أبرز مكونات قوى إعلان الحرية والتغيير. وتعود نشأته إلى عام 2018 حينما ابتدأ نشاطه بدراسة عن الأجور ورفع بشأنها مذكرة إلى حكومة الرئيس البشير. وكان يضم في ذلك الحين نحوًا من ستة أجسام مهنية، هي: لجنة أطباء السودان، والتحالف الديمقراطي للمحامين، وتجمّع المهندسين، وشبكة الصحافيين، ولجنة المعلّمين، ولجنة البيطريّين، ولجنة الصيادلة. ثمّ بدأ في الظهور الإعلامي مرة ثانية بعد أسبوع من بداية الثورة الشعبية التي انطلقت على نحو عفوي في 13 كانون الأول/ ديسمبر 2018، وقد انضم إليه عدد كبير من التنظيمات والأجسام المهنية وأصدر بيانًا باسم قوى إعلان الحرية والتغيير (قحت)، وهو الكيان الذي صار منذئذ منصّة للقيادة الجماهيرية.

استطاعت قوى إعلان الحرية والتغيير إبرام تحالف سياسي فضفاض يتكوّن من أربع مجموعات سياسية كبرى، وتشمل كلّ مجموعة عددًا من الأحزاب (والجماعات المسلّحة وغير المسلّحة)، يضمُّها تحالفٌ هشٌّ وتُديرها كلّها لجنة "تنسيقية" محدودة الصلاحيات، بسبب ظروف الاستعجال التي لازمت الأسابيع الأولى من الثورة. أمّا في مرحلة إدارة "الدولة"، فقد تضاءلت الرومانسية الثورية لتحلّ مكانها الواقعية السياسية، وهذه الأخيرة تستلزم أن يقوم كل حزب بمراجعة استراتيجيته، ويُجري ما يشاء من تفاهمات سياسية، وقد يفضُّ، بناءً على ذلك، تحالفاته القديمة ويبرم أخرى جديدة. هنا تتباين المواقف وتُطلّ مرحلة "التخلّص من الشركاء". وهنا يَكمُن الإشكال؛ إذ صار بعضهم يرى بوضوح مواقع الخلل في تشكيلة قوى إعلان الحرية والتغيير، فهو جسم سياسي كبير، ولكن ليس له قيادة تنفيذية موحّدة ولا رؤية استراتيجية (ما عدا إعلان الأول من كانون الثاني/ يناير 2019، وهو إعلان مبادئ، وليس برنامج عمل)، وقد انعكس ذلك سلبيًّا على أدائه في التفاوض مع المجلس العسكري. غير أن صيغة "القيادة الموحّدة"، وإن كانت ستُكسِب قوى إعلان الحرية والتغيير مزيدًا من القوة، فإنّ المستفيد الأكبر منها سيكون الإمام الصادق المهدي، صاحب المشروعية القديمة والثّقل الحزبي التاريخي، وهو خيارٌ لا تحبّذه المجموعات السياسية الأخرى.

اتّضح أنّ لبعض القيادات السياسية[25] المنضوية تحت مظلّة قوى إعلان الحرية والتغيير أجندة إقليمية تتناغم مع أجندة المجلس العسكري أكثر من تناغمها مع المزاج العام للحراك الشعبي، الذي يرفض التدخّلات الإقليمية في الشأن السوداني. وبهذه التقاطعات، في داخل قوى إعلان الحرية والتغيير، تأكّد أنّ الخلافات بينها لم تكن تتعلّق بأمور تكتيكية يُمكن تجاوزها في إطار هدف أكبر، بقدر ما كانت تناقضات أساسية يصعب تجاوزها، وهي تتعلّق بإدارة الدولة للاقتصاد وللعلاقات الخارجية، وقد تنتهي عاجلًا أو آجلًا إلى المفاصلة التامة. وبناءً على ذلك، صار من الراجح أنّ هذه الخلافات ستضعف وحدة الصف والهدف، وإذا اتّسعت هذه الخلافات فإنها ستؤدي - خاصة في أجواء التعبئة الإعلامية - إلى نوع من الصِّدام الذي ستتعذّر أي محاولة للسير في اتجاه الانتقال الديمقراطي المأمول في حال حدوثه.

رغم هذه الهشاشة والضعف التنظيمي (أو بسببه)، اختارت قوى إعلان الحرية والتغيير أن تدخل في شراكة مع الجناح العسكري من النظام السابق وأن تتقاسم معه السلطة التنفيذية وفقًا للوثيقة الدستورية الموقّعة بينهما[26]، إذ نالت عددًا من المقاعد في مجلس السيادة، ونالت أيضًا كلَّ الحقائب الوزارية، ما عدا وزارتَي الداخلية والدفاع. وبهذا، تكون قد انتهت رئاسة المجلس العسكري، وبدأت دورة الحكومة الانتقالية في أيلول/ سبتمبر 2019، فقد صار عبد الله حمدوك (2019-2022) رئيسًا للوزراء، والفريق البرهان رئيسًا لمجلس السيادة، في تحالف عريض يقف من خلفه نحو سبعة أحزاب سياسية[27].

3. الائتلاف الهش بين المكوّن العسكري والمدني

يمكن الإشارة إلى مرحلتين أساسيّتين مرّت بهما العلاقة بين الشريكين العسكري والمدني في الحكومة الانتقالية: مرحلة الاندفاع الثوري، ومرحلة الواقعية السياسية. تميّزت المرحلة الأولى بتضاؤلٍ نسبيٍّ لدور الحزبين الكبيرين تاريخيًّا (حزب الأمة، والحزب الاتحادي الديمقراطي)، وبروز أكبر لأحزاب الأقلّيات اليسارية الثلاثة (الحزب الشيوعي السوداني، وحزب البعث السوداني، والحزب الوحدوي الديمقراطي الناصري)، إلى جانب حزب المؤتمر السوداني، وبعض التنظيمات المهنية وتجمعات المجتمع المدني. فهذه التنظيمات هي التي تصدّت للقيادة تحت اسم "إعلان الحرية والتغيير"[28]، ومثّلت الحاضنة السياسية لحكومة الثورة، فأعدّت الوثيقة الدستورية، وحدّدت هياكل الحكم ومستوياته، وتقاسمت السلطة مع المجلس العسكري، وكانت ترى نفسها بوصفها الصانع الحقيقي للثورة والفاعل الأكبر في الساحة السياسية، فتحالف قوى إعلان الحرية والتغيير، بحسب محمد ناجي الأصم، وهو أحد قاداته، هو الذي نسّق الجهود الشعبية وبلْوَر خياراتها النضالية. أمّا القوّات المسلحة، فقد سارت معهم في طريق الثورة والتغيير، ومن أجل تأسيس "ديمقراطية مستدامة في السودان"[29]. غير أن هذا التصوّر المتفائل لدور القوّات المسلّحة لم يكن محلَّ اتّفاق بين مكوّنات قوى إعلان الحرية والتغيير؛ فالحزب الشيوعي السوداني مثلًا لا ينظر بإيجابية

25 الإشارة هنا إلى بعض القيادات السياسية التي تتجاوب مع خط دولة الإمارات: خالد عمر يوسف، ومريم الصادق، وياسر عرمان وغيرهم.

26 "الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية بجمهورية السودان"، **وحدة حساسية النزاعات**، 2021/2/19، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/35NCBOr

27 الأحزاب السبعة الرئيسة المشاركة في الحكومة هي: حزب الأمة القومي، وحزب المؤتمر السوداني، والحزب الشيوعي السوداني، وتجمع الاتحاديين الديمقراطيين، وحزب البعث السوداني، والحزب الوحدوي الديمقراطي الناصري، والحزب الجمهوري الاشتراكي.

28 "إعلان الحرية والتغيير"، فيسبوك، 2019/1/1، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3q0Rrb6

29 "انتصرنا ونطالب بحق شهدائنا.. كلمة محمد ناجي الأصم بعد توقيع الاتفاق التاريخي في السودان"، يوتيوب، 2019/8/17، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3CDvow5؛ إسماعيل محمد علي، "صديق يوسف: رئيس الوزراء السوداني ليس شيوعيًّا"، **إندبندنت عربية**، 2019/12/20، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3KzhMok

إلى ما قامت به القوات المسلّحة، بل يراه "انقلابًا عسكريًا" قُصد به ألّا تصل الثورة إلى نهاياتها الكاملة[30]. وهذا الاختلاف في الرؤية سيتّسع فيما بعد وسيؤدي إلى انهيار قوى إعلان الحرية والتغيير، بحسب ما يتوقّع الباحث.

وقد يرد تساؤل عن الكيفية التي يرى بها المجلس العسكري نفسه، فضلًا عن الدور الذي كان يريد أن يضطلع به في مرحلة ما بعد البشير؛ أيرى نفسه شريكًا في السلطة أم مالكًا لها؟ تأتي الإجابة عن مثل هذا التساؤل في واحدٍ من الخطابات المبكّرة لرئيس المجلس العسكري، الفريق عبد الفتاح البرهان، بمناسبة تعليق المفاوضات مع قوى إعلان الحرية والتغيير، في 15 أيار/ مايو 2019؛ إذ يرى أنّ العناصر المكوّنة للمجلس العسكري، بما فيها قيادة الدعم السريع، أتت من رحم هذا الشعب، وأدّت دورًا مهمًّا وفاعلًا في مساندة الثورة، وأنها قد انحازت إلى خيار الشعب، وأمّنت انتصاره[31]. ويبدو أنّ هذا الخطاب يمثّل الخط الاستراتيجي الثابت للعسكريّين.

ولا شك في أن الجيش - أو المنظومة الأمنية بعبارة أدقّ - قد رفض إطلاق النار على المتظاهرين في السادس من نيسان/ أبريل 2019، وأنه قام بحمايتهم، في مخالفة جريئة لأوامر الرئيس المخلوع؛ ما عجّل بنهاية نظام الإنقاذ. لكن تجب الإشارة إلى أن الاندفاع الشعبي التلقائي قد وصل حينئذ إلى مرحلة من الغليان لم يكن من الممكن إخمادها. ولذلك، من الإنصاف أن يقال إنّ الجيش والشعب اشتركا في نجاح الثورة وإزاحة النظام السابق (دستورًا ومؤسساتٍ وأشخاصًا). غير أنّ ذلك أحدث "فراغًا" كان لزامًا على الجيش - من ناحية عملية وقانونية - أن يملأه، وقد فعل؛ ليصبح بذلك أمينًا على السلطة، زيادة على كونه شريكًا فيها. ثمّ صار المجلس العسكري هو حكومة "الأمر الواقع"، تشريعًا وتنفيذًا.

ومع أنه ليس من العسير على المجلس العسكري أن يُسوِّق شراكته في السلطة استنادًا إلى مساندته للثوار، فإنّ هناك قضايا أخرى ستظلّ تلاحقه، فضلًا عن صعوبة تسويقها، ومنها أنّ هذا المجلس كانت له "خيوط" تربطه بالنظام القديم، سواء من حيث الترقيات إلى رتبة فريق أوّل ركن، وقد حصل عليها بعض أعضائه قبيل الثورة بأسابيع، أو من حيث العمليات التي شاركوا فيها، أو تجاوزات "مجزرة القيادة العامّة" التي سكتوا عنها. ولكي يتمكّن من طيّ هذه الصفحة وإثبات أنه قطع كلّ خيط يربطه بنظام البشير، فقد وقّع باسم مجلس السيادة قرارًا بتشكيل لجنة لإزالة النظام القديم وتفكيكه؛ إذ لم تكد تمضي أسابيع قليلة على تنصيب الحكومة الائتلافية بين المجلس العسكري وقوى إعلان الحرية والتغيير، في أيلول/ سبتمبر 2019، حتّى أصدر رئيس مجلس السيادة السوداني، الفريق أول عبد الفتاح البرهان، قرارًا قضى بتكوين لجنة لإزالة التمكين ومحاربة الفساد واسترداد الأموال المنهوبة. وبموجب ذلك القانون حُلّ حزب المؤتمر الوطني وحذف من سِجِلّ التنظيمات والأحزاب السياسية وصودرت ممتلكاته، ثمّ حلّت كلّ الواجهات الحزبية والنقابات والاتحادات المهنية والمنظّمات التابعة له أو لأي شخص أو كيان يعتبر من نتائج التمكين[32]. أمّا الشخصيات الأساسية من الإسلاميين، التي كانت الإمارات والسعودية تُطالبان بإبعادها من السلطة، ولا سيما علي عثمان محمد طه، وبكري حسن صالح، ونافع علي نافع، وعوض أحمد الجاز، فقد زُجّ بها في السجن منذ الأسبوع الأول لإطاحة النظام[33].

وكما هو متوقّع، نالت هذه الإجراءات قبولًا وثناءً من بعض "قوى إعلان الحرية والتغيير"، ولا سيما حزب البعث والحزب الشيوعي، وأحسّت بأنّ واحدًا من أهم أهدافها الاستراتيجية قد صارت تقوم به لجنة إزالة التمكين. ولذلك، انخرطت هذه الأحزاب في محاصصة حزبية محمومة، وسعى كلّ منها لـ "تمكين" عناصره في مفاصل الدولة، ثم أُضفِيَ على عملية الإحلال والإبدال تلك طابعُ الصراع الأيديولوجي القديم - المتجدّد بين تيار الإسلام السياسي وتيار اليسار العلماني الذي يسعى في عجَلٍ لإعادة تأسيس المجتمع السوداني برمّته، والتحوّل به نحو وِجهة جديدة (ثقافةً وسياسةً واقتصادًا)، وصار الهدف الاستراتيجيّ للحكومة الانتقالية وحاضنتها السياسية هو القضاء على نظام الإنقاذ، وتصفية المنتمين إليه في كل أجهزة الدولة ولا سيما القوات النظامية والاقتصاد والتعليم والقضاء.

غير أنَّ هذا المشهد لم يستمرّ طويلًا، حيث برزت للشريكين ملفّات عالقة يصعب التوافق فيها، ثمّ نمَت لكلّ منهما رؤى وتطلّعات يصعب تحقيقها في إطار الوثيقة الدستورية المُوقَّعة بينهما، ولا نسعى في هذا السياق إلى عَرض جميع الملفّات الشائكة بين الشريكين، ولكن قد يكون مناسبًا أن نشير إلى أكثرها بروزًا، وهي تتمثّل بما يلي:

1. الشركات المملوكة للقوات المسلّحة وقوات الأمن والشرطة (كيفية استعادتها).

30 مقابلة أجراها إسماعيل محمد علي مع صديق يوسف، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، **إندبندنت عربية**، 20 كانون الأول/ ديسمبر 2019.

31 "شاهد.. بيان رئيس المجلس العسكري الفريق عبد الفتاح البرهان"، يوتيوب، 2019/5/16، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3pVRkh1

32 عبد الحميد عوض، "السودان: تشكيل لجنة لإزالة وتفكيك نظام البشير"، **العربي الجديد**، 2019/12/10، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3MHity5

33 "بدء محاكمة الرئيس السوداني السابق عمر البشير بتهمة 'الانقلاب على الحكومة المنتخبة'"، **لوسيل**، 2020/7/21، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3t7iZh2

2. العلاقة مع الحركات المسلّحة (كيفية إدراجها في إطار الوثيقة الدستورية).
3. إدارة الاقتصاد (طبيعة الإصلاح الاقتصادي المطلوب، والعلاقة مع وصفة البنك الدولي)[34].
4. إدارة العلاقات الخارجية (كيفية التعامل مع البعثة الدولية، والتحالف الإماراتي - السعودي، والاعتراف بدولة إسرائيل).
5. إدارة النزاع الإثيوبي - المصري (أين يقف السودان في هذا الملف؟ وإلى أي مدى؟).

إنّ فتح هذه الملفّات ومحاولة الإجابة عمّا فيها من أسئلة جعلا كلّ فريق يعيد حساباته كليًّا، ويعيد النظر في تحالفاته أيضًا.

4. مرحلة الواقعية والملفّات الشائكة بين الشريكين

لم يصمُد "تجمّع المهنيّين" الذي أوكلت إليه قيادة الثورة طويلًا بعد نجاحها؛ إذ سرعان ما شهد انشقاقًا أخمد بريقه الثوري وأقعده عن الحركة. وتعود أسباب الانشقاق إلى الاتهام الذي وُجّه إلى قيادات في "التجمع" محسوبة على الحزب الشيوعيّ باختطاف التجمع نفسه، وتسخيره لمصالح حزبية ضيّقة، ولأهداف مناهضة للثورة، ولتفتيت وحدة قوى الثورة أيضًا. أمّا من "الجهة الأخرى"، فقد جاءت ردّة الفعل أشدّ قسوة؛ إذ اتّهم الحزب الشيوعي عناصر من قوى إعلان الحرية والتغيير بأنّها تعقد الاتفاقات السرية والمشبوهة داخل البلاد وخارجها، وتقود التحالف نحو الانقلاب على الثورة، والموافقة على السياسات المخالفة للمواثيق والإعلانات المتّفق عليها، وظلّت هذه العناصر رغم موقفها الشكلي في مجلس الحرية والتغيير تتآمر على توصيات اللجنة الاقتصادية للحرية والتغيير، وتقف مع سياسات الحكومة الداعمة لتحرير السلع الأساسية ورفع الدعم واعتماد توصيات صندوق النقد الدولي. ولقد أدى ذلك إلى تدهور معيشة المواطنين وارتفاع معدلات التضخم، مع استمرار البطالة وسط الشباب، وتدهور أحوال النازحين، والتحيز للرأسمالية الطفيلية ضدّ الرأسمالية الوطنية العاملة في الصناعة والزراعة والانقلاب الكامل على الثورة بوثيقة دستورية جديدة[35]. وينتهي الحزب الشيوعي، بعد هذه السلسلة الطويلة من الاتهامات، إلى القول إن لجنته المركزية قد قرّرت "انسحاب الحزب من قوى الإجماع الوطني، والانسحاب من قوى الحرية والتغيير، والعمل مع قوى الثورة والتغيير المرتبطة بقضايا الجماهير وأهداف وبرامج الثورة"، وإنّ الحزب يختار "الوقوف مع الجماهير وقضاياها بدلًا عن تضليلها وزراعة الآمال الكاذبة لخديعتها"[36].

لقد أوضح هذا التصدّع الداخلي أنّ القوة التي كانت تعتمد عليها قوى إعلان الحرية والتغيير لم تكن نابعة من توافق استراتيجي راسخ بقدر ما كانت مستمدّة من اشتراك في الرفض لنظام الإنقاذ، فلمّا سقط هذا النظام تساقطت معه قوى إعلان الحرية والتغيير؛ لتَضارب الرؤى، ولتَناقض المصالح. غير أنّ العامل الآخر الذي فاقم الخلاف قد يعود إلى التخوّف من تبعات الفترة الانتقالية وتحمّل مسؤولية الفشل المتوقّع، خاصة في المجال الاقتصادي. لقد ثبت للأحزاب اليسارية الحاكمة (والمجلس العسكري أيضًا) أنّ هناك واقعًا اقتصاديًّا متردّيًا لا يمكن تجاوزه، وأنّ تغييره يحتاج إلى إرادة سياسية قوية تستطيع أن تتّخذ القرارات الصعبة وتتحمّل المسؤولية الكاملة عن نتائجها. وكلّ هذا يعني أن المعركة الحقيقية بدأت تتحوّل من آفاق الأيديولوجيا العليا إلى المعاناة اليومية للمواطن، ومن ثنائية اليمين واليسار إلى ثلاثية الخبز والوقود والدواء. وصارت الأسئلة الجوهرية هي: من يستطيع من الوزراء الذين اختارتهم قوى إعلان الحرية والتغيير أن يتصدّى لهذه المهمّة؟ ومن يقف وراءه من الداعمين الإقليميّين والدوليّين؟ وهل سيظلّ الشارع السُّوداني يساند حكومة الحرية والتغيير، في حين أنها لا تستطيع أن تتّفق على برنامج اقتصادي، أو تجيز ميزانية عامة، أو تسدّد مديونية الدقيق؟ وبناءً على هذا، صار كلّ فريق يشكّك في الآخر، ويعيد حساباته، ويبحث عن شراكة أصلَب عودًا وأوفر عائدًا. وصار من بقي في قوى إعلان الحرية والتغيير مقتنعًا بأنّ "الشراكة" بينه وبين المجلس العسكري قد لا تستمرّ طويلًا، في حين ازداد اقتناع المجلس العسكري بأنّ قوى إعلان الحرية والتغيير فقدت زَخَمها الأول، وأنها لن تكون حاضنته السياسية المأمونة، وأنّ أمامه أحد خيارين: فإمّا أن يتمهّل ويَصبِر على مصاعب المرحلة الانتقالية إلى حين انقضاء دورته المقرّرة في الوثيقة الدستورية، مع احتمال أن يؤدّي ذلك إلى خروج خاسر من العملية السياسية (مع ما قد يترتّب عليه من ملاحقات جنائية)، وإمّا أن يقوم بقفزات استباقيّة يتجاوز بها قوى إعلان الحرية والتغيير، ويشكّل تحالفًا جديدًا تدخل فيه الحركات المسلّحة وترضى عنه القوى الإقليمية والدولية، فيكون بذلك قد ضرب العصافير كلّها بحجر واحد. وهذا هو الخيار الذي انتهى

34 يرى الحزب الشيوعي السوداني أنّ الحكومة الانتقالية قد استسلمت للرأسمالية العالمية الساعية للسيطرة على الاقتصاد السوداني، وأنها تسير في طريق التبعية للغرب وتستجيب لكلّ الشروط بدلًا من الاعتماد على الموارد الذاتية والإصلاح الداخلي. يُنظر: الحاج عبد الله (أجرى الحوار)، "مقابلة مع صديق كبلو، عضو اللجنة المركزية"، **الميدان** (3797)، 2021/5/25.

35 بهرام عبد المنعم، "الحزب الشيوعي السوداني يعلن انسحابه من الائتلاف الحاكم"، **وكالة الأناضول**، 2020/11/7، شوهد في 2022/4/20، في: https://bit.ly/3OpgAXt

36 "بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي"، **الميدان**، 2020/11/8.

إليه وجعله يسارع إلى توقيع "اتفاقية جوبا للسلام" (كما سنوضّح لاحقًا). أمّا الحزب الشيوعي - وهو أكثر هذه المجموعات تنظيمًا - فقد ثبت له أنّ الجناح العسكري الحاكم ليس حليفًا له؛ ولذلك فقد صار يجاهر بعداوته للحكومة الانتقالية، وبدأ منذ مطلع عام 2021 يطالب بإسقاطها واستبدال حكومة أخرى بها.

ثالثًا: معوّقات الانتقال نحو النظام الديمقراطي

1. معوقات مشتركة: البحث عن ديمقراطية "مضمونة العواقب"

بين يدي الحديث عن الانتقال إلى الديمقراطية يرد السؤال: أيّ ديمقراطية يراد الانتقال إليها؟ ومن يريد ذلك الانتقال؟

مع أنّ أيًّا من المجموعات المشاركة في الحكومة الانتقالية لم تتعرّض صراحة لهذه القضية على نحو فكري معمّق، حيث إنّ بعضها لا يرغب أساسًا في عملية الانتقال إلى نظام ديمقراطي (حزب البعث مثلًا)، فإنّ بعضها الآخر يُضمر معنًى مغايرًا للمعنى المتعارف عليه للديمقراطية. فالديمقراطية، في أبسط تعريفاتها، لا تعدو أن تكون "منهجًا للحُكم" يستطيع الشعب من خلاله أن يختار قيادة تُوكَل إليها أمور التشريع وإصدار القوانين الملزمة في شؤون المجتمع العامة[37]. لكنّ مثل هذا التعريف يمثّل إشكالات عديدة لشركاء الحكومة الانتقالية، ويجعل كلّ فريق منهم يتردّد في مسألة الانتقال إلى الديمقراطية. وأوّل هذه الإشكالات أنّ الانتقال إلى الديمقراطية سيعني - في أدنى مستوياته - الرجوع إلى الشعب ليختار قيادة للحكومة، ولا توجد وسيلة لذلك إلّا عن طريق الاستفتاء أو الانتخاب. لكنّ أيًّا من هاتين الوسيلتين ستقود إلى نتائج غير حميدةٍ، وقد لا تَصبّ في صالح الائتلاف العسكري - المدنيّ الحاكم؛ فالعسكريون لا يحبّذون الانتخابات لأنها تعني خروج مجموعتهم الحاكمة بصورة كاملة من العملية السياسية، مع ما يترتّب على ذلك من إرباك شديد لمجمل التعهّدات والاتفاقات التي أبرموها مع القوى الإقليمية الدّاعمة لهم، ولا سيما الإمارات والسعوديّة ومصر، فضلًا عمّا قد يترتّب على الانتخابات من أضرار مباشرة تلحق بالقيادات العسكرية؛ سواء من ناحية المساءلة القانونية، أو الضرر الاقتصادي؛ ولذلك فإنّ أجندة الجناح العسكري لا تتضمّن الرجوع إلى الانتخابات، بل تسعى من خلال طرق شتّى لإطالة الفترة الانتقالية. ولكي يتحقّق له ذلك، حاول الاستفادة من ثلاثة ملفّات أساسية آلت إليه، وصار يأمل من خلالها أن يبقى في السلطة أطول مدّة مُمكنة. يتعلّق الملف الأول بتحقيق السّلام الداخلي مع الحركات المسلّحة، ويتعلّق الثاني بتطبيع العلاقة الخارجية مع إسرائيل في تماهٍ كاملٍ مع المحور الإماراتي - السعودي. أمّا الملف الثالث فيتعلّق بترتيب العلاقة مع المنظومة العسكرية المصرية في نزاعها مع الحكومة الإثيوبية حول سُدّ النهضة. وسيؤدّي أيّ ملفٍّ من هذه الملفّات (في نظر المجموعة العسكرية) إلى تعزيز موقف الجناح العسكري في السلطة، فيكون بمنزلة حكومة أمرٍ واقع لا يمكن لأيّ طرفٍ من الأطراف الاستغناء عنها كما سيتّضح ذلك لاحقًا.

2. معوّقات من صنع الجناح العسكري

أ- العلاقة مع الحركات المسلّحة

يرى الجناح العسكري في الحكومة الانتقالية أنّ ملف السلام يمكن أن يصير "طوق النجاة" الذي يبحث عنه، إذ يستطيع من خلاله أن يدخل في مفاوضات مطوّلة مع الحركات المسلّحة، فيتمكّن في حال نجاحه من إحراز نقاط تضمن بقاءه في السلطة، كما يتمكّن في حال إخفاقه من أن يجِد مبرّرًا لتمديد الفترة الانتقالية بدعوى مواصلة السّعي نحو تحقيق السّلام. وفي هذا السياق، استطاع الجناح العسكري بالفعل أن يتفاهم، بعد وساطة من حكومة جنوب السودان، مع بعض حركات المعارضة المسلّحة، كالجبهة الثورية مثلًا، وأن يوقّع في تشرين الأول/ أكتوبر 2020 ما عرف بـ "اتفاقية جوبا للسلام"[38]، التي اتّفقت الأطراف فيها على أن تكون هناك فترة انتقالية جديدة تستمر 39 شهرًا بدايةً من تاريخ توقيع الاتفاق، وهذا يعني - ضِمن أمور كثيرة - إسقاط السَّنة الأولى من فترة الانتقال، والشروع في دورة جديدة وفقًا لشراكة جديدة تبدأ بتوقيع الاتفاقية. وسيترتّب على ذلك، بطبيعة الحال، إعادة تشكيل هياكل السلطة القائمة، ولا سيما مجلسي السيادة والوزراء، وإنشاء مجلس تشريعيّ، وهو ما يشير، صراحة، إلى عملية تحوّل من نظام "الحرية والتغيير" القائم على بنود "الوثيقة الدستورية" إلى نظام جديد للحُكم تكفّلت بنود اتفاقية السلام بوضع أركانه الأساسية. وقد لا نستطيع في هذا المقام أن ننظر في كلّ بنود الاتفاقية، ولكن يكفي أن نتوقّف عند نقطة واحدة تمثّل

37 Joseph A. Schumpeter, *Capitalism, Socialism and Democracy* (New York: Harper & Row Publisher, 1942), p. 243.

38 وقّع عن المعارضة المسلّحة الجبهة الثورية السودانية، وهي تضم أربع حركات سياسية، وخمس حركات مسلّحة هي: حركة العدل والمساواة، وتجمع قوى تحرير السودان، وجيش تحرير السودان، وجيش تحرير السودان - المجلس الانتقالي، والتحالف السوداني. وقد تخلّفت عن الاتفاق الحركة الشعبية - شمال برئاسة عبد العزيز الحلو، وحركة جيش تحرير السودان بقيادة عبد الواحد محمد نور. للاستزادة بشأن أهم بنود الاتفاقية، ينظر: صحيفة **الشرق الأوسط**، 15286، 2020/10/4.

جوهر هذه الاتّفاقية، وهي توضّح العلاقة بين اتفاقية جوبا للسلام والوثيقة الدستورية؛ إذ يُلاحَظ أنّ اتفاقية السلام لا تعتبر "الوثيقة الدستورية" مرجعية عليا، بل تجعلها تتساوى مع بنود الاتفاقية، وتؤكد أنّ التناقض، في حال التعارض بين الوثيقة الدستورية وبنود الاتفاقية، يُزال بتعديل الوثيقة الدستورية، ثم تكوّن بموجب هذه الاتفاقية (المادة 80) ما عُرف بـ "مجلس شركاء الفترة الانتقالية"، وقد تمثّلت فيه أطراف الوثيقة الدستورية ورئيس الوزراء والأطراف الموقّعة اتفاقية جوبا للسلام. وكل هذا يؤكد أنّ الجناح العسكري لا يتّجه نحو الانتقال الديمقراطيّ، بل يسعى بقوة للتحوّل من "المرحلة الثورية" وما تولّد منها من مواثيق إلى مرحلة جديدة يحتضن فيها الحركات المسلّحة، ويتقاسم معها السلطة والثروة أطول فترة زمنية ممكنة.

ب- العلاقة مع إسرائيل

مثلما هرعت قيادة الجناح العسكري إلى التفاوض مع الحركات المسلّحة، هرعت أيضًا إلى الدخول في مفاوضات سرية مع إسرائيل. ففي زيارة سرية إلى أوغندا، التقى البرهان، في شباط/ فبراير 2020، رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو، في محاولة لفرض الأمر الواقع، غير مكترث بما يجده من معاتبة أو نقد من بعض قوى إعلان الحرية والتغيير، التي كانت ترى في التطبيع خيانة للقضية الفلسطينية وخروجًا على اختصاص الحكومة الانتقالي[39].

إنّ إعادة فتح "الملف الإسرائيلي" لم تكن وليدة طبيعية للعقل العسكري في حكومة السودان الائتلافية بقدر ما كانت وليدة ضغطٍ وإلحاحٍ من دول التحالف العربي (الإمارات والسعودية). فكما ضغطت هذه الدول من قِبَلُ على البرهان وحميدتي للانخراط معها في حرب اليمن، ضغطت عليهما أيضًا لاحقًا للانخراط في "السلام الإبراهيمي" الذي يسعى لتطبيع العلاقات مع إسرائيل، والذي تتزعمه دولة الإمارات[40].

ج. العلاقة مع مصر

تكاد تجمع مختلف القوى السياسية التي تعاقبت على الحكم في مصر على أنّ السودان يقع ضمن المجال الحيوي لأمنها القومي، وأنه يمثل عمقها الاستراتيجي الجنوبي؛ ما يجعلها تحرص باستمرار على وجود علاقات قوية بينها وبين النظام الحاكم في السودان. وفي هذا الإطار، أَوْلَت حكومة الرئيس عبد الفتاح السيسي اهتمامًا كبيرًا بالعلاقة مع الحكومة الانتقالية في الخرطوم. وتأتي محاربة تنظيم الإخوان المسلمين وملاحقة أعضائه ضمن اهتماماتها بالشأن السوداني، إلّا أن الاهتمام الأكبر يتّجه نحو إقامة علاقة وثيقة مع المكوّن العسكري في الحكومة الانتقالية وإدراجه في إطار الاستراتيجية الأمنية المصرية، خصوصًا في ضوء ما تحسّ به مصر من خطر إثيوبي عليها بسبب مشروع "سدّ النهضة".

أمّا المكوّن العسكري في الحكومة الانتقالية، فهو يدرك ما لمصر من تأثير داخل التحالف الإماراتي - السعودي - الإسرائيلي، ويُدرك أنّ انخراطه في هذه المنظومة ، وأنّ ما يقدمه من خدمة لوجستية أو عسكرية، سيجعلان منه فاعلًا لا غنى عنه؛ سواء في حفظ الأمن والاستقرار في المنطقة، أو في المشاركة الفعلية في القتال؛ ولذلك توالت الزيارات بين العسكريين في الخرطوم ونُظرائهم في القاهرة، ثم تُوّجت بتوقيع اتفاقية للتعاون العسكري بينهما في 2 آذار/ مارس 2021[41]، أعقبتها مناورات مشتركة بين الجيش السوداني والمصري في أيار/ مايو 2021[42].

لقد حاولنا أن نشير إلى بعض السياسات التي اتخذها المكوّن العسكري في الحكومة الانتقالية لتطويل بقائه في السلطة ولتنويع مصادر قوّته. ويبدو جليًّا أنه قد نجح في ذلك واستطاع الانخراط

39 لمزيد من التفصيل حول العلاقة بين البرهان وإسرائيل، يُنظر: عبد الباقي الظافر، "رحلة البحث عن التطبيع مع إسرائيل.. لماذا طلب البرهان أن يخلد إلى النوم عند العودة من أبوظبي؟"، **الجزيرة نت**، 2020/9/25، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3CFeMnZ؛ وكان البرهان قد أوضح لاحقًا أنّ قرار التطبيع مع إسرائيل جاء بعد مشاورات واسعة مع القوى السياسية والمجتمعية التي لم تمانع في هذه الخطوة، وأنّ شركاء الحكم الانتقالي شركاء في إنهاء العداء مع إسرائيل. وكمثال على اعتراض حزب البعث العربي الاشتراكي المشارك في الحكومة الانتقالية، يُنظر: عبد الحميد عوض، "السودان: حزب سوداني شريك في الحكم يطالب بمحاكمة المشاركين في التطبيع"، **العربي الجديد**، 2020/10/25، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/34E9lZH؛

وتشير المصادر إلى أنّ الولايات المتحدة اشترطت، خلال زيارة وزير خارجيتها مايك بومبيو Mike Pompeo (2018-2021) إلى الخرطوم، تطبيع العلاقات بين الخرطوم وإسرائيل لشطب اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب. ينظر: "بومبيو يجري اتّصالًا مع حمدوك بشأن إزالة اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب"، **سي إن إن عربية**، 2020/10/22، شوهد في 2022/3/13، في: https://cnn.it/3i4ryCS؛

وقد زار وزير الاستخبارات الإسرائيلي، إيلي كوهين، والوفد المرافق له، الخرطوم بعد شهر من موافقة حكومة السودان على تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وذلك في 26 كانون الثاني/ يناير 2020، في إشارة إلى تاريخ فتح الخرطوم على يد أنصار المهدي عام 1885. ومن اللافت للانتباه أنّ وسائل الإعلام الرسمي في السودان لم تشر إلى تلك الزيارة. وذكر الوزير الإسرائيلي أنّ الوفد قد التقى رئيس مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان ووزير الدفاع ياسين إبراهيم، وتناول اللقاء قضايا دبلوماسية وأمنية واقتصادية. والجدير بالذكر أنّ السودان قد وقّع الوثيقة الإبراهيمية في السادس من كانون الثاني/ يناير 2021.

40 يجدر بنا في هذا المقام أن نتذكّر العامل الإقليمي في الحالة السودانية؛ إذ يلاحظ أنّ القيادات العسكرية الأساسية التي ساهمت في إسقاط حكومة البشير (بن عوف، وحميدتي، والبرهان) كان لها ارتباط مباشر بمعسكر السعودية - الإمارات - مصر، بل إن هذه القيادات كانت تشارك على نحو مباشر في الحرب السعودية - اليمنية، وذلك من خلال إرسال وحدات من الجيش السوداني أو قوات الدعم السريع إلى أرض المعارك.

41 "في خضم النزاع بين السودان وإثيوبيا وأزمة سد النهضة.. اتفاقية جديدة توطد التعاون العسكري بين الخرطوم والقاهرة"، **الجزيرة نت**، 2021/3/3، شوهد في 2022/4/20، في: https://bit.ly/3xFF60B

42 "تستمر 5 أيام.. انطلاق مناورات 'حماة النيل' العسكرية بين الجيشين السوداني والمصري"، **الجزيرة نت**، 2021/5/26، شوهد في 2022/4/20، في: https://bit.ly/3Mm7yJ9

في التحالف الإقليمي الذي تقوده الإمارات والسعودية ومصر. ويبدو من الواضح أيضًا أن قائد المكوّن العسكري، الفريق البرهان، استطاع أن يبرهن لحلفائه في الإقليم على أنّه "الرجل القويّ" الذي لا غنى لهم عنه في المحافظة على مصالحهم. وفيما يلي، سننظر في المكوّن المدني إنْ كان يسعى بدوره إلى الهدف ذاته، أو أنه جادٌّ في التحوّل إلى الديمقراطية.

> اتخذ المكون العسكري بعض السياسات في الحكومة الانتقالية لتطويل بقائه في السلطة ولتنويع مصادر قوّته. ويبدو جليًا أنه قد نجح في ذلك واستطاع الانخراط في التحالف الإقليمي الذي تقوده الإمارات والسعودية ومصر. ويبدو من الواضح أيضًا أن الفريق البرهان، استطاع أن يبرهن لحلفائه في الإقليم على أنّه "الرجل القويّ" الذي لا غنى لهم عنه في المحافظة على مصالحهم

3. معوّقات من صنع الشريك المدني

بما أن الشريك المدني في الحكومة الانتقالية يضم تنظيمات سياسية متعدّدة، ويسعى كلّ منها نحو أهداف خاصة به، فلا مجال للحكم عليه بوصفه جسمًا سياسيًّا واحدًا. لكنّ هذا لا يمنع القول إنّ هناك أسبابًا أيديولوجية وعملية تجعل هذه التنظيمات ترغب في تمديد الفترة الانتقالية وعدم الرغبة في إجراء انتخابات عامة، متّفقة في ذلك مع المكوّن العسكري في الحكومة الانتقالية. ورأس هذه الأسباب أنّ بعض هذه التنظيمات ذو توجّه أيديولوجي لا يتّسق مع الديمقراطية، فحزب البعث مثلًا يتبنى مفهومًا للديمقراطية "يختلف عن الديمقراطية المعرّفة بالألف واللام، ويستخدم للدلالة على ذلك مصطلحات معيّنة مثل الديمقراطية الشعبية، وديمقراطية المشاركة والإنجاز"[43]. أمّا الحزب الشيوعي، فهو أيضًا يتردّد في مسألة العودة إلى الديمقراطية لاعتبارات أيديولوجية، إذ يُلَاحَظ أنه ظلّ يتساءل منذ أواسط الستينيات عن جدوى الديمقراطية الليبرالية، مشيرًا إلى ضعف الأساس الاجتماعي للبرلمانية الغربية تارةً، نتيجة للوزن القويّ للقطاع التقليدي السوداني، وداعيًا إلى ديمقراطية جديدة يُقيَّد فيها نشاط الفئات المعادية للثورة الديمقراطية تارةً أخرى[44]. واتّساقًا مع هذا الموقف صار ينادي بما أسماه "ديمقراطية المجتمع"، حيث يكون للجماهير دور أصيل في وضع السياسات واتخاذ القرارات، وذلك لكي يتحقق التحوّل الديمقراطي الحقيقي.

أما السبب العملي، الذي يجعل هذه التنظيمات تتجنّب الانتخابات، فهو أن أي عملية انتخابية ستفتح نافذة تلِجُ منها القوى السياسية غير المرغوب فيها، ولا سيما حزب الأمة والحزب الاتحادي أو القوى الإسلامية التي كان يعتمد عليها النظام السابق وبعض القوى الاجتماعية التقليدية؛ إذ إن أغلب هذه الأحزاب الصغيرة التي تسيطر على المشهد السياسي في الوقت الرّاهن، خاصّة حزب البعث السوداني والحزب الوحدوي الديمقراطي الناصري والحزب الشيوعي السوداني، ستتضاءل أو تفقد وجودها كليًّا في حال قيام انتخابات حرة؛ وذلك ما جعل الإمام الصادق المهدي، رئيس حزب الأمّة، يهدّدها بـ "ورقة الانتخابات"، ويذكّرها بأن حزبه قد نال أكثرية المقاعد في كلّ الانتخابات التي قامت في السودان، وأنّه في حال حدوث أيّ "كاني ماني" (تلاعب) فإنه سيدعو إلى انتخابات مبكّرة[45]. وبناءً على هذا، صارت المجموعات السياسية الصغيرة تبحث عن "ديمقراطية مضمونة العواقب"؛ بمعنى ألّا تُجرى انتخابات إلّا حينما تضمن الفوز فيها، ولذلك فهي تعمل على تطويل الفترة الانتقالية، وتشترط ألّا تقام انتخابات إلّا بعد عمليات تصفيةٍ للنظام القديم تشمل إعادة هيكلة الأجهزة العسكرية والأمنية وتحقيق السلام.

ولكن بالنظر إلى أنّ هذه العمليات تستغرق وقتًا طويلًا، وأنّ "الوقت" هو ما تحتاج إليه هذه المجموعات لتُعزّز وجودها في السلطة والمجتمع، فإنه ليس من المستبعد أن تتوافق مع المكوّن العسكري بشأن تمديد الفترة الانتقالية إلى أطول مدّة ممكنة[46]. ومع أن الحزب الشيوعي ظلّ يدعم هذا التوجّه، ويؤيِّد عمليات "تصفية النظام السابق"، ويتردّد في مسألة العودة إلى الديمقراطية،

---

43 عبد العزيز حسين الصاوي، **دراسة نظرية وتطبيقية في تاريخ السودان الحديث: حزب البعث** (الخرطوم: دار عزة للنشر، 2016)، ص 7.

44 كمال الجزولي، **الشيوعيون السودانيون والديمقراطية** (الخرطوم: دار عزة للنشر، 2003)، ص 79-80. للاستزادة بشأن مفهوم الديمقراطية في الفكر الماركسي، يُنظر: Crawford Brough Macpherson, *The Real World of Democracy* (Oxford: Oxford University Press,1966), pp. 13-17.

45 "كاني ماني الإمام.. الصادق المهدي يطالب بإعطاء حزبه أغلبية اختيارات ولاة الولايات.. ماذا قال ولماذا يعتقد ذلك؟ الإجابة في الفيديو.. # فيديو_بوست # زول_بوست"، فيسبوك، 2020/1/13، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3J9R6KM

46 ذكر السيد مبارك الفاضل رئيس حزب الأمة، في مخاطبة عامة، أن قائدًا عسكريًّا في مجلس السيادة أبلغه عن عرضٍ تقدّمت به قوى إعلان الحرية والتغيير لتمديد الفترة الانتقالية 10 سنوات.

فإن كلّ ذلك لم يقلّل من حدّة الخلاف الذي بدأ في الاتساع بينه وبين هذه التنظيمات، ولم يمنعه من الانسحاب من تجمّع المهنيّين ومن قوى الحرية والتغيير؛ إذ جاء في تقارير اللجنة المركزية للحزب أنّه قد توصّل إلى أنّ "حكومة الفترة الانتقالية بشقّيها العسكري والمدني تنتهج طريق الهبوط الناعم، وتتبنى ذات السياسات للنظام البائد التي تخدم مصالح فئات الرأسمالية الطفيلية والارتباط بقوى إقليمية ودولية لا مصلحة لها في تقدّم الثورة، وتتآمر لإجهاضها حفاظًا على مصالحها في السودان والمنطقة عمومًا لنهب الموارد والثروات، واستخدام موقعه الجيوسياسي في التحكم على شعوب ودول المنطقة وسواحل البحر الأحمر للتحكم في الطريق التجاري والدولي، والدفع بالسودان للسير على ذات المسار السياسي الذي قاد إلى تخلف الوطن وفقر الشعب، والخضوع لإملاءات القوى الخارجية والدوران في فَلك الرأسمالية العالمية ونفوذها في خدمة مراكمة ومركزة رأس المال في بلدانها على حساب الشعب والوطن"[47].

وما كان للحزب الشيوعي أن يتّخذ مثل هذا الموقف الراديكالي لولا تخوّفه الشديد من اتفاقية جوبا للسلام التي وقّعتها الحكومة الانتقالية مع بعض الحركات المسلّحة[48]؛ وذلك لأن الحزب لا يرى فيها إلّا انتصارًا للمكوّن العسكري في الحكومة، ولأنه يرى أنّ الحركات المسلّحة التي وقّعت الاتفاقية ذات توجهات إسلامية سابقة مثل حركة العدل والمساواة. وبناءً على هذا، سارع الحزب إلى التقارب مع الحركة الشعبية شمال برئاسة عبد العزيز الحلو، وهي حركة ذات توجّه يساري يتوافق مع توجّهات الحزب الشيوعي ومواقفه، فوقّع الحزب والحركة، في أيلول/ سبتمبر 2020، اتفاقًا مناوئًا لاتفاقية جوبا أكّدا فيه التمسّك باختيار الثورة في رفض أيّ مساومة أو تسوية نادى بها مشروع الهبوط الناعم، والإصرار على ضرورة إسقاط النظام البائد، وتفكيك ركائز الرأسمالية الطفيلية وتصفية نظامها، والشروع في وضع لَبنات سودان جديد يقوم على منهج سياسي اجتماعي يحقّق ديمقراطية حقيقية، واقتناعًا باستمرار جذوة الثورة متّقدةً. وأكّدا في البيان "إنجاز التغيير الجذري وصنع سودان جديد"، وإصلاح مسار الفترة الانتقالية لتقوم على ديمقراطية لا تتجزّأ عن ديمقراطية المجتمع القائمة على النشاط الجماهيري القاعدي؛ خارج الأطر التنظيمية الرسمية، وعبر المنابر الديمقراطية والمستقلّة التي أبدعتها، وتُبدعها مستقبلًا، الجماهير لانتزاع حقوقها والمشاركة في صنع القرار ومتابعة التنفيذ[49].

وترتّب على هذه الاستراتيجية أنْ صار الحزب الشيوعي يتبنى سياسة المشاركة في الداخل والمعارضة من الخارج، حيث يدفع بعدد من المنتسبين إليه للمشاركة في إدارة الحكومة الانتقالية، في حين أنه يعمل من الخارج على إسقاطها متخلّيًا عن تجمّع المهنيّين ومنسحبًا من قوى إعلان الحرية والتغيير، حتى وصفه بعضهم بأنّه "الحاكم الخفيّ"[50]. إنّ هذه المواقف والمفاهيم ذات الطابع الأيديولوجي الراديكالي لا تختلف في شيء عن نموذج الأحزاب اللينينية التقليدية، التي تستبعد أيّ مجموعة سياسية تتبنى رؤية بديلة للمجتمع وتسعى للحصول على السلطة عن طريق الانتخابات الدورية وفقًا للطريقة الديمقراطية المعهودة، وقد يجد مثل هذا الطرح قبولًا من قواعد الحزب ومناصريه إلّا أنه طرحٌ لا يعزز التحوّل إلى الديمقراطية.

لعلّه بات من الواضح أن أيًّا من المكوّنين العسكري والمدني لا يرغب في الانتقال إلى الديمقراطية، ولا يتبقّى في هذه الحالة إلّا العوامل الخارجية، فهل ستؤدي القوى العالمية والاقتصادية دورًا مهمًّا في دفع الحكومة الانتقالية نحو التحوّل الديمقراطي كما توقّع نموذج ستيبان؟

رابعًا: القوى الخارجية والانتقال الديمقراطي

لقد أشار ستيبان، في نموذج الانتقال الذي نتحدّث عنه، إلى بعض الحالات الأوروبية التي نُقلت بنجاح إلى الديمقراطية عن طريق "الغزو العسكري الخارجي"، أي ما قام به الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية بشأن فرض النظام الديمقراطي على ألمانيا وإيطاليا، ولكنه سرعان ما أوضح أن تلك التجربة خاصة، وأنها غير قابلة للتكرار، مقدّرًا أنّ أغلب عمليات الانتقال إلى الديمقراطية كانت منذ الستينيّات من القرن الماضي، وأنها ستظل في المستقبل المنظور عملياتٍ تؤدّي فيها القوى الاجتماعية والسياسية الداخلية دورًا أساسيًّا، وأنه لن يكون للقوى العسكرية الخارجية دور في ذلك الانتقال، غير أنه يقدّر أنّ القوى العالمية والاقتصادية والتكتلات السياسية ستظل تؤدّي دورًا مهمًّا. انتهى ستيبان إلى هذه الخلاصة في عام 1986، ولكن بعد أقل من عقدين من الزمان بدأنا نشاهد محاولات فرض الديمقراطية عن طريق "الغزو العسكري الخارجي" تتكرّر في العراق عام 2003،

47 "دورة اللجنة المركزية يناير 2021م - الورقة السياسية (4/5)"، الحزب الشيوعي السوداني Sudanese Communist Party-SCP، فيسبوك، 2021/2/27، شوهد في 2022/4/20، في: https://bit.ly/37A7xCp

48 "اتفاق جوبا للسلام في السودان: تحدّياته وفرص نجاحه"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 10 كانون الأول/ ديسمبر 2020، ص 3، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3I7e8k6

49 "اتفاق سياسي بين الحزب الشيوعي والحركة الشعبية - الحلو"، **سوداني بوست**، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3t2O3hL

50 ياسر محجوب الحسين، ""الشيوعي" السوداني.. الحاكم الخفيّ المتلوّن"، **الشرق**، 2020/1/18، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3CHmu0D؛ محمد علي.

وفي أفغانستان عام 2001، وفي ليبيا عام 2011؛ ما يجعلنا نتساءل: ما الدور الذي يمكن أن تضطلع به القوى الخارجية في دعم مسار الانتقال الديمقراطي؟ هل ستعمل الإدارة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي في اتجاه الانتقال الديمقراطي في السودان؟ هذا ما نحاول التعرض إليه فيما يلي.

1. دول الاتحاد الأوروبي والانتقال إلى الديمقراطية

تبدي مجموعة دول الاتحاد الأوروبي اهتمامًا أكثر بالشأن السوداني، ولها حضور ملحوظ في ساحته السياسية من خلال بعثاتها وسفرائها، ويعود اهتمام هذه الدول بالسودان إلى أسباب جيوسياسية وأمنية، ذلك أنّ السودان له - بحسب تقديرها - تأثير مباشر في القرن الأفريقي والبحر الأحمر وأفريقيا والشرق الأوسط، وأن الأمن في جميع هذه المناطق ينعكس بشكل مباشر، وغير مباشر، على أمن دول الاتحاد الأوروبي وسلامتها، ولهذا فإن هذه الدول تدعم انتقال الشعب السوداني إلى نظام ديمقراطي يوفر السلام والاستقرار في المنطقة. مع ملاحظة أن هذه الدول في حال تعاملها مع الوضع في السودان لا تهتم إلّا بمسألتين: محاربة التطرّف والإرهاب، ووقف عمليّات النزوح والهجرة غير الشرعية إلى الدول الأوروبية. ولتحقيق ذلك، تحتاج إلى حكومات قوية تقوم بدور الحارس الحدودي، وتحافظ على الأمن والاستقرار في المنطقة. ولذلك، ليس من المستغرب أن ينصبّ اهتمام بعثة الاتحاد الأوروبي في السودان على المؤسسة العسكرية، وعلى مستوى التعليم الذي تقدّمه للطلاب ومحتواه؛ من أجل "بناء جيل جديد ومختلف من المهنيّين للسودان وللمنطقة"[51]، وهو ما يستدعي التحوّل بالمنظومة التعليمية للعسكريين حتى تضمن "مكافحة الإرهاب والاتجار بالبشر وإدارة الحدود ومكافحة التهريب وفضّ النزاعات وحفظ وبناء السلام"[52].

وكلّ هذا يعني أن دول الاتحاد الأوروبي حينما تتحدث عن مساعدة السودان في عملية "الانتقال إلى الديمقراطية" إنما تقصد، ضمن أشياء أخرى، إعادة هيكلة المؤسسة العسكرية السودانية، وتغيير محتواها التعليمي، بحيث يمكنها أن تعمل لصالح هذه الدول ولخدمة أهدافها في المنطقة. وفي هذا الإطار، فإن الهدف الاستراتيجي هو ألّا تُترك الثورةُ السودانية لتنجَح نجاحًا كاملًا فتعزّز بذلك موجة الربيع العربي، وألّا تُترَك ليصيبها فشل كامل فينزلق السودان في حروب أهلية ويصبح مصدّرًا لزعزعة الأمن في المنطقة. ولتحقيق ذلك، تبنّى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، في حزيران/ يونيو 2020، بالإجماع القرار رقم 2524 الذي تقدمت به بريطانيا وألمانيا، والذي يقضي بإنشاء بعثة للمساعدة في الفترة الانتقالية[53]. وجاء في حيثيات القرار أن البعثة تهدف إلى "المساعدة في تحوّل البلاد إلى حكم ديمقراطي"، وتعزيز حقوق الإنسان، والسلام المستدام وتنفيذ اتفاقات السلام[54]. وفي أول تقرير لفولكر بيرتس Volker Perthes، رئيس البعثة المتكاملة لدعم المرحلة الانتقالية في السودان يونيتامس UNITAMS، في مجلس الأمن، ذكر أنّ الأهداف الاستراتيجية الأربعة للبعثة هي: دعم الانتقال السياسي، ودعم عمليات السلام وتنفيذ اتفاقاته، وبناء السلام، وتعبئة الموارد الخارجية. ثم صرّح لاحقًا بأنه يتطلّع إلى العمل مع الأمم المتحدة وشركائها لدعم الانتقال السلمي إلى الديمقراطية وفقًا لقرار مجلس الأمن رقم 2524. لكن باستثناء هذه التصريحات، ليس متوقّعًا، في تقديرنا، أن يقدم الاتحاد الأوروبي على اتخاذ خطوة عملية حاسمة تسرّع الانتقال نحو الديمقراطية في السودان.

2. الولايات المتحدة والانتقال إلى الديمقراطية

من اللّافت للانتباه أنه بعد أن تحقّق لإدارة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب Donald Trump (2017-2021) ما كانت تريده من السودان (الانضمام إلى منظومة الدول العربية الموقّعة اتفاقيات السلام مع إسرائيل)، لم تعد تضغط على الحكومة الانتقالية من أجل الانتقال نحو النظام الديمقراطي. وحينما أصدر الكونغرس الأميركي "قانون الانتقال الديمقراطي في السودان والمساءلة والشفافية المالية للعام 2020"، لم يقابل من الرئيس ترامب إلّا بحقّ النّقض. ولكن نظرًا

51 تناولت الصحف زيارة رئيس بعثة الاتحاد الأوروبي روبرت فان دن دول Robert Van Den Dool وسفراء الاتحاد الأوروبي لدى السودان لأكاديمية نميري العسكرية العليا في مدينة أم درمان، حيث قال رئيس البعثة: "نحن مهتمون جدًا بفهم مستوى ومحتوى التعليم المقدّم في هذه المؤسسة الرئيسة لطلّابها، والتحوّل التعليمي الجاري ليشمل حقوق الإنسان والقانون الدولي والإنساني الذي يؤدّي إلى بناء جيل جديد ومختلف من المهنيّين للسودان وللمنطقة". وأكّد أن الاتحاد الأوروبي لم يزل داعمًا قويًّا لانتقال الشعب السوداني إلى ديمقراطية حقيقية بوصفه منارة للسلام والاستقرار في المنطقة. ينظر: "السفير روبرت فان: أمن السودان مهم جدًّا بالنسبة للاتحاد الأوربي"، **وكالة السودان للأنباء "سونا"**، 2021/3/3، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/35QVFuU

52 هذا ما ذكره اللواء الركن عز الدين عثمان طه، مدير الأكاديمية مرحّبًا بسفراء الاتحاد الأوروبي، مؤكّدًا لهم أنّ الأكاديمية بصدد تطوير "المنظومة التعليمية" في المرحلة القادمة للدارسين العسكريين والمدنيين لتضمن مكافحة الإرهاب والاتجار بالبشر وإدارة الحدود ومكافحة التهريب وفضّ النزاعات وحفظ وبناء السلام، يُنظر: المرجع نفسه.

53 الجدير بالذكر أن هذا القرار سبقه خطاب من رئيس الوزراء السوداني، عبد الله حمدوك في 27 كانون الثاني/ يناير 2020، إلى السكرتير العام للأمم المتحدة يطلب فيه أن تسعى الأمم المتحدة إلى الحصول على ولاية من مجلس الأمن لإنشاء عملية لدعم السلام بموجب الفصل السادس. يُنظر: "السودان يطلب من مجلس الأمن إنشاء بعثة خاصة لدعم السلام"، **وكالة الأناضول**، 2020/2/9، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3tWJi8V

54 الأمم المتحدة، أخبار الأمم المتحدة، "مجلس الأمن يقرر إنشاء بعثة أممية جديدة في السودان، ويمدّد مهام بعثة يوناميد حتى نهاية العام الحالي"، 2020/6/4، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3i4ujEe

إلى أن القانون قد أُجيز في المجلس بأغلبية الثلثين، فقد صار مُلزمًا للإدارة الجديدة. فهل تسعى إدارة الحزب الديمقراطي تحت قيادة الرئيس جو بايدن Joe Biden (2021) إلى أن تحرّك "قانون الانتقال الديمقراطي" فتدفع في اتجاه التطوّر الديمقراطي في السودان؟ أم أنّها ستتبنى الخط السياسي الذي تتّبعه دول التحالف الثلاثي (السعودية والإمارات ومصر) تجاه السودان، وهو خط يهدف إلى صناعة نظام سياسي على صورتها؟ لا يمكن أن تكون الإجابة قاطعة في هذا الأمر؛ لأن الأسلوب الذي اتّبع في صياغة القانون يوحي بأن المشرّع أراد أن يترك الباب مواربًا، فإذا شاءت الإدارة أن تضغط في اتجاه الانتقال الديمقراطي فإن القانون يسمح بذلك، وإذا شاءت أن تضغط في اتجاه الإصلاح الاقتصادي ومحاربة الفساد فهو يسمح بذلك أيضًا؛ ذلك أنّ القانون يدعو إلى حماية حقوق الإنسان، والمحاسبة على الانتهاكات، ومساءلة قوى الأمن والمخابرات، وبسط سلطة القانون والحكم الديمقراطي، ودعم البرامج الهادفة إلى تقدّم النمو الاقتصادي، ودعم إنتاجية القطاع الخاص، وتعزيز فرص السّلام والاستقرار على نحو طويل المدى، واستغلال الموارد الطبيعية، وانتقال الحكم انتقالًا سلسًا، وتقوية مؤسسات الدولة، والشفافية المالية ومحاصرة الفساد.

يبدو واضحًا ممّا ذكر أنّ هناك توجّهًا من المجتمع الدولي (الأوروبي - الأميركي) لدعم الانتقال إلى الديمقراطية في السودان وتأمين الدعم الاقتصادي لتلك العملية. لكن من الواضح أيضًا أنّ دعم المجتمع الدولي تقابله مطالب؛ مطلبٌ أوّل لا خلاف عليه بين شركاء الداخل والخارج، وهو يتمثّل في تفكيك المؤسسات الأمنية والعسكرية التي أقامها النظام السابق، ثم إعادة هيكلتها؛ بحيث يمكن أن تعمل لخدمة أهداف التحالف الأوروبي - الأميركي وشركائه في المنطقة، أما المطلب الثاني فله شقّان: شقّ سياسي يتعلّق بنقل السلطة من الجناح العسكري في الحكومة الانتقالية إلى الجناح المدني، وهذا ما يصعب على العسكريين وحلفائهم الإقليميّين تنفيذه، وشقّ اقتصادي يتعلّق بالخضوع لتوصيات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي (خاصة رفع الدعم الحكومي عن السّلع وتخفيض العملة المحليّة)، وهذا ما يصعب على الشّعب تحمّله، بل إنه قد يؤدّي إلى انتفاضة شعبية أخرى تطيح كلّ أملٍ في الانتقال إلى الديمقراطية؛ ما يعني في الحصيلة النهائية أن عملية الانتقال إلى الديمقراطية ستظلّ منقوصة.

خامسًا: ملاءمة نموذج ألفرد ستيبان للحالة السودانية

قد يكون من المناسب أن نعود إلى ما طرحنا من أسئلة في بداية البحث، لنرى إذا كان نموذج الانتقالويين قد أفادنا في الإجابة عنه.

إن القدرة التفسيرية للنموذج في صورته التي صاغها ستيبان تبدو واضحة وقوية في بعض الجوانب، ولكنها تتقلص في جوانب أخرى. توقّع ستيبان في نموذجه أنّ القوى الاجتماعية والسياسية في الداخل ستؤدّي دورًا أساسيًا في أغلب عمليات الانتقال إلى الديمقراطية، لا سيما حينما يقع تغيير في داخل النظام السلطوي، وهذا ما يتطابق إلى حدّ بعيد مع الحالة السودانية، فالتغيير جاء أولًا بفعل مجموعة في قمة المؤسسة العسكرية والأمنية داخل النظام، وجاء ثانيًا متجاوبًا مع ضغوط شعبية تنسّقها جبهة سياسية عريضة[55]؛ إذ لا سبيل إلى إنكار أن "اللجنة الأمنية"، التي تحوّلت إلى المجلس العسكري وصارت شريكًا في الحكومة الانتقالية، قد جاءت من داخل النظام. فالفريق عبد الرحمن البرهان كان هو المفتّش العام للقوات المسلّحة، والفريق عوض بن عوف كان نائبًا أوّل لرئيس الجمهورية ووزيرًا للدفاع، والفريق محمد حمدان دقلو كان قائدًا لقوات الدعم السريع التي كانت بمنزلة القوة الخاصة للنظام، أمّا الفريق صلاح قوش، الذي يعتبر المخطِّط والمنفِّذ للعملية الانقلابية ضد حكومة الإنقاذ، فقد كان واحدًا من ركائز الأجهزة الأمنية في نظام البشير على امتداد سنوات طويلة[56]. وتوقّع ستيبان في نموذجه أنّ العناصر القيادية العليا في داخل النظام لن تبادر إلى التغيير إلّا حينما تشتدّ القوى المعارضة في مطالبها، وحينما يراود هذه العناصر القيادية العليا أملٌ في أن تظل فاعلة في الحياة السياسية المقبلة. وهذا أيضًا يتوافق مع الحالة السودانية؛ فلولا أنّ العناصر الفاعلة في القيادة العسكرية والأمنية قد أحست بقوة المعارضة الشعبية، ولولا أنّ بعض هذه العناصر، ولا سيما الفريق البرهان والفريق حميدتي، كانت تطمع في تأمين سلامتها الشخصية وتأمين مصالح حلفائها الإقليميين، لما أقدمت على الانخراط في المسار الثوري الجديد. ثمّ إنّ نموذج ستيبان قد أبان أنّ نجاح القوى المعارضة في تكوين تحالف واسع لا يضمن استمرار ذلك التحالف؛ إذ سرعان ما تنحلّ التحالفات وتفقد القدرة على العمل المشترك، ما لم تتوافر لها قيادات ذات قدرات تنظيمية ومرونة أيديولوجية تؤهّلها لإجراء المساومات الكبرى اللازمة. وقد تطابقت هذه الرؤية تمامًا مع الحالة السودانية؛ إذ رأينا كيف أنّ تجمّع المهنيّين قد تهاوى، وأنّ تحالف إعلان قوى الحرية والتغيير قد ظل يعاني الانقسامات والتشظي، ثمّ رأينا أنه لم تكن لقادة هذه الأحزاب

---

55 إنّ الحديث عن دور المجموعة الأمنية والعسكرية في التغيير لا يقلل من دور الحراك الجماهيري الضخم الذي شاركت فيه قطاعات اجتماعية وكيانات سياسية تشمل الشباب والمهنيين والأحزاب السياسية. للاستزادة بشأن هذا الحراك الشعبي، يُنظر: "ثورة ديسمبر: السياقات والفاعلون"، ص 1-4.

56 الجدير بالذكر أنه أُقيل عام 2009 من الجهاز، على نحو مفاجئ، وعُيّن مستشارًا للشؤون الأمنية. ثمّ إنه أُقيل مرة أخرى عام 2011، واعتُقل عام 2012 بتهمة المشاركة في محاولة انقلابية. وقد أُفرج عنه بعفو رئاسي عام 2013 (بعد قضاء سبعة أشهر في السجن)، ثمّ أُعيد، على نحو مفاجئ، إلى الجهاز في 11 شباط/ فبراير 2018).

والمجموعات قدرات تنظيمية، أو مرونة أيديولوجية، تؤهلهم لإجراء المساومات التي لا تتحقق التحالفات الكبرى من دونها.

غير أن الحالة السودانية تخالف النموذج من حيث إنها شهدت تقاربًا بين القوى الساعية لإسقاط النظام، ولكن من دون أن يتبلور ذلك التقارب إلى انتقال منظور إلى الديمقراطية، سواء كان ذلك من جهة القوى الاجتماعية والسياسية، كما توقّع نموذج ستيبان، أو من جهة المجموعة الأمنية-العسكرية التي خرجت على النظام.

أما التنافر الأشد وضوحًا بين الحالة السودانية والنموذج فيتجلّى في جانبين. فالأول مفاده أنّ القوى السياسية المعارضة لم تدخل في مساومة مع المكوّن السياسي المدني في الهرم القيادي الذي تغلب عليه العناصر الإسلامية، بل دخلت في مساومة مع المكوّن الأمني - العسكري، وهو مكوّن لا تدعمه مؤسسة سياسية فاعلة وليست له جذور اجتماعية راسخة؛ ما يشير إلى أن هذه ليست من أنماط التحالفات السياسية الكبرى التي قد ينتظر منها أن تنجز عملية التحوّل الديمقراطي. أمّا الثاني، فهو متعلق بجوانب التنافر؛ فالثورة السودانية، وإن وجدت تأييدًا من القيادات العسكرية والأمنية العليا في داخل النظام، كحالة إسبانيا مثلًا، فإنّ موقف تلك القيادات لم يكن صادرًا عن "إرادة إصلاحية" مستقلّة على غرار التجربة الإسبانية في مرحلة ما بعد فرانكو 1975؛ فبعد موته، انتقلت إدارة الدولة إلى خلفه خوان كارلوس في تشرين الثاني/ نوفمبر 1975، فأصبح ملكًا يتمتّع بكامل الصلاحيات الدستورية والإمكانات المادية، وقد اختار بنفسه أن يقود التحوّل الديمقراطي وصار بذلك بمنزلة الآلة المحرّكة للتغيير. ثم اختار غونزاليز أحد رجال الحرس القديم، ليكون رئيسًا للوزراء، وقد استطاع غونزاليز، معتمدًا على خبراته السياسية، أن يجد الطريق سالكًا إلى المؤسسة البيروقراطية في الدولة، في حين كان كارلوس في الجهة الأخرى يتمتّع بثقة المؤسسة العسكرية والأمنية، فاستطاع الاثنان أن يقودا عملية التحوّل إلى الديمقراطية بقدر كبير من المهارة والسلاسة. وقد صارت تلك واحدة من حالات قليلة يقع فيها الانتقال من نظام سلطوي قابض إلى نظام ديمقراطي (تعدّدي - برلماني) عن طريق "الإصلاح من أعلى الهرم"، من دون حرب أهلية، أو ثورة شعبية، أو تدخّل عسكري خارجي[57]. أما في الحالة السودانية، فلا توجد مقارنة من هذا الوجه، إذ إنّ الرئيس البشير لم يُغادر السلطة بسبب الموت الطبيعي كما حدث لفرانكو، والفريق البرهان لم يصعد إلى السلطة بوصفه وريثًا شرعيًّا للنظام السابق وفقًا للدستور كحال ملك إسبانيا خوان كارلوس Juan Carlos (1975-2014)، بل آلت إليه السلطة بموجب "خطّة" وضعها فاعلون إقليميون (المحور الإماراتي - السعودي - المصري)، وهو محور مناهض للديمقراطية ويعمل جاهدًا على عرقلة أي تحوّل نحوها في الدول العربية[58]، ثمّ آلت إليه (ظاهريًّا) بموجب وثيقة دستورية جديدة توصّل إليها مع القوى السياسية المعارضة. أمّا رئيس الوزراء عبد الله حمدوك، فلم يأتِ من داخل النظام السابق، بل جيء به من الخارج، ولم تكن له قدرة، أو خبرة، في تحريك مؤسسات الدولة، أو التواصل مع القوى السياسية والمجتمعية كما كان يفعل سواريز غونزاليز في إسبانيا.

وهكذا، فإن الحالة السودانية تكشف لنا عن وجه من القصور في نموذج ستيبان، وهو أنه لا يلقي بالًا إلى كل ما صدر عن "نظريات التبعية"، ثمّ إنه لا يضع اعتبارًا كبيرًا لما يمكن أن يكون من تأثير للقوى الخارجية (على نحو مباشر، أو غير مباشر) في أيّ عملية من العمليّتين: عملية إسقاط النظام، وعملية الانتقال إلى الديمقراطية. لقد أشار عزمي بشارة إلى هذا القصور حيث قام بتتبّع الدور الذي تؤدّيه العوامل الخارجية في عملية الانتقال إلى الديمقراطية (على المستوى العالمي)، مبيّنًا عجز نموذج الانتقالويين في عدد من الحالات بما فيها الحالة العربية، ومؤكّدًا أنّ البيئة الإقليمية هي أحد العناصر التي تعقّد الانتقال إلى الديمقراطية في العالم العربيّ[59]. إنّ ما رآه بشارة وعرضه من حالات عالمية أدّى فيها العامل الخارجي دورًا حاسمًا في تسريع الانتقال إلى الديمقراطية أو تعويقه قد رأينا مثلها تمامًا في دراسة الحالة السودانية، إذ إنّ العامل الخارجي (الإقليمي) قد أدّى دورًا حاسمًا في إسقاط النظام، وظلّ يضطلع بدور حاسم أيضًا في تعويق المسار الديمقراطي، بل يمكن القول

> **الحالة السودانية تكشف لنا عن وجه من القصور في نموذج ستيبان، وهو أنه لا يلقي بالًا إلى كل ما صدر عن "نظريات التبعية"، ثمّ إنه لا يضع اعتبارًا كبيرًا لما يمكن أن يكون من تأثير للقوى الخارجية (على نحو مباشر، أو غير مباشر) في أيّ عملية من العمليّتين: عملية إسقاط النظام، وعملية الانتقال إلى الديمقراطية**

57 Eric Solste & Sandra W. Meditz (eds.), *Spain: A Country Study* Washington: GPO for the Library of Congress, (1988).

58 عزمي بشارة، "ملاحظات عن العامل الخارجي في الانتقال الديمقراطي"، **سياسات عربية**، العدد 38 (أيار/ مايو 2019)، ص 7-24.

59 المرجع نفسه.

إنّ العامل الإقليمي لم يعد (في حالة السودان) عاملًا خارجيًّا بقدر ما صار واحدًا من أهم الفاعلين السياسيّين في الداخل.

ويلزم، في هذا السياق، أن نتساءل أخيرًا بشأن نموذج ستيبان: إذا افترضنا أنّ الحكومة الانتقالية لا ترغب في الانتقال إلى الديمقراطية، أو لا تقدر عليه، فهل ستتحوّل إلى نظام سلطوي جديد؟ أم أنّها ستنهار وتفتح الباب للفوضى والحرب الأهلية؟ إنّ النموذج في صورته الأولى عام 1986 لا يقدّم إجابة مرضية؛ ما جعل ستيبان ينشر في عام 2013، أي بعد أكثر من خمس وعشرين سنة من مبحثه الأوّل، دراسة بعنوان "نظرية الدمقرطة والربيع العربي"، وقد تساءل فيها عمّا يجب تعديله من مفاهيم، وعمّا يجب استحداثه من مرئيات جديدة يحتاج إليها الباحثون لاستيعاب ما وقع إبان ثورات الربيع العربي وبعدها، وقد كان من اللّافت للانتباه في دراسته التعديل الكبير (أو التراجع) الذي أجراه في نموذج الانتقال، إذ صار إلى القول إنّ عملية "الانتقال" قد لا تكون من نظام سلطوي إلى نظام ديمقراطي (كما تصوّر سابقًا)، بل إنها يمكن أن تكون من نظام سلطوي إلى نظام "هجين" يمزج بين عناصر سلطوية وأخرى ديمقراطية Authoritarian-democratic Hybrid[60]، موضّحًا أنه في مثل هذا النظام يعتقد الفاعلون الأساسيون أنهم سيفقدون المشروعية والتأييد الشعبي ما لم يحتضنوا بعضًا من سمات الديمقراطية (كإجراء الانتخابات)؛ ولكنهم يعتقدون في الوقت ذاته أنّ عليهم الاحتفاظ بقدر من السلطة يسمح لهم بالتحكّم في القطاعات الرئيسة للنظام الجديد؛ بحيث يكون في إمكانهم تحقيق أهدافهم، ولكن مع الاحتفاظ بالتأييد الشعبي[61].

خاتمة

لا شكّ في أن هذا الموقف الجديد الذي طوّره ستيبان سيكون مخيّبًا لآمال دعاة الانتقال إلى الديمقراطية، ولكنه سيجد ترحيبًا من النظم السلطوية في الإقليم العربي، ثمّ إنه سيصادف هوى في نفوس كثير من صنّاع القرار الأوروبي - الأميركي، خصوصًا أولئك الذين يحسّون بحرج أخلاقي ومعارضة شعبية في مجتمعاتهم وهم يدعمون نُظمًا سلطوية تنتهك حقوق الإنسان، ولكنهم يقدّرون من ناحية أخرى أن سقوط تلك النُّظم يهدد مصالحهم في المنطقة. ولذلك، فليس من المستبعد أن يكون الهدف المتّفق عليه بين تلك القوى الدولية وشركائها السلطويين في الإقليم هو انتقال السودان إلى النظام "الهجين"؛ بحيث تبقى عناصر النظام السلطوي القديم مُمسكة بمفاصل السلطة، مع المحافظة على الحد الأدنى من الديمقراطية.

وفي هذا الإطار، يمكن القول إنّ التحالف العسكري - المدني الحاكم سيجد دعمًا من الولايات المتحدة ومن دول الاتحاد الأوروبي (ومن حلفائهم الإقليميين) يمكّنه من تفكيك مؤسسات النظام السابق، واستيعاب عددٍ من الحركات المسلّحة في العملية السياسية، وتعزيز العلاقة مع الدول الإقليمية الثلاث (الإمارات والسعودية ومصر) والانخراط المتدرّج في المنظومة الدولية (الأمنية والاقتصادية)، والتحوّل تدريجيًّا إلى نظام "هجين". أما من ناحية (الداخل) السوداني فستواجه الحكومة الانتقالية تحدّيات صعبة قد لا تؤدّي إلى انهيار الوضع الانتقالي فحسب، بل إنها يمكن أن تؤدّي إلى انهيار الدولة السودانية ذاتها، ويأتي على رأس هذه التحدّيات الوضع العسكري الشاذّ؛ إذ إنّ هناك أربعة جيوش فاعلة على الأرض، فضلًا عن الجيوش التي ما زالت خاضعة لقيادة الحركات المسلّحة، مع ملاحظة أن جزءًا من القوات العسكرية والأمنية والشرطية ما زال يدين بالولاء لحزب المؤتمر الوطني[62]. وفي هذه الحالة، ليس من المؤكّد القول ما إذا كان الشق العسكري في الحكومة الانتقالية قادرًا على التحكّم في هذا الواقع العسكري المعقّد وإعادة هيكلته (وفقًا لما يطلب الحلفاء) أم أنه سيُطاح كما أُطيح نظام الرئيس البشير. أمّا التحدّيات الأخرى فتتعلّق بالشريك المدني في الحكومة الانتقالية، وتتبدّى أولًا في تصدّع التحالف السياسي وعجز المجموعات المكوّنة له عن التوافق في صيغة مقبولة للعمل السياسي المشترك، وتتبدّى ثانيًا في العجز عن بناء مؤسسات جديدة للدولة تستطيع أن تؤطّر من خلالها الزخم الثوري وتحوّله إلى واقع، ثمّ إنها تتبدّى ثالثًا في العجز عن معالجة الأزمة الاقتصادية المتفاقمة.

وللخروج من هذا المأزق ستجد الحكومة الانتقالية نفسها تسير في خطّين متوازيين: خطّ الانخراط الكامل في منظومة القوى الإقليمية، وهو الخطّ الذي ستسلكه المجموعة العسكرية ومن ينحاز إليها من المجموعات المدنية؛ وخطّ يسير في اتجاه استعادة الثورة الشعبية بتعبئة الطبقات الفقيرة التي تتأهب في كلّ حين للخروج إلى الميادين والتظاهر، وهو خطّ ستسلكه بعض الأحزاب اليسارية (على رأسها الحزب الشيوعي) وكثير من المجموعات الشبابية التي ناصرت الثورة في بداياتها. ولعل هذه الخيارات الصعبة هي ما جعل رئيس الوزراء يبدو أكثر تشاؤمًا وهو يخاطب الشعب السوداني، قائلًا: "إن بلادنا تواجه ظروفًا قاسيةً تهدِّد تماسكها ووحدتها، وينتشر فيها خطاب الكراهية وروح التفرقة القبلية، وهذه التشظيات يمكن أن تقودنا

60 Alfred Stepan & Juan J. Linz, "Democratization Theory and the 'Arab Spring'," *Journal of Democracy*, vol. 24, no. 2 (April 2013), p. 20.

61 Ibid.

62 "ثورة ديسمبر: السياقات والفاعلون".

إلى حالة من الفوضى وسيطرة العصابات والمجموعات الإجرامية، كما تساعد على تفشّي النزاعات بين المجموعات السكّانية كافة، ما قد يؤدّي إلى حرب أهلية تقضي على الأخضر واليابس، وهذا الخطر لن يهدّد بلادنا فحسب، بل سيجرُّ كلّ الإقليم إلى حالةٍ من عدم الاستقرار، فأي تهديد للاستقرار في بلد مثل السودان، سيمثل حالة نوعية فريدة لم يسبق لها مثيل على مستوى العالم"[63]. ويبدو أنّ إشارة رئيس الوزراء إلى "الحرب الأهلية" التي تقضي على الأخضر واليابس لم تكن مجرّد تشخيص للوضع المحلّي بقدر ما كانت رسالة عاجلة إلى المجتمع الدولي (الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة) لمطالبته بالتدخل قبل فوات الأوان، وذلك على منوال رسالته السابقة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة التي تدعوه إلى التدخل لحماية الفترة الانتقالية.

على أنه إذا كان هناك درسٌ يمكن أن يستفاد من نماذج الانتقال الناجح (كالنموذج الإسباني مثلًا)، فهو - كما يقول أحد الباحثين[64] - أنّ المسار الديمقراطي لن يبدأ إلّا باختيار من قبل فاعلين سياسيّين حقيقيّين يتحرّكون في مساحات كافية تسمح لهم باتخاذ القرارات، قيادات سياسية ذات مشروعية وفاعلية، تدعمها مؤسسات سياسية ذات قدرة تنظيمية عالية، وذات جذور في المجتمع. وحينما نتأمل هذه العناصر، سنجد أنّ أغلبها مفقود في الحالة السودانية الراهنة؛ فالفاعلون السياسيون (بشقّيهم المدني والعسكري) لا يتحرّكون في مساحات تسمح لهم باتخاذ القرارات الكبيرة، وليس لكثير منهم مشروعية شعبية أو فاعلية تنفيذية، ولا تدعمهم مؤسسات سياسية ذات قدرة تنظيمية عالية، وليس لأكثرهم جذور في المجتمع. وقد أكّد ستيبان نفسه أن التحوّل إلى الديمقراطية لا يتوقّف على وجود المؤسسات، بقدر ما يحتاج إلى نوع من القادة الذين يلتزمون بالقيم ويمتازون بالمهارة السياسية.

63 "# السودان # سونا/ خطاب دولة رئيس مجلس الوزراء د. عبد الله حمدوك للأمة السودانية"، يوتيوب، 2021/6/15، شوهد في 2022/3/13، في: https://bit.ly/3tS2IvB

64 Omar G. Encarnacion, "Spain After Franco: Lessons in Democratization," *World Policy Journal*, vol. 18, no. 4 (Winter 2001/2002), p. 43.

المراجع References

العربية

"اتفاق جوبا للسلام في السودان: تحدّياته وفرص نجاحه". **تقدير موقف**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/12/10. في: https://bit.ly/3I7e8k6

"'ثورة ديسمبر': السياقات والفاعلون وتحدّيات الانتقال الديمقراطي في السودان". **تقارير**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/6/2، في: https://bit.ly/35TXtn1

بشارة، عزمي. "ملاحظات عن العامل الخارجي في الانتقال الديمقراطي". **سياسات عربية**. العدد 38 (أيار/ مايو 2019).

الجزولي، كمال. **الشيوعيون السودانيون والديمقراطية**. الخرطوم: دار عزة للنشر، 2003.

الصاوي، عبد العزيز حسين. **دراسة نظرية وتطبيقية في تاريخ السودان الحديث: حزب البعث**. الخرطوم: دار عزة للنشر، 2016.

"الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية بجمهورية السودان". وحدة حساسية النزاعات. 2021/2/19. في: https://bit.ly/35NCBOr

الأجنبية

Encarnacion, Omar G. "Spain after Franco: Lessons in Democratization." *World Policy Journal*. vol. 18, no. 4 (Winter 2001/2002).

Gallopin, Jean-Baptiste. "The Great Game of the UAE and Saudi Arabia in Sudan." *Middle East Political Science*. at: https://bit.ly/3tSBYLl

Huntington, Samuel Phillips. *The Third Wave: Democratization in the Late Twenties Twentieth Century*. Norman: University of Oklahoma Press, 1991.

J. Wiarda, Howard. "Southern Europe, Eastern Europe, and Comparative Politics: Transitology and the Need for New Theory." *World Affairs*. vol. 164, no. 4 (Spring 2002).

Macpherson, Crawford Brough. *The Real World of Democracy*. Oxford: Oxford University Press, 1966.

O'Donnell, Guillermo, Philippe C. Schmitter & Laurence Whitehead (eds.). *Transitions from Authoritarian Rule: Comparative Perspectives.* USA: Woodrow Wilson International Center for Scholars, 1986.

Schumpeter, Joseph A. *Capitalism, Socialism and Democracy*. New York: Harper & Row Publisher, 1942.

Solsten, Eric& Sandra W. Meditz (eds.). "Spain: A Country Study, Washington." *GPO for the Library of Congress*, 1988.

Stepan, Alfred & Juan J. Linz. "Democratization Theory and the 'Arab Spring'." *Journal of Democracy*. vol. 24, no. 2 (April 2013).

Tubiana, Jérôme. "The Man Who Terrorized Darfur Is Leading Sudan's Supposed Transition." *Foreign Policy* (May 2019). at: https://bit.ly/3KEbofB

Zielinski, Jakub. "Transitions from Authoritarian Rule and the Problem of Violence." *The Journal of Conflict Resolution*. vol. 43, no. 2 (April 1999).

التسلم Received	التعديل Revised	القبول Accepted	المعرف الرقمي DOI
30/4/2021	1/12/2021	20/12/2021	https://doi.org/10.31430//YALT3614

أحمد مأمون | Ahmed Mamoun*

صراع الأجنحة السياسية داخل المؤسسة العسكرية السورية 1954–1958: الانقلابات والتعددية السياسية

The Conflict between Political Streams in the Syrian Military Establishment 1954-1958: Coups and Political Pluralism

تنقد الدراسة الإطار العام الذي حكم التيار الأوسع من الباحثين في العلاقات المدنية - العسكرية في منهجية تفكيرهم في المؤسسة العسكرية منذ نشأة الحقل، وتقدم الفجوات النظرية والتطبيقية في تلك الأدبيات، خاصة عند باحثي "آليات الوقاية من الانقلاب"، مبيّنة ضعف القدرات التفسيرية للحقل في استقراء وتحليل الحقبة التاريخية التي يسعى البحث للكشف عن التباساتها النظرية والتاريخية، وهي مرحلة التعددية السياسية في سورية في المدة 1954–1958، التي نظر إليها الباحثون باعتبارها مرحلة ديمقراطية، وتتساءل الدراسة عن الأسباب التي دفعت الجيش إلى ترك سدّة الحكم والسماح للقوى المدنية بممارسة العمل السياسي في حينه، على الرغم من توسط هذه المرحلة بين مراحل انقلابية. وتقوم على فرضية أساسية هي أن الجيش مؤسسة عسكرية تمثل أجنحة وقطاعات ووحدات وألوية وعلاقات قوة، قبل أن تكون تعبيرًا عن أي شرائح اجتماعية أخرى، وهو على عكس ما ذهبت إليه الأدبيات في بحث خلفيات الضباط السوسيولوجية.

كلمات مفتاحية: سورية، الانقلابات العسكرية، آلية الوقاية من الانقلاب، الديمقراطية.

The study criticizes the general framework that has governed the broader current of the researchers in civil-military relations, their method of thinking about the military institution since the inception of the field, the paper presents the theoretical and practical gaps in that literature, in particular the researchers of "Coup-Proofing". The study shows the weakness of the explanatory capabilities of the field in extrapolating and analyzing the historical era that the research seeks to reveal its theoretical and historical ambiguities, which is the phase of political pluralism in Syria between 1954-1958, which the researchers viewed as a democratic phase. The paper examines why did the army step down from the presidency and allowed civil forces to engage in political action at the time, in spite of that phase is in the midst of two series of coups. The paper is based on a basic premise that the army as a military institution do represent wings, sectors, units, brigades, and power relations, before it is an expression of any other social segments, which is in contrast to what the literature says in examining the sociological backgrounds of the officers.



Keywords: Syria, Military Coups, Coup-Proofing, Democracy.

* باحث في العلوم السياسية والإدارة العامة، جامعة نيشان تاشي، اسطنبول، تركيا.
Political Science and Public Administration Researcher, Nişantaşı University, Istanbul, Turkey.
Email: aamer3860@gmail.com

"لا يسع المَنظّرين إلّا أن يحافظوا على المفاهيم، وأن يسمّوا الأشياء بمسمياتها"[1].

مقدمة: كيف نظر الباحثون إلى سورية في منتصف الخمسينيات؟[2]

في سورية، تثير المدة 1954-1958 التي شهدت عودةً إلى الحياة السياسية التعددية والبرلمانية، أو الديمقراطية كما يصفها البعض، الكثير من الأسئلة، إذا ما أخضعناها للبحث بأدوات حقل دراسات الانتقال الديمقراطي والعلاقات المدنية - العسكرية. ففي هذه الأعوام لم يتصدر الجيش السوري سدّة الحكم كما كانت الحال في المدة 1949-1954؛ إذ شهدت هذه الأعوام خمسة انقلابات ناجحة، ومحاولة انقلابية فاشلة، وبعد عام 1958 وقعت تسع محاولات انقلابية ناجحة/ فاشلة، ما يعني أن الانقلابات أصبحت هي القاعدة في الحياة السياسية السورية وما سواها هو الاستثناء، وهذا الاستثناء تمثله المدة 1954-1958 التي تحاول هذه الدراسة البحث عن أسبابه.

سال حبر كثير حول صراعات الكتل السياسية داخل الجيش السوري، لكن السؤال عن تأثيرها في الحياة السياسية لتلك الحقبة التي انحسرت فيها الانقلابات لم يُطرح بعد، فهل من علاقة بين عودة الحياة السياسية وصراعات الأجنحة العسكرية؟ مع الإشارة إلى أن وصف الجيش بأنه في حالة صراع، يعني بالتعريف وجود ميزان قوى متأرجح بين الأجنحة العسكرية عسكريًا وسياسيًا. وبناء عليه، هل كان تراجع ظاهرة الانقلابات وعودة الحياة السياسية في سورية في المدة 1954-1958 نتيجة وصول ميزان القوى إلى حالة التوازن بين هذه الأجنحة المتصارعة في القوات المسلحة؟ تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذا السؤال من خلال الكشف عن طبيعة هذه الصراعات الداخلية في الجيش، وبحث الأشكال التي اتّخذها هذا الصراع؟ وكيف وصل إلى مرحلة التنافر الداخلي في الثكنات ابتداءً؟ وما طبيعة علاقته بالنظام السياسي والتيارات الأيديولوجية والصراعات الدولية؟

لم يكن البحث عن أسباب انحسار الانقلابات في سورية مثار تساؤل لدى الباحثين، إلّا أنهم في سياق عرض المرحلة التاريخية، فسّروا اقتصار الحكم على المدنيين بعزوف الجيش عن ممارسة السياسة[3]؛ إذ انكفأ إلى ثكنته تاركًا الحكم للمدنيين، مع إشارة بعض الأدبيات إلى كثرة تدخلات الجيش في الحياة السياسية وصراع تكتلاته الداخلية[4]. في المقابل، ثمّة أدبيات تناولت المرحلة باقتضاب شديد ومخلّ، مفرغةً مساحات مطوّلة لبحث طبيعة الصراعات في الحياة الحزبية تحت قبة البرلمان وخارجه، والحريات المدنية والتجاذبات الإقليمية والدولية التي وقعت فيها سورية خلال الخمسينيات[5]. وقد أحاطت بهذه الحقبة توصيفات رومانسية - بأثر رجعي لما عاشته سورية من مأساة حقيقية مع الأسد الأب (1970-2000) والابن (2000-) - فوُصِفَت بالتجربة الديمقراطية، على عِلّاتها، من دون مساءلة لهذا المفهوم، وعليه تسائل الدراسة هذه المدة أيضًا: أهي حالة تعددية سياسية[6] وحريات مدنية؟ أم ديمقراطية تشوبها عيوب من تدخلات العسكر وغيرها؟ تفترض الدراسة استحالة وصف نظام سياسي ما على أنه ديمقراطي في حال اجتمع الجيش والسياسة، وتتبنى مفهوم النظام الديمقراطي وعلاقته بالجيش الذي وصفه روبرت دال بسيطرة المدنيين عبر الانتخابات على الحكومة ومؤسسات الدولة وفقًا للدستور، وتكون القوات المسلحة تابعة بالكامل طواعيةً للسلطات المدنية المنتخبة[7].

يحيل مفهوم الانقلاب coup، إلى التغيير المفاجئ لنظام الحكم بالقوة من جماعة، في حالتنا جماعة عسكرية، من داخل الإطار الدستوري[8]. بينما يعني توازن القوى العسكرية في الجيش، وهو المفهوم المركزي في

1 كارل شميت، **نظرية البارتيزان: استطراد حول مفهوم السياسي**، نقلته إلى العربية هبة شريف (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2020)، ص 143.

2 أتوجّه بجزيل الشكر إلى السادة المحكمين الذين جَهلتُ هوياتهم، وتركت تعقيباتهم على النص كبير الأثر، وإلى الأساتذة الأكاديميين خليل العناني وعبد الرحمن الحاج ومأمون أبو عامر، والزملاء الباحثين أسامة غاوجي ومحمد سعيد ومجد أبو عامر وعبيدة عامر وأحمد أبا زيد، على قراءة مسوَّدة البحث وعلى ملاحظاتهم النقدية المهمة.

3 أي "ممارسة الحكم والاستيلاء عليه، أو المشاركة فيه، أو اتخاذ القرار بشأنه". عزمي بشارة، **الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية ونماذج عربية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 29.

4 من ضمن الأعمال المرجعية: جوردن هـ. توري، **السياسة السورية والعسكريون: 1945-1958**، ترجمة محمود فلاحة، ط 2 (دمشق: دار الجماهير، 1969)؛ باتريك سيل، **الصراع على سورية: دراسة في السياسة العربية بعد الحرب** (1945-1958)، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1986).

5 ينظر على سبيل المثال لا الحصر: غسان محمد رشاد حداد، **من تاريخ سورية المعاصر: 1946-1966** (عمّان: مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، 2001)، ص 87-128؛ كمال ديب، **تاريخ سورية المعاصر: من الانتداب إلى صيف 2011**، ط 2 (بيروت: دار النهار، 2012)، ص 148-170؛ نشوان الأتاسي، **تطور المجتمع السوري: 1831-2011** (بيروت: أطلس للنشر والترجمة، 2015)، ص 216-218؛ كريم الأتاسي، **سوريا قوة الفكرة: المشروع الوطني والهندسات الدستورية للأنظمة السياسية**، ترجمة معين روميّة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022)، ص 17، 29، 217-224.

6 تعتمد الدراسة مفهوم التعددية من مقاربة النظرية الوصفية؛ أي التعددية التي تقاد فيها السياسة بالمنافسة على السلطة، والنفوذ بين الجماعات السياسية والتيارات الأيديولوجية المنتشرة. ينظر: كريغ كالهون (محرر)، **معجم العلوم الاجتماعية**، ترجمة معين رومية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 219.

7 Robert A. Dahl, *Democracy and its Critics* (New Haven: Yale University Press, 1989), p. 21.

8 خلدون النقيب، **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر**، ط 3 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 108؛ عزمي بشارة، **في الثورة والقابلية للثورة**، ط 3 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 34.

الدراسة، قدرة الضباط من التيار السياسي "أ" على منع محاولة ضباط من التيار السياسي "ب" الانقلابية؛ لفرض رؤيتهم السياسية، أو التدخل لمنع تحولات سياسية تتعارض معها، وقدرة ضباط "ب" على منع ضباط "أ" من القيام بالأمر نفسه، وهو ما نسمّيه حالة التوازن بين أجنحة الجيش العسكرية المسيّسة، التي لا يشترط أن تكون ثنائية بالضرورة. وهو مفهوم يقوم في الأساس على فرضية يسوغها البحث، أن الجيش السوري منذ انقلابه الأول لا يصحّ اعتباره كتلة واحدة متجانسة عسكريًا، بل هو مجموعات متمايزة في المصالح والطموحات والتوجهات السياسية، وهذه المجموعات عابرة قطاعاته ووحداته العسكرية.

> **يحيل مفهوم الانقلاب، إلى التغيير المفاجئ لنظام الحكم بالقوة من جماعة، في حالتنا جماعة عسكرية، من داخل الإطار الدستوري. بينما يعني توازن القوى العسكرية في الجيش، وهو المفهوم المركزي في الدراسة، قدرة الضباط من التيار السياسي "أ" على منع محاولة ضباط من التيار السياسي "ب" الانقلابية**

تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات واختبار الفرضيات المذكورة، عبر الاستقراء والتحليل باستخدام منهجية مختلطة (الأرشيف وتحليل الخطاب وتتبع العمليات Process-tracing Method والسوسيولوجيا التاريخية). وبحكم بحث الدراسة في المؤسسة العسكرية السورية وانقلاباتها، فهي تعتمد على مذكرات الضباط والسياسيين السوريين مصدرًا رئيسًا، إضافة إلى الأدبيات السابقة. وتجدر الإشارة إلى أن البحث في المؤسسة العسكرية السورية، وربما العربية عمومًا، تحيط به عوائق جمّة، نتيجة انعدام الشفافية وغياب المعلومات الصادرة عن الدولة على نحو رسمي، التي تعرّفنا بحجم المؤسسة وبنيتها الداخلية وطبيعة العلاقات القائمة فيها، حتى في مراحلها التاريخية السابقة، ما يمثّل عائقًا منهجيًا أمام الدارسين في حقل العلاقات المدنية - العسكرية. لذلك تشكل المذكرات مصدرًا رئيسًا، بل الوحيد أحيانًا، في دراسة المؤسسة العسكرية السورية، وتوظفها الدراسة بوصفها مادة أساسية في استخراج البيانات أرشيفيًا وتحليل الخطاب المتضمن في النص، بما يخدم أسئلة البحث وأهدافه. وهي كذلك محاولة لرد الاعتبار إلى المذكّرات والسِيَر؛ لكونها، كما يرى وجيه كوثراني، مرآةً للتاريخ الذاتي للأفراد الفاعلين، وتشكّل التفاصيل والأشياء الصغيرة الواردة فيها، متراكمًا بعضها مع بعض، الحدث، ما يعني "وجوب التعاطي معها باعتبارها 'وثيقة تاريخية'، نخضعها للدراسة والتفسير والتأويل؛ لتصبح معطًى من معطيات المعرفة التاريخية"[9]. ويسهم منهج تتبع العمليات Process Tracing أو تقفية الأثر في تحديد العلاقة السببية بين العامل (التوازن) والقرارات التي تتشكل لدى الأجنحة السياسية في القوات المسلحة[10]. بينما نستعين بتقاليد السوسيولوجيا التاريخية؛ لفهم تشكّل الدولة العربية في مرحلة ما بعد الاستقلال، التي تشمل الحالة المبحوثة[11].

تقع الدراسة في ثلاثة مباحث أساسية، يهتم الأول، بنقد أدبيات العلاقات المدنية - العسكرية التي سعت لإيجاد حلول لإخراج الجيوش من السياسة. ونسلّط الضوء أكثر على الأدبيات التي انشغلت بتحليل أسباب انحسار ظاهرة الانقلابات العسكرية، ونبرز أوجه القصور والفجوات داخل تلك الأدبيات، لكننا لا نتجاوزها، بل نبني عليها ونسدّ ثغراتها. ويدرس المبحث الثاني تاريخ الانقلابات العسكرية الأولى في سورية، مع إيلاء دراسة الخلفيات العسكرية للضباط الانقلابيين (قوات برية/ جوية/ بحرية أو استخبارات عسكرية)، أهمية خاصة؛ إذ تعتقد الدراسة أنّ معرفة آليات العمل الانقلابي تساعدنا على إعادة ترتيب تاريخ الانقلابات وفهمه من حيث نشوء ظاهرة الانقلاب أو انحسارها. أما المبحث الثالث فيستكشف مقوّمات الصراع داخل الجيش وأهم تكتُّلاته وطبيعة علاقة الجيش بالأحزاب ومدى تأثيره في العملية السياسية، ويدرس أيضًا، العلاقة بين عودة الحياة السياسية والبرلمانية السورية وأوضاع المؤسسة العسكرية في المدة 1954-1958. وأخيرًا، تضم الدراسة في نهايتها خاتمة وضع فيها الباحث أهم الاستنتاجات من الناحية التاريخية والنظرية.

9 وجيه كوثراني، **تاريخ التأريخ: اتجاهات - مدارس - مناهج**، ط 3 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 397-399.

10 يان تيوريل، **محدّدات التحول الديمقراطي: تفسير تغيّر أنظمة الحكم في العالم (1972-2006)**، ترجمة خليل الحاج صالح (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 72؛ حسن الحاج علي أحمد، "القدرة على الاستدلال"، **سياسات عربية**، العدد 41 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2019)، ص 89-102.

11 تعدّ السوسيولوجيا التاريخية الميدان السياسي الذي هو أحد الفضاءات الاجتماعية المكوِّنة لهذه الدولة، ساحة تنافس بين الفاعلين السياسيين على السلطة والموارد الاقتصادية والقواعد الاجتماعية، وبهدف الهيمنة يندفع أولئك إلى تسييس مكونات ثقافية ومادية، وفي حالتنا تسييس المؤسسة العسكرية الناشئة. ونتيجة لحالة التسييس هذه ينشأ صراع على احتكار العنف داخل القوات المسلحة، بهدف السيطرة على الدولة، على اعتبار أنّ محتكر العنف هو الدولة (بالمعنى الفيبري). ينظر: أدهم صولي وراymond هينبوش، "الدولة العربية: مقاربة سوسيولوجية تاريخية"، **عمران**، مج 10، العدد 37 (صيف 2021)، ص 7-36؛ ماكس فيبر، **العلم والسياسة بوصفهما حرفة**، ترجمة جورج كتورة، تقديم رضوان السيد (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011)، ص 262-263.

أولًا: كيف فكّر الباحثون في المؤسسة العسكرية؟

كيف يمكن القادة المدنيين في النظام الديمقراطي ضبط القوات المسلحة من تدخّلها في العملية السياسية؟ منذ صدور كتاب صامويل هنتنغتون **الجندي والدولة**[12] في عام 1957، الذي يهتم بالخلفيات والعلاقات السياسية بالمؤسسة العسكرية وضباطها، وأعمال نقّاده المؤسسين لمقاربات مختلفة تركز على الخلفيات السوسيولوجية والثقافية للضباط، كموريس جانويتز (كتاب **الجندي المحترف**)[13] وصامويل فاينر (كتاب **الرجل على صهوة الجواد**)[14]، تحاول تلك الأدبيات التفكير في اجتراح حلولٍ لإصلاح العلاقات المدنية - العسكرية ديمقراطيًا، وتقديم إجابات عن السؤال الذي شكّل، ولا يزال، هاجسًا لجلّ باحثي السياسة المقارنة. تتابعت الدراسات النظرية استكمالًا لما سبقها، وظهرت لاحقًا، دراسات الحالة مع الموجة الثالثة من التحول الديمقراطي في محاولةٍ لاستنتاج خلاصات مما وقع في تلك البلدان من تجارب في إصلاح المؤسسات العسكرية. يتركز معظم تلك الخلاصات التي وصلت إلى حد المقترحات والتوصيات، على آليات مدنية لدَمقرطة القوات المسلحة، فقد ذهب خوان لينز إلى القول إن العلاج الناجع لتدخل العسكر في السياسة يمر عبر الحوكمة الديمقراطية الفاعلة التي يقودها الفاعلون السياسيون الكبار[15]. ورأى فيليب أغويرو أن التحول الديمقراطي وتعزيزه يجري من خلال سلطان المؤسسة المدنية على العسكرية، الذي برأيه، يكون عبر إبعاد العسكر عن مواقع القوة وتنصيب مدنيين على رأس هرم المؤسسة العسكرية[16]. أما أوريل كرويسانت وزملاؤه، فاعتبروا كأسلافهم أن سيطرة المؤسسة المدنية على العسكرية تتم من خلال توزيع سلطة اتخاذ القرار، حيث يمتلك المدنيون الديمقراطيون السلطة الأعلى والحصرية في تحديد سياسات الحكم وتنفيذها[17]. ولا يتوقف الأمر على الباحثين، بل اتّخذ بعض الفاعلين المنحى النظري ذاته، وهو أمر مثير للاستغراب، فنارسيس سيرا، الباحث في الحقل ووزير الدفاع الإسباني الأسبق، يرى أن استقلالية الجيش من تدخّله في السياسات، تمر عبر التدني التدرجي لصلاحياته التي تقلّصها سلطة تحكّم مدني ديمقراطي في علاقة تفاوضية حذرة وطويلة الأمـد[18]. ومؤخرًا، ذهب كل من زولتان بـاراني[19] وعبد الفتاح ماضي[20] (وهو آخر من كتب عربيًا، وربما في الحقل كله، حتى كتابة هذه السطور) إلى رسم سياسات للقوى المدنية تمكّنهم من إصلاح المؤسسة العسكرية واقتراح آليات لإخراج الجيش من السياسة، عبر استقراء عدد كبير من الحالات وتحليلها، وتتلخص تلك السياسات والآليات في قضايا الإشراف على الميزانيات العسكرية وإقامة الرقابة المدنية وحوكمة القطاع الأمني والمناصب داخل وزارة الدفاع ومأسستها، ودسترة صلاحيات القوات المسلحة وقوننتها، إلى آخره.

تتلخص الإشكاليات التي وقع فيها بعض تلك الدراسات في أنها أولًا، افترضت مسبقًا أن القوات المسلحة موافقة ضمنيًا على عملية الانتقال السياسي إلى الديمقراطية، وأن تلك العمليات من التحكم المدني فيها ستجري من دون رفض أو قلق منها. يؤسس هذا الإشكال ثانيًا، على أن عمليات إصلاح العلاقات المدنية - العسكرية التي بنى عليها هؤلاء الباحثون، كانت قد جرت في سياق بنيوي وزمني من الصعوبة أن يقدَّم مرة أخرى إلى بلدان مختلفة في الزمان والمكان، بمعنى، أن حالات الأرجنتين والبرازيل وتشيلي والبرتغال وإسبانيا، أي الحالات التي تمثل "المعقل التاريخي للسياسة العسكرية" (كما يسميها فيليب دروز فينسينت)[21]، كان الانتقال الديمقراطي، وترسّخه لاحقًا، قد وقع في سياق دعم دولي وتأثير إقليمي واضحَين من الجهة الغربية في العالم، أي سياق الحرب الباردة الذي كانت فيه الولايات المتحدة تدفع الدول دفعًا إلى الدمقرطة، سعيًا منها لضمان اصطفافها معها في مقابل المعسكر الشرقي. ومن ثم، سياق الموافقة الضمنية من العسكر على الدمقرطة، عائد إلى كونه مجبرًا بضغط خارجي، ومقيّدًا بمنظومة دولية. بينما ثمة دول أخرى، مثل البلدان العربية، تُمنع

12 Samuel P. Huntington, *The Soldier and the State: The Theory and Politics of Civil-Military Relations* (Cambridge: Belknap Press of Harvard University Press, 1957).

13 Morris Janowitz, *The Professional Soldier: A Social and Political Portrait* (Glencoe, Ill.: Free Press, 1960).

14 Samuel E. Finer, *The Man on Horseback: The Role of the Military in Politics* (London: Pall Mall Press, 1969).

15 Juan J. Linz, *Breakdown of Democratic Regimes: Crisis, Breakdown and Reequilibration* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1978), p. 30.

16 Felipe Aguero, *Soldiers, Civilians and Democracy: Post-franco in Comparative Perspective* (Baltimore/ London: The Johns Hopkins University Press, 1995), p. 17.

17 Aurel Croissant et al., "Beyond the Fallacy of Coup-ism: Conceptualizing Civilian Control of the Military in Emerging Democracies," *Democratization*, vol. 17, no. 5 (2010), p. 955.

18 Narcis Serra, *The Military Transition: Democratic Reform of the Armed Forces*, Translated by Peter Bush (Cambridge/ New York: Cambridge University Press, 2010), pp. 43-49.

19 زولتان باراني، **الجندي والدولة المتغيرة: بناء جيوش ديمقراطية في أفريقيا وآسيا وأوروبا والأميركتين**، ترجمة نبيل الخشن (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 49-75.

20 عبد الفتاح ماضي، **الديمقراطية والبندقية: العلاقات المدنية - العسكرية وسياسات تحديث القوات المسلحة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 263-361.

21 Philippe Droz-Vincent, *Military Politics of the Contemporary Arab World* (Cambridge: Cambridge University Press, 2021), pp. 288-289.

إقليميًا ودوليًا من التحوّل إلى الديمقراطية، ما يعني صعوبة تطبيق تلك الوصفات التي يقدمها الباحثون؛ لاختلاف السياقات، فضلًا عن الاختلاف البنيوي والجذري بين تركيبة تلك الجيوش وعلاقتها بالدولة والمجتمع، وبعض جيوش المنطقة العربية، كالجيش السوري.

ثالثًا، يظهر بوضوح ضعف الأدبيات في دراسة القوات المسلحة ذاتها والقطاعات الأمنية كذلك، في مقابل هيمنة التفكير في القوى السياسية والمدنية والعوامل الخارجية وأدوارها، على أهميتها؛ إذ يلاحظ عدم التركيز على علاقات القوة داخل الجيش. فقد جرى التعامل مع القوات المسلحة باعتبارها تكتلًا واحدًا، أو بالأحرى كتلة هلامية، تعبّر عن نتيجة واحدة إزاء الديمقراطية، وكان من الضروري تفكيك الجيش، نظريًا في أثناء البحث على الأقل، إلى ألوية وفصائل (قوات جوية وبحرية وبرية واستخبارات عسكرية) لاختبار العلاقات بين وحدات الجيش وقواته ومواقفه من عمليات الانتقال السياسي، كما ستقوم هذه الدراسة بكشف ذلك في الحالة السورية مثلًا. لكن هذا الضعف المنهجي يعود إلى قلة اهتمام الباحثين بدراسة الجهاز العسكري ذاته، كما تلاحظ نانسي برميو[22].

رابعًا، إن الإشكالية الأهم التي شابت معظم تلك الأدبيات، في كونها صياغات متعددة لمقاربة واحدة، بمعنى أنها قدمت حلولًا إلى المدنيين، وعليهم السعي لها للتوصل إلى نظام ديمقراطي راسخ، صحيح أن الانتقال الديمقراطي لا يجري من دون نخب سياسية ديمقراطية، فإصلاح المؤسسة العسكرية يقوم على علاقة ثنائية، لكن لم يُنظر إلى القوات المسلحة، حيث تكون هناك طريق للوصول إلى الديمقراطية والتعددية السياسية عبر حلٍ من داخلها، وليس من طرف خارج عن المؤسسة العسكرية فحسب. بطريقة أشد وضوحًا، إن مرحلة التعددية السياسية/ "الديمقراطية" التي مرت بها سورية خلال المدة 1954-1958، لم تأتِ عبر دفع الجيش إلى خارج السياسة، بالمعنى الضيق، من قوى مدنية ديمقراطية للوصول إلى أربعة أعوام من التعددية السياسية، بل هي مرحلة من ازدواجية السلطة المدنية - العسكرية، أو كما وصفها حازم صاغية بدقة، هي عهد شبه مدني، شبه عسكري[23]، فكيف وصلت سورية خلال تلك المرحلة إلى تعددية سياسية أو ازدواجية الحكم من دون نضال قوى مدنية ديمقراطية؟

22 Nancy Bermeo, "Surprise, Surprise: Lessons from 1989 and 1991," in: Nancy Bermeo (ed.), *Liberalization and Democratization: Change in the Soviet Union and Eastern Europe* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1992), p. 198.

23 حازم صاغية، **الانهيار المديد: الخلفية التاريخية لانتفاضات الشرق الأوسط العربي** (بيروت: دار الساقي، 2013)، ص 124.

> لعل من المفيد التذكير بأن قلّة بل انعدام الإجابات في الأدبيات يعود إلى ضعف الانشغال البحثي الجاد والممأسس بدراسة جيوش المشرق العربي قبل السبعينيات، أي قبل استقرار النظم العسكرية والسياسية، وعلى الرغم من صدور أعمال مهمة وتأسيسية، كأعمال أنور عبد الملك ونزيه الأيوبي وخلدون النقيب وعزمي بشارة، فإن الضعف ما زال حاضرًا

لعل من المفيد التذكير بأن قلّة بل انعدام الإجابات في الأدبيات يعود إلى ضعف الانشغال البحثي الجاد والممأسس بدراسة جيوش المشرق العربي قبل السبعينيات، أي قبل استقرار النظم العسكرية والسياسية، وعلى الرغم من صدور أعمال مهمة وتأسيسية، كأعمال أنور عبد الملك[24] ونزيه الأيوبي[25] وخلدون النقيب[26] وعزمي بشارة[27]، فإن الضعف ما زال حاضرًا. وفي الوقت الذي سعى فيه باحثون عرب، مؤخرًا[28] لتقديم إجابات وحلول لمسألة الانتقال السياسي عربيًا، فإنهم مالوا إلى دراسة جيوش من خارج المنطقة العربية. لذا، فإنّ ملاحظة جانويتز، ما زالت صحيحة بعد عقود: إن "الاهتمام بجيوش الشرق الأوسط ما زال ضئيلًا جدًا، إذا ما قورن ذلك بالدراسات حول جيوش أميركا اللاتينية وأفريقيا"[29].

لمحاولة التوصل إلى رؤية أوضح للحالة المدروسة، لا بد من اختبار أدبيات الوقاية من الانقلاب، كون النموذج السوري الذي نعكف على توضيح التباساته وقع ضمن مراحل انقلابية.

رأت ثيدا سكوكبول، أن لا أهمية لأيٍّ مؤسسة في الحفاظ على بقاء النظام كأهمية المؤسسة العسكرية، وعليه، ثمّة أولوية لدى النخبة

24 أنـور عبد الملك، **المجتمع المصري والجيش** (1952-1973) (القاهرة: مركز المحروسة، 2005).

25 نزيه الأيوبي، **تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط**، ترجمة أمجد حسين (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010).

26 النقيب.

27 بشارة، **الجيش والسياسة**.

28 ماضي، ص 133-260.

29 Morris Janowitz, *Military Conflict: Essays in the Institutional Analysis of War and Peace* (Beverly Hills, Calif: Sage Publications, 1975), p. 148.

الحاكمة في الحفاظ على الولاء المطلق لضباط القوات المسلحة[30]. وجرى ذلك الحفاظ على النظام الحاكم في سياق المشرق العربي عمومًا، وسورية خصوصًا، إلى ما سمّاه الباحثون ظهور "آليات الوقاية من الانقلاب Coup-Proofing"، التي تعني "مجموعة الإجراءات التي يقوم بها النظام لمنع وقوع الانقلابات العسكرية"[31].

تُحسَر هذه الآليات التي شخّصها الباحثون في: أولًا، التحكم في الجيش عبر خلق حالة توازن وهيمنة على القوات المسلحة، فعندما يكون احتمال الانقلاب كبيرًا، يتّجه النظام، الممثَّل بالزعيم، نحو تقسيم قواته العسكرية إلى جماعات متنافسة (مثل: الحرس الجمهوري والمجموعات شبه العسكرية وهيئات الاستخبارات) التي تهدف إلى إحباط قدرة سلك الضباط على تنسيق عمل انقلابي ضد النظام[32]. ثانيًا، يُكتسب ولاء هذه القوات الموازية عبر التسليح والتدريب العالي ورفع مستويات الإنفاق وتوزيع مكاسب مادية سخيّة عليها[33]. ثالثًا، يتّخذ النظام إجراءات شبه منتظمة في تدوير المواقع العسكرية للضباط، لمنعهم من تشكيل عصبة أو تكتُّل داخل أيٍّ من وحداتهم. رابعًا، تجري عمليات مراقبة وتجسس على وحدات الجيش للتصدّي لأي منافس يظهر داخل المؤسسة، إضافة إلى منع تدفق المعلومات داخل أجهزة النظام العسكرية[34]، فهي حصرًا تتدفق باتجاه الزعيم. خامسًا، في حالات سورية والعراق على وجه التحديد، بنى الضباط الذين استقرت لهم أنظمة الحكم "جيوشًا عقائدية"، تقوم على الولاء المطلق لحزب البعث الحاكم، عبر تلقين الضباط في الكليات العسكرية، الأيديولوجيا التي يقوم عليها النظام[35]. سادسًا، الاستثمار في شبكة القرابات والهويات الطائفية والإثنية، لكسب الولاءات داخل القوات المسلحة وخارجها[36].

مثّلت هذه الآليات الشبكية، داخل المكونات الاجتماعية والأجهزة العسكرية/ الأمنية، ركيزة أساسية في الحدّ من وقوع الانقلابات والحفاظ على الحكم أطول فترة ممكنة. صحيح أنها، مجتمعةً، جزءٌ من مكوِّنات النظام، لكنها لا يتّصل بعضها ببعض، بل تتصل مباشرةً بالزعيم والدوائر المقرّبة من النظام، فهي تتخذ شكل آلية "المحور والمكبح"[37]، ما جعل هذه الشبكات والأجهزة رديفة لأجهزة الدولة، أي تعمل كأنها دولة، ممثلةً عودة إلى منظومة الحرس البريتوري في أجهزة الدولة العربية[38].

تكمن إشكالية هذه الأدبيات في أنها: أولًا، حصرت آليات الوقاية من الانقلاب في العقود الأخيرة التي استقرت فيها أنظمة الحكم العربية، أي بعد السبعينيات، وربما تسهم في فهم ترسّخ دكتاتوريات ما قبل هذه المراحل أيضًا، مثل دكتاتورية أديب الشيشكلي في سورية (1949-1954). لكنها لا تفسّر انحسار الظاهرة الانقلابية في سورية في المدة 1954-1958، ولا تجيب عن سؤال: كيف تصدّر المدنيون الحكم وليس الجيش؟

ثانيًا، خلط بعض تلك الدراسات بين انحسار الانقلابات العسكرية وأسباب انسحاب الجيوش من السياسة (زولتان باراني مثلًا)، وهنا ثمّة بَوْنٌ شاسع بينهما، فضبط الجيش وخلق آليات لمنعه من الانقلاب، لا يعني أنّ الجيش خارج السياسة، فغالبًا الذي قام بصناعة آليات منع الانقلاب، هو ضابط صعد إلى السلطة عبر الانقلاب العسكري، وأحاط نظامه بضباط لإدارة الحكم سويًّا، ومن ثم، ما زال الجيش في السياسة وهو الذي يحكم، لكن تمّ لجم باقي ضباط الجيش من القيام بانقلابٍ ضدّهم.

ثالثًا، الفجوة النظرية الأهم التي وقعت فيها هذه الدراسات، أنها نظرت إلى الأسباب وآليات انحسار الانقلابات باعتبارها حالة مخلوقة، فهي بتعريف كوينليفان "مجموعة إجـراءات يتّخذها النظام"، أي ثمّة من يقوم بصناعة هذه الآليات، أو سلطة عليا قادرة على التحكم في جميع الأطراف. هذا صحيح على نظام الحكم في سورية مع بداية السبعينيات، لكنه وقع تجاهل حقبة الخمسينيات، أي مرحلة الغليان السياسي والأدلجة في صفوف القوات المسلحة السورية بعدسة دقيقة، فالمرحلة بين عامي 1954 و1958 لم تشهد

30 ثيدا سكوكبول، **الدول والثورات الاجتماعية: دراسة مقارنة بين فرنسا وروسيا والصين**، ترجمة نبيل الخشن (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 473-487.

31 James Quinlivan, "Coup-Proofing: Its Practice and Consequences in the Middle East," *International Security*, vol. 24, no. 2 (Fall 1999), p. 133.

32 Aaron Belkin & Evan Schofer, "Coup Risk, Counterbalancing, and International Conflict," *Security Studies*, vol. 14, no. 1 (January 2005), p. 143.

33 Michael Makara, "Coup-Proofing, Military Defection, and the Arab Spring," *Democracy and Security*, vol. 9, no. 4 (September 2013), pp. 336-337.

34 Risa Brooks, *Political-Military Relations and the Stability of Arab Regimes*, Adelphi Paper 324 (London: International Institute for Strategic Studies, 1998), pp. 18-20.

35 الأيوبي، ص 517-520؛
Kenneth Pollack, "The Arab Militaries: The Double Swords," in: Kenneth Pollack et al. (eds.), *The Arab Awakening: America and the Transformation of the Middle East* (Washington, DC: Brookings Institution, 2011), pp. 59-60.

36 Makara, pp. 336-337; Raymond Hinnebusch, "Toward a Historical Sociology of State Formation in the Middle East," *Middle East Critique*, vol. 19, no. 3 (Fall 2010), p. 209.

37 Steffen Hertog, *Princes, Brokers and Bureaucrats: Oil and the State in Saudi Arabia* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010), p. 3.

38 عزمي بشارة، "الدولة والأمة ونظام الحكم: التداخل والتمايز"، ورقة مقدمة في الدورة الثامنة لمؤتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية "الدولة العربية المعاصرة: التصور، النشأة، الأزمة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2021/3/21؛
Hanna Batatu, "Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for Its Dominance," *Middle East Journal*, vol. 35, no. 3 (Summer 1981), pp. 331-344.

نظامًا سلطويًا يسعى لشرذمة الجيش، للحفاظ على حكمه، بل شهدَت وجود تكتلات عسكرية تتصارع في ما بينها، من دون زعيم يقوم بخلق التنافس بين أجنحة الجيش وإشعاله، وعليه، تتفرّد هذه المرحلة بالاستثناء العسكري في تاريخ سورية، وربما تاريخ بلدان أخرى. ويحق للباحث التساؤل، هل نشأت هذه التكتلات بمحض الصدفة؟ وكيف بزغت إذا ما كان مجتمع الأكاديميين قد رأى أن التنافس في صفوف الجيش يُخلَق من سلطة عليا تتغذّى بالتنافر في القوات المسلحة؟ وإذا ما افترضنا أنها صدفة اعتباطية، أو وليدة ظروفها السياسية، فكيف أدارت صراعاتها إذًا؟ وهل انتصر فيها أحد على الآخر؟ نسعى للإجابة عن ذلك عبر تقديم قراءة سردية وتحليلية للانقلابات العسكرية في سورية، واختبار مدى واقعية تلك الآليات التي توصّل إليها الباحثون وفاعليتها.

ثانيًا: انقلابات سورية 1949-1954: الجدل السوسيولوجي والعسكري

1. الإرث الانتدابي: الخلفيات السوسيولوجية للجيش السوري

قادت الجدالات بشأن الطبيعة الطائفية لنظام الحكم عمومًا وللقوات المسلحة خصوصًا في سورية، إلى إعادة البحث في الخلفيات السوسيولوجية (الطبقية أو المدينية أو الدينية أو الإثنية) لضباط الانقلابات العسكرية في سورية في المدة 1949-1970 بأثر رجعي، وكثيرًا ما فُسّرت الانقلابات العسكرية في سورية بوصفها انعكاسًا لتلك الخلفيات[39]. ربما تتمتع غالبية الاعتقادات والأحكام التي اعتمدت على التحليلات الطبقية والدينية/ الطائفية بقدر كبير من الدقة، لكن التحليلات التي اعتمدت على الخلفيات الإثنية جانبت الدقة، مقارنةً بسابقاتها. فالانقلابات الثلاثة الأولى، قادها ضباط من أصول كردية متعربة، ما دفع العديد من الباحثين إلى القول بأقلوية هذه الانقلابات[40]. إلّا أنّ الممارسة العملية لقادة الانقلابات الثلاثة، على صعيد بنية الجيش والمؤسسات السياسية والتحولات القانونية لأوضاع تلك الأقليات، لم تظهر عملية "كردنة" أو "شركسة" لمؤسسات الدولة. وأحد أبرز الأمثلة على ذلك سياسات أديب الشيشكلي، حين سعى لتحجيم عدد الأقليات داخل الجيش في نهاية عهده، لمصلحة الحفاظ على الطابع العربي السُنّي للمؤسسة العسكرية، على الرغم من أنه من أصول كردية لجهة الأب، وشركسية لجهة الأم، ما يعني حمله أقليتين في هويته، وليس أقلّويًا.

يستند التحليل الأقلياتي إلى مسلّمة شائعة في بعض أوساط الباحثين العرب والغربيين على السواء[41]، بالقول إن طبيعة تكوين الجيش السوري الذي يعود إلى إرث الانتداب الفرنسي حين أُسّس "جيش الشرق الخاص"، تقوم على الأقليات السورية عمومًا؛ إذ حالت السلطات الفرنسية دون انخراط أبناء الأكثرية العربية السُنّية في الجيش في حالات عدة. في المقابل، يشير الباحث نخلة بو نخلة في دراسته الرصينة حول تجنيد السوريين في أثناء الانتداب إلى أن نسبة العرب السُنّة في هذه القوات كانت تفوق حضور الأقليات على اختلافها[42]. كما يُظهر الباحث نفسه أن الأمر لا يقتصر على حدود التركيبة العامة للجيش فحسب، بل إن حضور العرب السُنّة في سلك الضباط في عام 1947، أي بعد استقلال سورية (1946)، أعلى من أي تحدّر أقوامي أو ديني آخر في الجيش. ومن ثم، لم تقم فرنسا بإقصاء جماعات سكانية بأكملها لأسباب مذهبية وأقلّوية، بل اعتمدت السياسة التي انتهجتها باريس في عمليات التجنيد على اختيار جماعات - طوائف وإثنيات وعشائر وعائلات - موالية لسياساتها، في انتقائية تستبعد المشكوك في موالاتهم داخل الأقلية والأكثرية على حد سواء. في حين هناك من يشير إلى أن باريس انتهجت سياسة تركيز الأقليات، الإثنية أو الطائفية على السواء، في الوحدات النوعية للجيش[43]، وعليه، ليس بالضرورة أن التناسب الكمي لمكوّنات المجتمع وشرائحه داخل الجيش السوري ينفي السياسات الأقلّوية للنظام الفرنسي الاستعماري.

نتيجة هذا الانشغال والجدل البحثي الممتد منذ عقود حول الخلفيات السوسيولوجية للضباط، كما الأصول القبلية والإثنية والطائفية، الذي أصبح موثقًا توثيقًا دقيقًا جدًا[44]، ترى الدراسة ضرورة النظر والبحث

39 ينظر على سبيل المثال لا الحصر: نيقولاوس فان دام، **الصراع على السلطة في سوريا: الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة 1961-1955**، ط 2 (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995)؛ حنا بطاطو، **فلاحو سورية: أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأنًا وسياساتهم**، ترجمة عبد الله فاضل ورائد النقشبندي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014).

40 ينظر: غسان سلامة، **المجتمع والدولة في المشرق العربي**، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999)، ص 162. ويُطلعنا ضابط سلاح الجو الدمشقي المعروف محمد العشي في مذكراته على أن انقلاب حسني الزعيم أعطاه الفرنسيون هوية كردية في كليات التدريس في ذلك الحين، في أثناء دراسة أخيه زهير العشي. ينظر: محمد سهيل العشي، **فجر الاستقلال في سورية: منعطف خطير في تاريخها**، ط 2 (بيروت: دار النفائس، 2019)، ص 135.

41 ينظر مثلًا: سلامة، ص 162؛ توري، ص 52.

42 Nacklie E. Bou-Nacklie, "Les Troupes Speciales: Religious and Ethnic Recruitment, 1916-1946," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 25, no. 4 (November 1993), pp. 645-660.

43 عزمي بشارة، **سورية: درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص 279.

44 فؤاد إسحق الخوري، **العسكر والحكم في البلدان العربية** (بيروت: دار الساقي، 1990)، ص 7.

في الخلفيات العسكرية لضباط الانقلابات؛ ذلك أن الجيش مؤسسة عسكرية تمثل أجنحة وقطاعات ووحدات وألوية (قوات جوية وبحرية وبرية واستخبارات عسكرية) وعلاقات قوة، قبل أن تكون تعبيرًا عن أي مؤسسات اجتماعية أخرى. ففي نهاية المطاف، يعتمد العمل الانقلابي العسكري على قدرة الضباط على ضمان مشاركة أكبر قدر ممكن من القوات الضاربة في تنفيذ العملية، لتكلل المهمة بالنجاح من دون وقوع صدام مع قوى موازية يمكن أن تقود إلى العنف داخل الجيش.

> الجيش مؤسسة عسكرية تمثل أجنحة وقطاعات ووحدات وألوية (قوات جوية وبحرية وبرية واستخبارات عسكرية) وعلاقات قوة، قبل أن تكون تعبيرًا عن أي مؤسسات اجتماعية أخرى. ففي نهاية المطاف، يعتمد العمل الانقلابي العسكري على قدرة الضباط على ضمان مشاركة أكبر قدر ممكن من القوات الضاربة في تنفيذ العملية، لتكلل المهمة بالنجاح من دون وقوع صدام مع قوى موازية يمكن أن تقود إلى العنف داخل الجيش

بناء عليه، التساؤل عن خلفية الضباط العسكرية مشروع ومثير في بعض جوانبه. وانطلاقًا من السؤال عن مسلسل الانقلابات السورية[45]، ما الوحدات والألوية العسكرية التي قامت بالعمل الانقلابي في سورية قبل عام 1954؟ قبل الشروع في الإجابة، لا بد من إلقاء الضوء على جذور التسييس في الجيش، والتعريج على أسباب وقوع الانقلابات الأولى في سورية.

45 وقع في سورية منذ انقلاب حسني الزعيم في 30 آذار/ مارس 1949 حتى انقلاب حافظ الأسد "الحركة التصحيحية" في 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1970، 16 انقلابًا عسكريًا، ما بين ناجح وفاشل، والمثير للاستغراب أن مجموع الانقلابات الواقعة بين نهاية العام وبداية العام الجديد، أي من الشهور الثلاثة الأخيرة حتى الثلاثة الأولى من السنة هو 12 انقلابًا، تسعة ناجحة وثلاثة فاشلة. ففي الربع الأول من العام (كانون الثاني/ يناير وشباط/ فبراير وآذار/ مارس) وقعت سبعة انقلابات، ستة ناجحة، وواحد فاشل. وفي الربع الرابع والأخير من العام (تشرين الأول/ أكتوبر وتشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر)، وقعت خمسة انقلابات، ثلاثة ناجحة واثنان فاشلان. في حين لم تسجل سورية خلال الربع الثاني من العام (نيسان/ أبريل وأيار/ مايو وحزيران/ يونيو) أي انقلاب عسكري. لا أعلم إن كان ثمة دلالة زمنية في هذه الانقلابات، لكن الملاحظ في أثناء البحث والقراءة في مذكرات عشرات الضباط والسياسيين السوريين أن هناك حالات عدة وقع فيها انقلاب سبقه نقاش حول ميزانية الجيش من الموازنة العامة في البرلمان ومع السياسيين من الرئيس أو وزير الدفاع. لا شيء يدعو إلى الجزم، لكنها ملاحظة تستوقف الباحث. ينظر: الجدول (11) حول الانقلابات العسكرية كلها في المدة 1949-1970.

2. جذور التسييس في الجيش وأصول الانقلابات

يُرجع عزمي بشارة جذور التسيس وتبنّي الأيديولوجيات في أوساط الجيش السوري إلى الدورة الأولى من خريجي المدرسة العسكرية في حمص في عام 1945، حيث انتشرت الأفكار اليسارية والقومية في معظم أوساط الجيش، لتأخذ في التوسع مع نتائج الهزيمة في حرب عام 1948، ومع ولادة أولى حركة الانقلابات العسكرية في البلاد[46]. فقد أدّت الأيديولوجيات والأحزاب الصاعدة، كحزب البعث العربي والحزب العربي الاشتراكي، دورًا مركزيًا في تسييس الجيش عبر خطابات القومية والدفاع عن حقوق العمال والفلاحين والطبقات الكادحة؛ إذ لقيت هذه الخطابات رواجًا في صفوف العسكريين المتحدرين من أصول فلاحية وأبناء الطبقات الوسطى في المدينة والريف، في مواجهة الطبقات الحاكمة التي هي طبقة كبار الملّاك، لتطبيق برنامج الإصلاح الزراعي بالقوة. وانجذبت قواعد واسعة في أوساط الجنود والضباط حول أكرم الحوراني، خصوصًا العسكريين من مدينة حماة (مسقط رأس الحوراني) تحديدًا، وامتدت قاعدة الحوراني بالتدرج في قرى حلب وحمص ومعرّة النعمان[47]. وكان الضابط عبد الغني قنوت قد أدى دورًا أساسيًا إلى جانب الحوراني في عملية تسييس الضباط، بل في جرّ الحوراني إلى الحركات الانقلابية، بعدما كان يؤمن بالحركة الشعبية الفلاحية لا العسكرية[48]. ومن ثم، تلاقت مصالح وأهداف حزبي البعث والاشتراكي، التي توحدت في نهاية عام 1952، مع قطاعات في الجيش. كما ساهم تصدّع النخبة السياسية المدينية الليبرالية، مثل الكتلة الوطنية في الخمسينيات التي كانت قد انشطرت إلى حزبي الشعب والوطني في عام 1947، في إتاحة المجال السياسي لهذه الأحزاب الهامشية بالتوسع[49].

لقي الحزب القومي السوري الاجتماعي[50] الذي ينادي بالوطنية السورية ووحدة دول "الهلال الخصيب" بعض الرواج في الجيش، فجذب مثلًا تعاطف أديب الشيشكلي في الأعوام الأولى من حكمه

46 بشارة، **سورية**، ص 280.

47 محمد حرب فرزات، **الحياة الحزبية في سوريا**، ط 2 (بيروت/ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 239.

48 محمد جمال باروت، "حول الشعبوية "الحورانية" في سوريا"، **الفكر الديمقراطي**، العدد 11 (1990)، ص 94-95.

49 شمس الدين الكيلاني، **مدخل في الحياة السياسية السورية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 34-38.

50 كتب كريستوفر سولومون دراسة شاملة ومهمة صدرت مؤخرًا عن الحزب القومي السوري الاجتماعي، ينظر:
Christopher Solomon, *In Search of Greater Syria: The History and Politics of the Syrian Social Nationalist Party* (New York: Bloomsbury Publishing, 2021).

(1949-1954)، لكن هذا الحضور بقيَ محدودًا، وسط الخطابات وصعود المد القومي العربي، في مقابل الوطنية السورية الضيقة. وبناء عليه، مع تورّط سورية في سلسلة الانقلابات، ووصوله إلى سدة الحكم، رأى الجيش أو قطاعاته التي تسعى للهيمنة والبقاء في السلطة طويلًا، ضرورة التحالف مع أيديولوجيات. فكما ذهب بكل وجاهة خلدون النقيب وجاك ووديز إلى أن الجيش ما إن يخرج من الثكنة، لا يمكنه أن يبقى على حياد مع التيارات الأيديولوجية، فالبقاء في السلطة، أو السعي لها، يتطلّب التحالف مع إحدى الأيديولوجيات أو الطبقات المهيمنة[51].

تضافرت مجموعة عوامل دفعت الجيش السوري إلى الانقلاب على الحكم المدني الحديث، ما بين العوامل السوسيولوجية والاقتصادية التي ترتكز على التحليلات الطبقية في الدرجة الأولى، فأصول الضباط في معظمها متحدّرة من الأرياف التي تجد في سياسات الإصلاح الزراعي والانشغال بقضايا الفلاحين مصدر انجذاب للانقلاب على الطبقات المهيمنة سياسيًا واجتماعيًا (البرجوازية المدينية وملّاك الأراضي)[52]. في حين شكلت عوامل سياسية دولية، كمحاولات الغرب، ولا سيما الولايات المتحدة، لإيقاف عمليات التسيس والانجراف نحو اليسار في سياق الحرب الباردة، وفي نطاق سياسات الحفاظ على الأمن الأميركي، عاملًا أساسيًا لانقلابات العالم الثالث[53]. في حين تذيلت هزيمة الجيوش العربية في حرب عام 1948 رأس قائمة الأسباب التي قادت إلى افتتاح ظاهرة الانقلابات العسكرية في العالم العربي. فتشخيص الضباط أسباب الهزيمة وردات أفعالهم عليها، تقاطعت مع موقفهم من الوضع السياسي - الاجتماعي القائم[54]. في حين هناك من وجد في ضعف الأحزاب العقائدية من عدم قدرتها على الوصول إلى السلطة، دافعًا إلى تسييس الجيش وتجييره لمصلحته للوصول إلى السلطة بعدما يئس من احتمالات الوصول إلى الحكم بالقوة الشعبية[55].

في هذه الأجواء السياسية والفكرية والاستقطابات الاجتماعية، تصدّرت الأحداث المحلية واجهة المشهد السياسي، وشكّلت القادح لاصطدام القوى العسكرية بالمدنية. دفعت صدمة الهزيمة عسكر المنطقة إلى الاعتقاد أن ما أدى إلى الهزيمة هو ضعف الساسة المدنيين وسوء تدبيرهم وإهمالهم الأجهزة العسكرية من حيث التسليح والتدريب[56]. وفي محاولة لرد الاعتبار الاجتماعي إلى المؤسسة العسكرية بعد الهزيمة، التي أُهينت من السياسيين، بوصم الجيش بالعار على نحو علني، حيث هاجم النائب في البرلمان فيصل العسلي الجيش وأهانه على الملأ، في المقابل أحال رئيس الجمهورية شكري القوتلي ثلاثة عشر ضابطًا في الجيش من قسم إدارة التموين إلى السجن بعد فضيحة السمن المغشوش، وعلى رأسهم العقيد أنطون البستاني المقرب من رئيس الأركان حسني الزعيم[57]، الأمر الذي أثار غضب فئات واسعة من ضباط الجيش السوري وجنوده. فوقع انقلاب حسني الزعيم في 30 آذار/ مارس 1949، كما كان للعامل الدولي/ الإقليمي أهميته في انقلاب الزعيم، فقد قوبلت اتفاقية مدّ خط أنابيب التابلاين النفطية التابعة لشركة أرامكو السعودية-الأميركية عبر الأراضي السورية برفض مجلس النواب والحكومة، وبقيت اتفاقية الهدنة مع إسرائيل معلّقة هي الأخرى، ما دفع أميركا إلى البحث عن طرف يمكن أن يمرّر لها مصالحها، وهو ما حصل بالفعل بعد الانقلاب، فصدّق قائد الانقلاب حسني الزعيم كلتا الاتفاقيتين وأبرمهما[58].

3. الخلفيات العسكرية للضباط: سلاح المدرعات

عند التنسيق للعمل الانقلابي في ظروف متكاملة ومهيّأة كانقلاب الزعيم، يكون من اليسير على المدبر ضم ضباط وضباط صف للموافقة على المشاركة؛ أي ثمة حالة شبه إجماع في صفوف الجيش على القيام بانقلاب عسكري ضد السياسيين والحكم المدني نتيجة الأسباب المذكورة سابقًا. وبناء عليه، كانت مشاركة القوى الأهم في الجيش، وهي سلاح المدرعات في قطنا، في العمل الانقلابي لحسني الزعيم تحصيلَ حاصلٍ، كما هو موضح في الجدول (1)؛ ذلك أن سر العمل الانقلابي-العسكري وخزان بارود الجيش السوري في المدة 1949-1961، هو سلاح المدرعات، وجوهره اللواء الأول مدرع الواقع في منطقة قطنا البعيدة عن العاصمة دمشق قرابة 30 كلم.

لكن تكرار الانقلابات، مع عدم توافر مناخ سياسي (محلي/ إقليمي/ دولي)، كما حصل في الانقلاب الأول، سيدفع الضباط الانقلابيين اللاحقين إلى الاعتماد أكثر على القوات الضاربة

51 النقيب، ص123؛ جاك ووديز، **الجيوش والسياسة**، ترجمة عبد الحميد عبد الله (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1982)، ص 44-49.

52 الأيوبي، ص 515.

53 النقيب، ص 131.

54 بشارة، **الجيش والسياسة**، ص 80.

55 حليم بركات، **المجتمع العربي في القرن العشرين** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص 575-576.

56 هيثم الكيلاني، **الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية-الإسرائيلية: 1948-1988** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 153.

57 سيل، ص 66-68.

58 فتح الله ميخائيل صقال، **من ذكريات حكومة الزعيم حسني الزعيم: خواطر وآراء** (القاهرة: دار المعارف، 1951)، ص 52-60.

الجدول (1)

المشاركون في انقلاب حسني الزعيم

الأسماء	الوحدات العسكرية	الرتب العسكرية
حسني الزعيم	رئيس الأركان	عميد
سامي الحناوي	مدرعات	عقيد
عزيز عبد الكريم	مدفعية	عقيد
سبحان نصر	آمر منطقة سمخ	عقيد
فوزي سلو	اللواء الثالث	عقيد
محمود بنيان	آمر كتيبة شركسية مدرع	عقيد
أديب الشيشكلي	مدرعات	مقدم
توفيق بشور	مدرعات	مقدم
عمر خان تمر	مدرعات	مقدم
محمود شوكت	مدرعات	مقدم
كريكور مانوكيان	مدفعية	مقدم
بهيج كلاس	مدفعية	مقدم
باسيل صوايا	مدفعية	مقدم
جميلماميش	فرسان	مقدم
بديع بشور	فرسان	مقدم
رفعت خانكان	فرسان	مقدم
عدنان المالكي	الشعبة الثالثة	مقدم
إبراهيم الحسيني	الشرطة العسكرية	مقدم
حسام الدين عابدين	قائد موقع دمشق	مقدم
محمد ناصر	طيران	مقدم
فيصل الأتاسي	-	مقدم
إحسان شرذم	-	مقدم
محمود شطرا	مدرعات	نقيب
شوان	مدرعات	نقيب
ستانيس	مدفعية	نقيب
مورا	مشاة	نقيب
موفق القدسي	مشاة	نقيب
هرانت	قائد الدرك العام	نقيب
عصام مريود	طيران	نقيب
بكري قوطرش	آمر فوج كردي مدرع	نقيب
مصطفى حمدون	مدرعات	ملازم
محمود الصلح	الشرطة العسكرية	ملازم

المصدر: من إعداد الباحث.

أو "جماعات الإطلاق" (كما يسمّيها ستيفن هابر)[59] داخل الجيش لمساندتهم في العمل العسكري، وهو ما اتضح في الانقلاب الثاني الذي قاده العقيد سامي الحناوي بعد أربعة شهور من الانقلاب الأول، كما يبين ذلك الجدول (2)، واتضح أيضًا بصورة أكبر مع الانقلاب الثالث بقيادة العقيد أديب الشيشكلي بعد أربعة شهور تقريبًا من الانقلاب الثاني، كما هو موضح في الجدول (3). لذلك أخذ الارتكاز على سلاح المدرعات في سورية منحًى تصاعديًا مع كل حالة انقلابية، كما يظهر كميًا في الجدول (4).

59 Steven Haber, "Authoritarian Government," in: Donald Wittman & Barry Weingast (eds.), *The Oxford Handbook of Political Economy* (New York: Oxford University Press, 2006), pp. 693-707.

الجدول (2)

المشاركون في انقلاب سامي الحناوي

الأسماء	الوحدات العسكرية	الرتب العسكرية
سامي الحناوي	مدرعات	عقيد
علم الدين القواص	مدرعات	عقيد
عزت الطباع	إشارة	عقيد
بهيج كلاس	مدفعية	عقيد
محمود البنيان	آمر لواء البادية	عقيد
أمين أبو عساف	مدرعات	مقدم
أكرم عكر	آمر سلاح إشارة	مقدم
فريد سيد درويش	مدرعات	نقيب
خالد جادا	مدرعات	نقيب
خالد عيسى	مدرعات	نقيب
عبد الغني دهمان	مدرعات	نقيب
يعقوب مبيض	مدرعات	نقيب
محمد معروف	مشاة	نقيب
حسن الحكيم	مدفعية	نقيب
محمد دياب	الشعبة الثالثة	نقيب
عصام مريود	طيران	نقيب
محمود الرفاعي	طيران	نقيب
زياد الأتاسي	حامية دمشق	نقيب
توفيق الشوفي	حامية دمشق	نقيب
ضامن قنطار	مدرعات	ملازم أول
أنطون خوري	مدرعات	ملازم أول
فضل الله أبو منصور	مدرعات	ملازم أول
محمود عيسى	حرس جمهوري	ملازم
عبدو جحت	حرس جمهوري	ملازم
جميل أسعد	مدرعات	ملازم
مصطفى كمال المالكي	مدرعات	ملازم
نور الدين كنج	مدرعات	ملازم
بكري الزُبري	مدرعات	ملازم
مصطفى الدواليبي	مدرعات	ملازم
غالب شقفة	مدرعات	ملازم
حسين حدة	مدرعات	ملازم
حسين الحكيم	مدرعات	ملازم

المصدر: المرجع نفسه.

الجدول (3)
المشاركون في انقلاب أديب الشيشكلي

الأسماء	الوحدات العسكرية	الرتب العسكرية
فوزي سلو	-	عميد
أنور بنود	معاون رئيس الأركان	عميد
أديب الشيشكلي	مدرعات	عقيد
أمين أبو عساف	مدرعات	عقيد
عزيز عبد الكريم	مدفعية	عقيد
محمود بنيان	آمر لواء البادية	عقيد
توفيق نظام الدين	الأركان العامة	عقيد
شوكت شقير	الأركان العامة	عقيد
سعيد حبي	طيران	عقيد
إبراهيم الحسيني	المكتب الثاني	مقدم
علاء الدين ستاسيس	مدرعات	مقدم
بكري قوطرش	مدرعات	مقدم
عبد الغني قنوت	مدرعات	نقيب
فضل الله أبو منصور	مدرعات	نقيب
عبد الحق شحادة	مدرعات	نقيب
حسين زعينه	مدرعات	نقيب
أليكسي شبيعة	مدرعات	ملازم
حسين حدة	مدرعات	ملازم
مصطفى الدواليبي	مدرعات	ملازم
بكري الزُبري	مدرعات	ملازم
غالب شقفة	مدرعات	ملازم

المصدر: المرجع نفسه.

من الملاحظ أن البيانات الكمية الـواردة في الجدول (4) تُظهر مدى أهمية سلاح المدرعات، مقارنةً بباقي أسلحة الجيش السوري الأخرى، لكن الكمي في حاجة إلى بعض التفصيل لتتضح معالم ما تدّعيه الدراسة من تصاعد أهمية هذا السلاح مع كل عمل انقلابي. ربما نلاحظ هبوطًا في عدد المشاركين من سلاح المدرعات في حالة انقلاب الشيشكلي من الناحية الكمية، مقارنةً بانقلاب الحناوي، إلّا أنّ المنفذ الحقيقي، بل الوحيد، للانقلاب الثالث في سورية هو المدرعات، فحركة الشيشكلي التي أُطلق عليها "حركة العقداء" لم تضم في ساعة التنفيذ سوى ضابطين برتبة عقيد (الشيشكلي وأمين أبو عساف)، أما الضباط الآخرون من الأسلحة المنوعة، كالمدفعية والطيران وقادة الشُعَب[60]، فقد انسحبوا قبل موعد الانقلاب بيوم واحد بعد اجتماعهم الأخير في منزل العقيد عزيز عبد الكريم الذي انسحب هو الأخير، كما تبعه العقيد توفيق نظام الدين. في الحقيقة،

60 تقسيم الشُعَب في الجيش السوري وفق تقسيمة النمط الفرنسي: الشعبة الأولى شؤون الضباط، والشعبة الثانية الاستخبارات، والشعبة الثالثة العمليات، والشعبة الرابعة تمويل الجيش.

الجدول (4)

الخلفيات العسكرية للمشاركين في انقلابات سورية في عام 1949

الانقلاب	حسني الزعيم	سامي الحناوي	أديب الشيشكلي
عدد المشاركين	32 ضابطًا	32 ضابطًا	21 ضابطًا
الوحدات العسكرية	10 مدرعات 5 مدفعية 2 طيران 1 الشعبة الثالثة 1 اللواء الثالث 2 مشاة 3 فرسان 2 شرطة عسكرية	19 مدرعة 2 مدفعية 2 طيران 1 الشعبة الثالثة 1 لواء البادية 1 مشاة 2 إشارة 2 حرس جمهوري	13 مدرعة 1 مدفعية 1 طيران 1 الشعبة الثانية 1 لواء البادية 3 أركان عامة
الرتبة العسكرية	1 عميد 5 عقداء 16 مقدمًا 8 نقباء 2 ملازمان	5 عقداء 2 مقدمان 12 نقيبًا 3 ملازمين أول 10 ملازمين	2 عميدان 7 عقداء 3 مقدمين 4 نقباء 5 ملازمين

المصدر: المرجع نفسه[I].

I اعتمد الباحث على نحو رئيس على مذكرات الضباط المشاركين في الانقلابات، لتحصيل أسماء الضباط برتبهم ووحداتهم، مع الأخذ في الحسبان قرب كل ضابط من الانقلاب، فمثلًا نعثر على ضابط يقول إن هذا الضابط كان برتبة مقدم، لكن ضابطًا آخر مقرّبًا من الضابط المراد البحث عنه يقول إنه كان نقيبًا، وهكذا على طول البحث نجد الاختلاف، سواء في أسماء المشاركين أم في وحداتهم وأسلحتهم، لذلك اعتمدنا في التحصيل والتثبت من كل معلومة على درجة قرب كل ضابط من الآخر، فهو إما رفيق السلاح أو الدورة أو من المدينة نفسها أو الطائفة، أو ضابط يخدم في المكتب الثاني. نورد عناوين المذكرات والكتب التي اعتمدنا عليها بالترتيب بحسب درجة الأهمية، ينظر: أحمد عبد الكريم، **حصاد سنين خصبة وثمار مرة** (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، 1994)، ص 131-138، 170-171؛ أمين أبو عساف، **ذكرياتي** (دمشق: [د. ن.]، 1996)، ص 214، 230-243، 272-287؛ العشي، ص 127-132، 141-143، 147-152؛ فضل الله أبو منصور، **أعاصير دمشق** (دمشق: [د. ن.]، 1959)، ص 60-66، 84-86؛ محمد معروف، **أيام عشتها 1949-1969: الانقلابات العسكرية وأسرارها في سورية** (بيروت: دار رياض الريس، 2003)، ص 101-106، 119-129؛ مصطفى رام حمداني، **شاهد على أحداث سورية وعربية وأسرار الانفصال** (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1999)، ص 93-94؛ مطيع السمان، **وطن وعسكر: قبل أن تدفن الحقيقة في التراب: مذكرات 28 أيلول 1961-8 آذار 1963** (دمشق: بيسان للنشر والتوزيع، 1995)، ص 319-320، 330-331، 337-338؛ سيد عبد العال، **الانقلابات العسكرية في سوريا 1949-1954** (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2007)، ص 9، 37، 317، 389؛ بشير زين العابدين، **الجيش والسياسة في سورية 1918-2000: دراسة نقدية** (لندن: دار الجابية، 2008)، ص 148-149، 175، 187.

إنّ ما عجل في الأمر هو إدراك الحناوي أهمية هذا السلاح، فأصدر أوامره بنقل آمر فوج المدرعات الأول أمين أبو عساف إلى قوات لواء البادية، وتعيين المقدم صبحي عبارة آمرًا للفوج.

في ظلّ تغير الظروف وانسحاب القطاعات والرتب الأخرى من المشاركة قبل ساعة الصفر، تراجع الشيشكلي عن القيام بحركته، لكن ضغط أبو عساف وإصراره الشديد على أن في إمكان سلاح المدرعات القيام بالمهمة وحده، أدى بالشيشكلي إلى الموافقة على التنفيذ[61]. لم يمضِ على إصدار قرار نقل آمر سلاح المدرعات فجر اليوم التالي، إلّا وقد أطاح سلاح المدرعات جميع ضباطه بقائد الانقلاب الثاني سامي الحناوي نتيجة قراره.

تسلّم الشيشكلي حكم سورية في 19 كانون الأول/ ديسمبر 1949 بدعوى "حماية النظام الجمهوري" و"الاستقلال" من مخاطر "المشروع الاستعماري"[62]، أي مناهضةً لمشروع الهلال الخصيب الذي كانت تقف خلفه بريطانيا المتنازعة مع الولايات المتحدة على نفوذها في

61 أبو عساف، ص 276-282.

62 محمد جمال باروت، **التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص 620.

سورية. جاء انقلاب الحناوي عبر دعم من حزب الشعب المتحالف مع العراق الهاشمي، الذي بدوره هو الآخر كان مواليًا للإنكليز[63].

4. أديب الشيشكلي: من تثبيت نظام الحكم إلى السقوط

استمر حكم الشيشكلي حتى 24 شباط/ فبراير 1954، أي أكثر من أربعة أعوام، قضى معظمها يتخفّى خلف واجهات مدنية كالرئيس هاشم الأتاسي، وواجهات عسكرية كزميله فوزي سلو[64]، وأسس حزبًا حاكمًا سمّاه "حركة التحرير العربي" في 6 نيسان/ أبريل 1952، بحثًا عن قاعدة شعبية وإضفاءً للشرعية على حكمه بعد قراره بحل الأحزاب كلها[65].

طوال عقدين من زمن الانقلابات في سورية، لم تستقر أمور حكم الدولة لضابطٍ، كما استقرت لأديب الشيشكلي، على الرغم من الاستقطابات الإقليمية - الدولية وصراعات المحاور والظروف المحلية التي شهدتها مرحلته، فما الذي سمح باستتباب الحكم لهذا الضابط المسيّس من زاوية الجيش؟ اتضح أن العمل الانقلابي في سورية في حاجة قبل أي شيء آخر إلى ضمان مشاركة ضباط من سلاح المدرعات. أدرك الشيشكلي أن ضباطًا كأمين أبو عساف وفضل الله أبو منصور هم أحد ركائز الحركات الانقلابية الأولى في سورية، فسرعان ما استبعدهما من وحداتهم، وشكل نوعًا من التنظيم العسكري الخاص به داخل الجيش، وقدّم إلى صفوف القوات المسلحة وسلاح المدرعات ضباطًا شبابًا ربطته بهم علاقات قوية، واتسعت قاعدة الشيشكلي بصورة كبيرة لاهتمامه بالضباط الذين يحملون رتب مقدم ونقيب وملازم، وهو ما يعود لفطنته أن هذه الرتب الثلاث هي عادة ما تكون على رأس كتائب وسرايا الجيش، وهي في حالة تعامل يومي لا ينفك عن جنود السلاح وضباط صفه وهمومهم، أي إنّهم أكثر الضباط سيطرةً على القوات في الثكنات.

بحسب مذكرات السياسيين والعسكريين، تعامل الشيشكلي مع هؤلاء الضباط بعلاقة الأب مع أبنائه. في المقابل ضمِن ولاء بعض الرتب العليا من دون ثقة أو احترام لأحد منها[66]. ونظرًا إلى عدم ثقته بأحد، فقد وجّه اهتمام استخبارات الجيش والشرطة العسكرية نحو الجيش وضباطه، ووضع جزءًا كبيرًا منهم تحت المراقبة والمتابعة الدائمة، فرزحت الموازنات تحت وطأة العجز[67]، حيث وصلت ميزانية الاستخبارات إلى 20 مليون ليرة سورية سنويًا[68] لضمان سير عمل المكتب الثاني بدقة و"احترافية" استخباراتية. لكن في ظل هذه الظروف العسكرية والأمنية الصارمة كلها، كيف سقطت دكتاتورية الشيشكلي الذي كثيرًا ما رأينا هيمنته على السلاح الذي يقود الانقلابات في سورية؟

يذكر العديد من الباحثين والسياسيين السوريين مجموعة عوامل سياسية وعسكرية ساهمت مجتمعةً في الانقلاب على حكم الشيشكلي. أولًا، إلغاؤه امتيازات شيوخ القبائل والشخصيات الوطنية، ما دفع قائد الثورة السورية الكبرى والبعثي سلطان باشا الأطرش إلى الانخراط في نشاط معارض نتيجة لهذه السياسات، فأمر الشيشكلي باعتقاله[69] ما تسبب في اندلاع مظاهرات احتجاجية في السويداء وإطلاق للنار، ونشوب مواجهات دامية راح ضحيتها مئات السوريين الدروز[70].

ثانيًا، اعتماد الشيشكلي سياسة التصفية والاستبعاد ضد ضباط الجيش الشركس والمسيحيين والعلويين. ففي النصف الثاني من عام 1953 لاحظ الشيشكلي تحوّلًا عميقًا في بنية الجيش السوري، وهي هيمنة الأقليات الكردية والشركسية والعلوية والمسيحية على قاعدة الجيش الأساسية، فأصدر قرارًا بتشكيل "كوتا" لكل أقلية، سواء إثنية أم طائفية، حيث تتناسب مع طبيعة الأكثرية العربية السُنّية في سورية[71]. وأحال عشرات الضباط من الأقليات إلى التقاعد، ونقل آخرين إلى مناطق خارج العاصمة دمشق. أي شهد عهده عمليات "تسنين" للجيش وتعريب له وتفكيك لنفوذ الأقليات الكردية والمسيحية فيه[72].

ثالثًا، تسبب إلغاء الشيشكلي للحياة السياسية وقمعه الصحافة وإهماله قضية الفلاحين التي وعد بحلّها، في إكسابه عداوة صديقه الحميم والقديم أكرم الحوراني[73]. نفى الشيشكلي قادة البعث العربي الاشتراكي خارج سورية، إضافةً إلى خلافاته مع حزب الشعب ومع هاشم الأتاسي. وساهم ذلك كله في توحيد جهود هذه الأطراف

---

63 عبد الله حنا، **صفحات من تاريخ الأحزاب السياسية في سورية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 138-142.

64 حازم صاغية، **البعث السوري: تاريخ موجز** (بيروت: دار الساقي، 2012)، ص 23.

65 فرزات، ص 245-246.

66 حول علاقة الشيشكلي بالجيش وضباطه، ينظر: أكرم الحوراني، **مذكرات أكرم الحوراني**، 4 مج (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000)، ج 2، ص 1514-1515.

67 المرجع نفسه، ص 1544.

68 أبو عساف، ص 419.

69 بشارة، **سورية**، ص 278.

70 الحوراني، ج 2، ص 1597-1599.

71 "أحمد أبو صالح: شاهد على العصر، الجزء الأول"، برنامج شاهد على العصر، **الجزيرة**، 2013/8/18، شوهد في 2020/11/20، في: https://bit.ly/3aDNoKD (الدقائق 31-33).

72 بشارة، **سورية**، ص 280.

73 ديب، ص 131.

السياسية والعسكرية للانقلاب عليه، بينما اتخذ صراعه مع الدروز الوجه الأعنف، لأنه تحول إلى تدخل عسكري.

عسكريًا، كانت إطاحة الشيشكلي مفاجئة حتى لمن قادوا الانقلاب ضده في 24 شباط/ فبراير 1954. عادةً ما يُقاد الانقلاب في مرحلة الانقلابات التقليدية من العاصمة متبوعًا بالبيان رقم واحد. لكن هذه المرة، جاء الاستثناء من مدينة حلب، فقد سقط الشيشكلي تحت وطأة حصار مديني على المدينة الدمشقية عاصمة الإذاعة الشهيرة ومبنى الأركان والبرلمان والمؤسسات السيادية للدولة السورية؛ ذلك أن الشيشكلي لم يدرك عملية التحول الدائرة في سورية في أثناء حكمه، فأصبح في الإمكان القيام بانقلاب من مدينة أخرى، بعدما حصّن حكمه في دمشق وهيمن على قواتها. كانت مدينة حلب عاصمة الصراعات الاقتصادية والسياسية للبرجوازية السورية، لكنها أصبحت مدينة الصراعات العسكرية أيضًا، بعد تأسيس إذاعة حلب[74]، وارتفاع مستوى جاهزية اللواء الثاني في المدينة[75]؛ إذ لا يمكن أن ينجح العمل الانقلابي من دون إذاعة يطلق منها بيان الانقلاب. هذا إذا ما فهمنا أن الانقلابات هي "لعبة تنسيق"، كما يطلق عليها الباحث الأميركي ناونيهال سينغ في كتابه المهم حول الانقلابات العسكرية **الاستيلاء على السلطة**: "ولأن تعميم المعرفة المشتركة يمكن أن يؤدي إلى سلوك جمعي، فامتلاك وسائل خلق هذه المعرفة مهم جدًا لأولئك الذين في السلطة، أو لأولئك الذين يتطلّعون إلى الوصول إليها [...] فخلق حقيقة ما، يتم بشكل مشترك من خلال الاستيلاء على منشأة الراديو أو محطة البث الأساسية والقيام بإعلان للاعبين الآخرين. والعكس بالعكس، فلإفشال محاولة انقلاب، تحتاج الحكومة إلى أن تفعل العكس: إما أن تتمسك بمنشآت البث أولًا، أو تُبعد الانقلابيين عنها، ثم تقوم بإعلان حكومي لخلق التوقعات بالبقاء المستمر للحكومة وفشل الانقلابيين. إن الضباط الذين قابلتهم أكدوا أن السيطرة على إذاعة الراديو ضروري دائمًا، لنجاح الانقلاب، ولولاه فإن مصير الانقلاب الفشل"[76].

ثالثًا: ديمقراطية أم تعددية سياسية؟ وصراعات الجيش 1954–1958

1. أجنحة الجيش السوري والرفاقية العسكرية

ما إن سقط نظام الشيشكلي حتى قاد ضباط الانقلاب والسياسيون السوريون عمليات تطهير في مؤسسات الدولة من بقايا النظام القديم. جرت إحالة عشرات الموظفين من الوزارات والعاملين في القطاع الشُرطي إلى التقاعد، وتمّ إطلاق سراح المعتقلين السياسيين من السجون، وإعادة الضباط الذين سرّحهم الشيشكلي، وعلى رأسهم العقيد عدنان المالكي إلى الجيش. لكن المؤسسة العسكرية التي هي أساس حكم النظام السابق، لم تجرِ فيها عمليات تطهير من ضباط الشيشكلي خشية الوقوع في صدام مع ضباطه الذين يتمتعون بقوة عسكرية كافية لانقلاب مضاد يستعيدون فيه نظام الحكم من جديد، فهم يتمركزون في وحدات سلاح المدرعات، كما يوضح الجدول (5).

تُعتبر الكتلة التحريرية، أو ضباط الدورة الواحدة، قوى محايدة أيديولوجيًا، لكنها شكّلت كتلة متماسكة عسكريًا، لها بعض الانحيازات السياسية في وجه الأجنحة العسكرية الأيديولوجية الأخرى التي نشأت في الجيش، وهي كتلة تقوم على أخوية السلاح ورفقة الدورة الواحدة، ما يشكّل الولاء إلى هذه الرفاقية، وهو الأساس الذي قامت عليه كتلة ضباط الشيشكلي. الرفقة في الجيش تنشأ مصادفة، فهي ليست اختيارًا شخصيًا، بل هم الأشخاص الذين يختارهم النظام لاصطفاف بعضهم إلى جانب بعض وفق الترتيب الألفبائي لأسمائهم أو توزّعهم الجغرافي. هي تصادفية لكنها قوية، فيها يقضي الجندي وقته كله مع رفاقه، اليقظة والنوم والطعام والتدريب والمهمات العسكرية في الحرب والسلم، أو كما يصفها صموئيل هاينز بطريقة معبّرة: "إنهم يقضون من الوقت مع بعضهم أكثر مما يقضي معظم الأزواج الوقت مع زوجاتهم"[77]. ومن خلال هذه التجربة العسكرية، تتكوّن جماعة حميمية تؤسس لشعور الزمالة، وتدفع إلى رفض الزعيم المطلق فيها، فهم متساوون في ما بينهم[78].

---

74 أُنشئت محطة إذاعة حلب في عام 1949، وأخذت تتطور معدّاتها وتستقر في مكان إقامة ثابت، ويذيع صيتها بين الجمهور السوري والعربي، حتى أصبح في الإمكان أن تكون هدفًا للانقلابيين كما تبين لاحقًا مع محاولات جاسم علوان بعد الانفصال عن مصر، وقيام حركات تمرد بداية حكم البعث بعد عام 1963. حول تأسيس محطة إذاعة حلب، ينظر: إذاعة حلب، **التاريخ السوري المعاصر**، شوهد في 2021/2/14، في: http://bitly.ws/bSgH

75 اجتمع أبناء اللاذقية ودير الزور وحلب وحمص وسويداء ودرعا على إسقاط الشيشكلي، فحاصروا العاصمة دمشق الموالية للشيشكلي، وكانت قادرةً على المواجهة بحكم ما تمتلك من القوة، لكن الشيشكلي آثر ترك دمشق حقنًا لدماء الشعب والجيش السوري، وعلى الرغم من ذلك، فإن ضباط الشيشكلي، مثل عبد الحق شحادة وحسين حدة، استمروا في مقاومة الانقلابيين من خلال إطلاق بيانات عسكرية من إذاعة دمشق حتى 27 شباط/ فبراير، وانتهى الأمر بمساومات قادها رئيس الأركان شوكت شقير. ينظر: أبو منصور، ص 127؛ أبو عساف، ص 401-410؛ مصطفى حمدون، برنامج زيارة خاصة، **الجزيرة نت**، 2003/8/29، شوهد في 2021/1/16، في: https://bit.ly/3pWZ5R7؛ خالد العظم، **مذكرات خالد العظم**، 3 مج، ط 3 (بيروت: الدار المتحدة للنشر، 1973)، ج 2، ص 282؛ "أمين الحافظ: شاهد على العصر، الجزء الثالث"، برنامج شاهد على العصر، **قناة الجزيرة**، 2001/4/9، شوهد في 2020/11/18، في: https://bit.ly/3skjWzc (الدقائق 22-26).

76 Naunihal Singh, *Seizing Power: The Strategic Logic of Military Coups* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2014), pp. 18-19.

77 صموئيل هاينز، **حكاية الجند: الحرب والذاكرة والمذكرات في القرن العشرين**، ترجمة فلاح رحيم (النجف: جامعة الكوفة، 2016)، ص 28-29.

78 بشارة، **الجيش والسياسة**، ص 81-82.

الجدول (5)
الكتلة التحريرية (ضباط الشيشكلي)

الأسماء	الوحدات العسكرية	الرتب العسكرية
أحمد عبد الكريم	مدرعات-اللواء الأول في قطنا	مقدم
جادو عزالدين	مدرعات-اللواء الأول في قطنا	مقدم
أحمد حنيدي	مدرعات- اللواء الأول في قطنا	مقدم
أمين النفوري	مدرعات-اللواء الأول في قطنا	مقدم
حسين حدة	مدرعات- اللواء الأول في قطنا	مقدم
بكري الزوبري	مدرعات-اللواء الأول في قطنا	مقدم
عبد الله جسومة	إشارة- اللواء الأول في قطنا	مقدم
غالب شقفة	اللواء الأول في قطنا	مقدم
مطيع الجابي	اللواء الأول في قطنا	مقدم
طعمة العودة الله	مدرعات-لواء درعا	مقدم
زياد الحريري	قوات برية	مقدم
عبد الحميد السرّاج	الشعبة الثانية	مقدم
أكرم ديري	قائد الشرطة العسكرية	مقدم
جودت الأتاسي	ملحق عسكري في الأردن	مقدم

المصدر: المرجع نفسه.

الجدول (6)
كتلة ضباط البعث والاشتراكيين

الأسماء	الوحدات العسكرية	الرتب العسكرية
مصطفى حمدون	مدرعات	مقدم
عبد الغني قنوت	مدرعات	مقدم
بشير صادق	الشعبة الثالثة	مقدم
جمال الصوفي	قوات بحرية	مقدم
أمين الحافظ	مدرعات-الكلية العسكرية	مقدم
عبد الغني عياش	مدرعات	نقيب
محمد عمران	مدرعات	نقيب
صلاح جديد	إشارة	نقيب
حسن حدة	مدرعات	نقيب

المصدر: المرجع نفسه.

الجدول (7)

كتلة الضباط الشيوعيين

الأسماء	الوحدات العسكرية	الرتب العسكرية
عفيف البزري	آمر لواء مدرعات	عقيد

المصدر: المرجع نفسه.

الجدول (8)

كتلة ضباط الحزب القومي السوري الاجتماعي

الأسماء	الوحدات العسكرية	الرتب العسكرية
غسان جديد	قائد الكلية العسكرية	مقدم
بديع مخلوف	-	نقيب
يونس عبد الرحيم	الشرطة العسكرية	نقيب

المصدر: المرجع نفسه.

في المقابل كان ضباط الدورة الواحدة في حاجة إلى شرعية أخرى عدا شرعية القوة للوجود في المؤسسة والحضور بين السياسيين بعدما ساءت سمعة بعضهم. كانت تلك اللحظة المناسبة لهؤلاء الضباط، في انقسام الجيش على نفسه وتبلور ست كتل، غالبيتها ذات حضور عسكري قوي في وحدات الجيش. ويقوم أساس هذا التكتل على الولاءات والانتماءات الأيديولوجية العقائدية والجهوية. كما يبرز في حالة الولاءات الأيديولوجية العقائدية، مثل: كتلة ضباط البعث والاشتراكيين (الجدول (6))، وكتلة الشيوعيين (الجدول (7))، وكتلة الضباط القوميين السوريين الاجتماعيين (الجدول (8)).

لكن، كان وزن كتلة الشيوعيين والحزب القومي السوري كبيرًا في الجيش، خاصة الأخيرة، على صعيد ضباط الصف والجنود، بينما الضباط الكبار كانوا أقلّ عددًا.

كتلة الضباط الشوام الذين يتمركزن في قطاعات ووحدات أساسية في الجيش، كما هو مبين في الجدول (9) - نسمّي كتلة الضباط الشوام بكتلة تجاوزًا - لا تتشابه مع الكتل الأخرى من حيث تنظيم نفسها ومرجعيتها، وإذا ما أردنا الدقة، يمكن وصفها بتجمع الضباط الشوام، فهم يجتمعون للحفاظ على مصالحهم وقوتهم أكثر من السعي للانقلاب كالأجنحة الأخرى.

وتشكلت كتلة يمكن تسميتها "ضباط ضد المالكي والبعث"، لكنها سرعان ما تشكلت وسرعان ما جرى اجتثاثها (ينظر الجدول (10)).

انضوت الكتل الست تحت لواء ثلاثة تحالفات، جمعتهم، على الرغم من التباين الشاسع داخل التحالف الواحد. لكن الأبرز هي ثلاث كتل مركزية: الأولى بقيادة العقيد عدنان المالكي (مدير الشعبة الأولى)، وضمت الضباط الشوام والضباط الشيشكليين والضباط الشيوعيين. والثانية بقيادة العميد ورئيس الأركان شوكت شقير، وجمعت بعض الضباط من الحزب القومي السوري الاجتماعي وضباط ضد المالكي والبعث. والكتلة الثالثة هي كتلة الضباط البعثيين والاشتراكيين. وأخذت هذه الأخيرة في التوسع والتبلور بسرعة فائقة، وباتت إحدى الكتل البارزة في الصراع العسكري والسياسي السوري، وتحديدًا بعدما جرت عمليات التخلص من الكتل، واحدة وراء الأخرى.

سياسيًا، "انسحب" الجيش من السياسة وأعاد الحكم إلى القوى المدنية، وتشكلت حكومات عدة، ودارت انتخابات برلمانية عدة، وجولات رئاسية خلال هذه المرحلة "الديمقراطية"، لكن الافتراض أن

الجدول (9)

كتلة الضباط الشوام

الأسماء	الوحدات العسكرية	الرتب العسكرية
سهيل العشي	آمر اللواء الثالث في الجنوب	عقيد
توفيق شاتيلا	آمر لواء في قطنا	عقيد
عبد الغني دهمان	مدرعات	عقيد
حيدر الكزبري	حرس البادية	عقيد
هشام سمان	مشاة	عقيد
طالب الداغستاني	آمر لواء في القنيطرة	عقيد
هشام عبد ربه	مشاة-آلي	مقدم
عمر قباني	قائد حامية حوران	مقدم
حسن العابد	مدرب في الكلية العسكرية	مقدم
مهيب الهندي	مدرب في الكلية العسكرية	نقيب

المصدر: المرجع نفسه.

الجدول (10)

ضباط ضد المالكي والبعث

الأسماء	الوحدات العسكرية	الرتب العسكرية
سلمان الشعراني	آمر لواء الجبهة	عقيد
عزالدين الشوفي	مدرعات	مقدم
جميل زهر الدين	آمر فوج جسر بنات يعقوب	مقدم
حسين الحكيم	مشاة	مقدم
عبد المسيح داغوم	-	مقدم

المصدر: المرجع نفسه[II].

II اعتمد الباحث في جمع المعطيات الخاصة بالضباط وتنقيحها على المنهجية نفسها المتّبعة في الجدول (4). وتجدر الملاحظة أن الوحدات العسكرية التي استند إليها البحث في التصنيف هي الفترات الأطول التي قضاها الضباط خلال المرحلة المدروسة، فالعديد منهم خلال العام ونصف العام ما قبل الوحدة، تبدلت أماكن خدمته ووحداته وفق إطار الحفاظ على قوته في الجيش. والجدير بالذكر كذلك، أن الأسماء الواردة في الجداول عن هذه الكتل ليست محصورة في تلك الأسماء فحسب، فالتأكيد أن لهذه التكتلات قواعدها من ضباط صف وجنود داخل الجيش، لكن هذه هي الأسماء كلها التي تمكّنّا من جمعها عن كل تكتل، ما يعني أنها الأسماء الأبرز فحسب. ينظر: سامي جمعة، **أوراق من دفتر الوطن** 1946-1966 (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 2000)، ص 159، 171، 186؛ العشي، ص 173-177، 181-184؛ أحمد راتب عرموش، **رحلة العمر: القرية الشامية - الحياة العسكرية - الوحدة والانفصال** (بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2013)، ص 115-117، 128، 135، 145؛ عبد الكريم، ص 200؛ عبد العال، ص 399؛ زين العابدين، ص 263-264؛ حسين الحكيم، **لعنة الانقلابات من 1946 إلى 1966** (دمشق: مطبعة الداودي، 1999)، ص 171؛ فوزي شعيب، **شاهد من المخابرات السورية** 1955-1968 (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 2008)، ص 69-70؛ بطاطو، ص 298؛ "أمين الحافظ: شاهد على العصر، الجزء الرابع"، شاهد على العصر، **الجزيرة**، 2001/4/16، شوهد في 2020/11/18، في: https://bit.ly/3kKzFF9 (الدقائق 12-14).

الجدول (11)

الانقلابات والمحاولات الانقلابية في سورية: من حسني الزعيم إلى حافظ الأسد

	الانقلاب	التاريخ	النتيجة
1	حسني الزعيم	30 آذار/ مارس 1949	ناجح
2	سامي الحناوي	14 آب/ أغسطس 1949	ناجح
3	أديب الشيشكلي	19 كانون الأول/ ديسمبر 1949	ناجح
4	أديب الشيشكلي 2	19 تشرين الثاني/ نوفمبر 1951	ناجح
5	أنور بنود	28 كانون الأول/ ديسمبر 1952	فاشل
6	فيصل الأتاسي - مصطفى حمدون	24 شباط/ فبراير 1954	ناجح
7	غسان جديد ومحمد معروف	31 تشرين الأول/ أكتوبر 1956	فاشل
8	مجلس القيادة - الوحدة مع مصر	12 كانون الثاني/ يناير 1958	ناجح
9	عبد الكريم النحلاوي	28 أيلول/ سبتمبر 1961	ناجح
10	عبد الكريم النحلاوي 2	28 آذار/ مارس 1962	ناجح
11	جاسم علوان	31 آذار/ مارس 1962	فاشل
12	زياد الحريري - البعث والناصريون	8 آذار/ مارس 1963	ناجح
13	جاسم علوان 2	18 تموز/ يوليو 1963	فاشل
14	صلاح جديد	23 شباط/ فبراير 1966	ناجح
15	سليم الحاطوم	8 أيلول/ سبتمبر 1966	فاشل
16	حافظ الأسد	16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1970	ناجح

المصدر: المرجع نفسه.

جيشًا مسيّسًا ومعتادًا حركة التغيير في الجيش والانقلاب على زمرته العسكرية في كل مرة، يمكن أن يعود إلى الثكنة من تلقاء نفسه، من دون محاولات إصلاح العلاقات المدنية - العسكرية، افتراضٌ تحيط به الشكوك، فهذا الانسحاب جاء ضمن مراحل انقلابية، وليس ضمن عملية تطور طبيعي أو نضال إلى "الديمقراطية"، كما يوضح الجدول (11) الذي يبيّن عدد المحاولات الانقلابية الناجحة/ الفاشلة في التاريخ السوري.

كما تبيّن مذكرات الضباط والسياسيين السوريين ورواياتهم عن تلك المرحلة عدد المحاولات من الكتل العسكرية للسيطرة على الجيش، وهي المرحلة التي احتاجتها تلك الأجنحة/ الكتل لتقوية نفسها وشبكة علاقاتها لتتفوّق إحداها على الأخرى وتتمكن من الانقضاض على السلطة. في المقابل تعرّض السياسيون للتهديد والابتزاز من الجيش مرات عدة، فهي على الصعيد السياسي كانت مرحلة قائمة ضمن الحالة الثانية للتصنيف الرباعي للعلاقات المدنية - العسكرية عند فاينر، أي يستعمل الضباط التهديد بالعقوبات أو ابتزاز المدنيين لتحقيق غاياتهم[79]. بل وصل حد غرق الضباط في السياسة وشؤون الدولة إلى أن يطلب رئيس الجمهورية إذنهم للسماح بدخول طبيبه الخاص إلى الأراضي السورية[80]. وبناء عليه، يمكن القول إلى حد بعيد

79 Gerassimos Karabelias, "Civil-Military Relations: A Comparative Analysis of the Role of the Military in the Political Transformation of Post-War Turkey and Greece: 1980-1995," Final Report Submitted to North Atlantic Treaty Organization (NATO), June 1998, p. 10.

80 العظم، مج 2، ص 272.

إن وجود المدنيين في الحيّز السياسي في المدة 1954 و1958 هو غطاء لصراعات الضباط الداخلية على وحدات الجيش القوية.

2. صراعات الضباط (1954–1958)

على المستوى العسكري، وفي نهاية الربع الأخير من عام 1954 سرعان ما حاول الضباط المعادون للبعث والمالكي، وبإيعاز من شوكت شقير، تنفيذ انقلاب يتخلّصون فيه من عدنان المالكي، لكن شقير أدرك في اللحظة الأخيرة أن المحاولة ستكون على حساب التخلص منه أيضًا إذا ما ثبت تورّطه، فأصدر قرارًا بإحالتهم إلى التقاعد. فرئيس الأركان شوكت شقير لا يمتلك قدرة على تحريك القوات المنضمة إلى تكتله؛ ذلك أن قوته كانت مستمدة من قدرته على إدارة التوازن داخل المؤسسة العسكرية، كما ظهر في استقالته مجبرًا، إما إجراء التنقلات داخل الجيش وإما الاستقالة في تموز/ يوليو 1956[81].

في نيسان/ أبريل 1955 اغتيل العقيد عدنان المالكي أحد أبرز ضباط الجيش والأكثر إجماعًا عليهم، واتُّهم القوميون السوريون باغتياله، وفي أثرها تخلص الجيش من كتلة أخرى. احتاج الضباط إلى موافقة الرئيس الأتاسي على بعض القرارات لاجتثاث أي وجود للقوميين السوريين في البلاد، لكن بسبب رفضه، وإصرارهم الشديد، أصيب بجلطة جزئية في الوجه، استمرت أسبوعين حتى عاد إلى طبيعته[82]. وانحلّ عقد الكتل المنضمّة إلى تجمع المالكي في أثر حادثة اغتياله، وضعفت كتلة الضباط الشوام بعد أن خسرت المالكي (أبرز شخصياتها الجامعة). لكن مجيء الرئيس شكري القوتلي لاحقًا من القاهرة، ساهم في إعادة ترميم مكانتها.

أدّى العقيد عدنان المالكي دورًا "ديمقراطيًا" عبر تحجيم القوى العسكرية الساعية للانقلاب، من خلال صوغ تفاهمات دائمة بين أجنحة الجيش المتصارعة، نظرًا إلى ما تمتع به من سلطة وشعبية في أوساط الضباط البعثيين والشوام والشيشكليين. لكن لم يكتب لتجربته النجاح في أثر حادثة اغتياله. فكما أشار خوان لينز، ما إن يظهر ضابط يتمتع بمهارات سياسية واضحة وإمكانات كاريزمية، حتى يتم رفضه من القوات المسلحة أو أحد أجنحتها[83].

ثمة أحداث عصفت بسورية في عام 1956 دفعت بجيشها وسياسييها إلى الانحياز إلى الموجة اليسارية والاصطفاف إلى جانب جمال عبد الناصر، فقد عُقدت في شباط/ فبراير صفقات أسلحة مع الاتحاد السوفياتي التي سعى لها خالد العظم، والتضامن السياسي والعسكري السوري مع جمال عبد الناصر بعد العدوان الثلاثي على مصر في أيلول/ سبتمبر. كما ساهم حشد القوات التركية والعراقية على حدود سورية وموقف الرئيس المصري منها إلى اتساع شعبية الأخير داخل شرائح المجتمع السوري وتعزيز مكانة الضباط البعثيين واليساريين في الجيش[84]. وفي تشرين الأول/ أكتوبر شاع نبأ محاولة انقلابية يقودها الضباط المسرّحون: محمد صفا وغسان جديد ومحمد معروف، بدعم عراقي سخي ماليًا[85]، وبغطاء دولي بريطاني، وكان المكتب الثاني بقيادة المقدم عبد الحميد السراج قد كشف عن هذه المحاولة الفاشلة قبل تنفيذها بأيام. لكن هذه المحاولة الانقلابية، مع عدم وقوعها، لا تنفي ما يذهب إليه البحث من كون الجيش قد انحسرت فيه الظاهرة الانقلابية، كما لم تقُد إلى تغيير في معادلة التوازن العسكري داخل الجيش، فالأطراف الساعية للانقلاب كان قد جرى اجتثاثها سابقًا، سياسيًا وعسكريًا من مؤسسات الدولة، حين وقع اغتيال المالكي.

في صيف العام نفسه الملتهب سياسيًا، كان قد وقع صدام مخفف في الجيش الذي تسعى أجنحته قدر المستطاع لتقوية حضورها في المؤسسة العسكرية عبر الهيمنة على سلاح المدرعات في قطنا، وتحديدًا "الكتيبة 31 - مدرّع، فهي الكتيبة المؤهلة أكثر من غيرها للقيام بانقلاب عسكري"[86]. ظهر النزاع على اللواء وكتيبته في محاولة تعيين أمين الحافظ الطلاب البعثيين جميعهم من خريجي آخر دورة في الكلية العسكرية في حمص في عام 1956 في سلاح المدرعات تحديدًا، لكن مساومة بين الأجنحة حالت دون تعيين لائحته، وجمعت اللائحة الجديدة جميع أطراف الصراع[87].

في آذار/ مارس 1957، دفع الرئيس القوتلي رئيس الأركان توفيق نظام الدين إلى إصدار قرار بإحالة مئة ضابط بعثي إلى التقاعد، وإيفاد بعضهم ملحقين عسكريين إلى السفارات السورية في الخارج، وإبعاد بعضهم الآخر عن ألوية المدرعات والشُعَب، لمصلحة تقوية كتلة الضباط الشوام في الجيش، تسرّبت الأخبار من رئاسة الأركان إلى

81 جمعة، ص 198.

82 عبد الله فكري الخاني، **سورية بين الديمقراطية والحكم الفردي** (بيروت: دار النفائس، 2004)، ص 134-135.

83 Juan Linz, "The Future of an Authoritarian Situation or the Institutionalization of an Authoritarian Regime: The Case of Brazil," in: Alfred Stepan (ed.), *Authoritarian Brazil: Origins, Policies, and Future* (New Haven/ London: Yale University press, 1973), p. 241.

84 خلود الزغير، **سورية الدولة والهوية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 67-68.

85 معروف، ص 227-251.

86 كما أوضح أحمد عرموش، الضابط الذي عمل في الكتيبة ذاتها، ينظر: عرموش، ص 143.

87 "عبد الكريم النحلاوي: شاهد على العصر، الجزء الثانية"، برنامج شاهد على العصر، **الجزيرة**، 2010/1/31، شوهد في 2020/11/15، في: https://bit.ly/3uNgS0v (الدقائق 19-20).

الضباط البعثيين، فرأى أكرم الحوراني ومصطفى حمدون[88] ضرورة القيام بعصيان عسكري في الثكنات، فأعلنت كتلة الضباط البعثيين عصيانًا عسكريًا في معسكرات قطنا في 17 آذار/ مارس 1957[89]. في المقابل، قامت التكتلات الأخرى في معسكرات القابون بإعلان عصيان عسكري ردًا على ضباط البعث. وجد الجميع نفسه أمام حالة صدام مع الطرف الآخر، يمكن أن تقود إلى نزاع مسلّح بين قطاعات الجيش، وفي أثرها اتفق الضباط الكبار، بعد مساومات بينهم، على إنهاء حالة العصيان في المعسكرات وتهدئة القوات[90].

يشكل العصيان العسكري بديلًا للقوات المسلحة من حركة الانقلاب العسكري، فالأول يكون بقصد التهديد بعمل مسلح خارج الثكنات، ويقوم به بعض وحدات الجيش عمدًا تحديًا للسلطات المدنية أو العسكرية العليا من أجل الوصول إلى هدف معلن لتحقيق مطالب محددة فحسب؛ أي هو أحد أشكال الاحتجاج التي يلجأ إليها بعض قطاعات الجيش أو كلّها. وفي حالة عصيان قطنا والقابون، وهو أول عصيان عسكري في تاريخ الجيش السوري، مثّل العصيان نموذجًا في حالة التوازن العسكري لكتل الجيش، فهي هنا أدركت أن تكافؤ القوى العسكرية وعدم رجحان كفة القوة لأحد الأطراف، منع أي كتلة من اتخاذ خطوة الانقلاب.

أجمع الضباط على تعيين عفيف البزري رئيسًا للأركان بدلًا من توفيق نظام الدين، وتشكل "مجلس قيادة" مكوّن من 23 ضابطًا، مثّل القوى المتنافرة، أي الضباط الشوام والكتلة الاشتراكية والتحريرية (ضباط الشيشكلي) لتنوب عن باقي قطاعات الجيش وتحلّ الأزمات في ما بينها، وتشكّل مجلس آخر من خمسة ضباط[91]، ينوب عن مجلس القيادة أيضًا، حيث تبقى هي حلقة الوصل مع السياسيين والحكومة، وتحضر اجتماعات مجلس الوزراء على نحو دوري[92].

في آب/ أغسطس 1957، أدت قضية المؤامرة الأمريكية (قادها هيوارد ستون Howard Stone الملحق العسكري في السفارة الأمريكية في دمشق) بالتواصل غير المثبت مع كتلة الضباط الشوام[93] إلى إطاحتهم من ضمن الكتل المتصارعة. تحوّل ضباط الشيشكلي من تحالفهم شبه العلني مع الضباط الشوام، إلى طرف عبد الحميد السرّاج وعفيف البزري، على الرغم من أن الأول ضمن مجموعتهم في الأساس، فإنه لم يكن في طرف أحد في الواقع.

كان السرّاج ضابط سلاح الإشارة والحائز دورة الأركان في باريس، أحد الأقطاب المركزية في حالة الصراع المؤسسي، فكل طرف يعتقد أن السرّاج إلى جانبه، فقبل اغتيال المالكي كان السرّاج يحظى بثقة الأول، ويعتقد البعث أن السرّاج أحد مناصريه، كما اعتقد شوكت شقير ذلك أيضًا، في حين كان هو حلقة الوصل بين الأطراف ونقطة التوازن العسكري والحزبي، ولا يقيم أي ثقة أو اصطفاف بين الأجنحة. واشتدت أهمية السرّاج مع تسلّمه رئاسة الشعبة الثانية في منتصف عام 1955، وبعدما قام قائد سلاح الإشارة في اللواء الأول بإعادة تأسيس الشعبة من جديد، ثمّ أظهر قوة الجهاز ومدى جاهزيته للتصدي للتدخلات الخارجية، بعد كشفه "مؤامرات" دولية عدة على سورية. مع السرّاج خرجت الشعبة الثانية من طورها الجنيني، لتتحوّل إلى أحد الأجهزة المؤسساتية المفصلية التي غيّرت وجه سورية في القرن الماضي، فانتشار الباعة (الجواسيس) على الطرق، وتحوّلهم إلى ظاهرة في شارع أبو رمانة وشارع السفارات، بدأ من سعي السرّاج لجعل استخبارات الجيش نقطة التحول التي تغيّر سورية[94].

3. انقلابات اللاعنف

إن أكثر ما يميّز الانقلابات العسكرية السورية منذ انقلاب حسني الزعيم في عام 1949 حتى انقلاب الانفصال على الوحدة في عام 1961 هو اللاعنف، ففي أثناء تخطيط الضباط للعمل الانقلابي، كانت إحدى القضايا المتفق عليها هي عدم إراقة الدماء والمحاولة قدر الإمكان الابتعاد عن استخدام السلاح وتجنّب وقوع ضحايا. ربما كانت حادثة قتل قائد الانقلاب الأول حسني الزعيم ومحسن البرازي استثناءً ضمن هذه المرحلة، إلّا أن تسليم حسني الزعيم أنطون سعادة زعيم الحزب

88 نقل السفير المصري في دمشق محمود رياض رسالة عبد الناصر إلى الضباط البعثيين، باستمرار العصيان، وبحسب مقابلة أجراها الباحث إبراهيم البيضاني مع مصطفى حمدون في عام 1988، فإنّ عبد الناصر كان يرغب في استمرار العصيان وتحويله إلى انقلاب عسكري إن أمكن. ينظر: إبراهيم سعيد البيضاني، **السياسة الأمريكية تجاه سوريا** (عمّان: أمواج للنشر والتوزيع، 2015)، ص 311.

89 الحوراني، ج 3، ص 2353-2358.

90 العظم، مج 2، ص 500-503.

91 هم: عفيف البزري (رئيس الأركان)، وأمين النفوري (معاون رئيس الأركان)، وعبد الحميد السراج (مدير الشعبة الثانية)، وأحمد عبد الكريم (مدير الشعبة الثالثة)، ومصطفى حمدون (مدير الشعبة الأولى).

92 العظم، ج 2، ص 500-503؛ جمعة، ص 244-253.

93 لم يضف البحث هذه المؤامرة/ "المحاولة الانقلابية" ضمن جدول الانقلابات في سورية، سواء الناجحة أم الفاشلة. فهي استندت إلى شائعة وزعم من استخبارات الجيش وغير مثبتة في محاضر التحقيق أو في مذكرات الضباط الشوام.

94 أدى صلاح جديد لاحقًا المهمة نفسها مع انقلاب آذار/ مارس 1963، وهو ضابط إشارة وحاصل على دورة أركان في باريس أيضًا. واللافت أن الضابطين اللذين غيّرا خريطة السياسة والعسكر والاجتماع في سورية في القرن المنصرم كانا من سلاح الإشارة ذاته، وكلاهما تلقى تدريبه في باريس. ولعله من اللافت أيضًا أنهما يشتركان في الصفات الشخصية نفسها التي تميزهم من باقي الضباط: قلة الكلام وكثرة الاستماع، والهدوء الشديد، حيث لا يمكن الغضب أن يظهر عليهما وعدم الثقة بالناس وشدة الانضباط عسكريًا. عن الصفات الشخصية للسراج، مع ضرورة الانتباه إلى العلاقة العائلية العدائية التي تجمعها، ينظر: غسان زكريا، **السلطان الأحمر** (لندن: أرادوس للنشر، 1991)، ص 23.

القومي السوري الاجتماعي إلى الحكومة اللبنانية، دفع بالعديد من الضباط إلى الشعور بالنقمة والرغبة في الانتقام منه. على الرغم من ذلك، اتفق ضباط الحناوي على عدم قتل أي عسكري أو مدني في أثناء السيطرة على المراكز السيادية إذا ما واجهوا اشتباكًا مع قوات موالية للنظام. فانقلاب الحناوي مخطط له جيدًا، وعادةً ما يكون "أحد أهداف الانقلابات المخططة بشكل جيد هو التقليل من فرص إراقة الدماء، أو حدوث ما هو أسوأ: اندلاع نزاع مسلح"[95].

في ظل هذا الاتفاق، نتساءل عن قوة الضابط عصام مريود وجرأته في إقدامه على خطوة قتل الزعيم والبرازي على أوتوستراد المزة. إن خشية سامي الحناوي من احتمالية فشل انقلابه دفعته إلى البحث

> إن أكثر ما يميّز الانقلابات العسكرية السورية منذ انقلاب حسني الزعيم في عام 1949 حتى انقلاب الانفصال على الوحدة في عام 1961 هو اللاعنف، ففي أثناء تخطيط الضباط للعمل الانقلابي، كانت إحدى القضايا المتفق عليها هي عدم إراقة الدماء والمحاولة قدر الإمكان الابتعاد عن استخدام السلاح وتجنّب وقوع ضحايا

عن حبل نجاة له إذا ما فشلت المحاولة الانقلابية المدعومة من العراق، والضابط الوحيد الذي يمتلك القدرة على ضمان حياة الحناوي، هو ضابط سلاح الجو عصام مريود، فقد جرى الاتفاق مع الأخير على أنه إذا ما فشل الانقلاب فإنّه سينقل الحناوي إلى العراق.

بينما يمكن اعتبار المحاولات الانقلابية الأخرى انقلابات بيضاء، ولهذا نرى حرص الضباط في مرحلة صراعهم بعد إطاحة الشيشكلي وحتى الوحدة مع مصر، فإن إحجامهم عن تنفيذ انقلاب يهيمن على الجيش ويستأصل الكتل الأخرى، لتميز انقلاباتهم باللاعنف، أي خشية وقوع انقلاب تراق فيه الكثير من دماء الضباط السوريين، ما دفعهم طوال الوقت إلى البحث عن آليات أخرى لتحقيق رغبات كل جناح في الجيش: 1- فتارةً يشكّل مجلس عسكري تدار فيه الصراعات؛ 2- وتارة يعلن العصيان في المعسكرات؛ 3- وتارة تُلصق اتهامات بمحاولات انقلابية ببعض الكتل لنزع الشرعية عنها. في نهاية المطاف كانت الوحدة مع مصر عبد الناصر هي الحلّ الوحيد أمام الضباط للتخلص من حالة الانشطار في الجيش، في سياق تفكك النخب السياسية والاجتماعية السورية[96]، ولحماية سورية من تهديدات جيرانها، ومن صراعات الأحلاف (حلف بغداد).

بناء عليه، فإن فرض رغبة كل جناح في الجيش على أرض الواقع تعود إلى قوة حضوره في وحدات سلاح المدرعات. لذلك كانت الحياة السياسية السورية في هذه المرحلة التي تميزت بالتعددية السياسية وليس بالديمقراطية، نتاج تكافؤ قوة الأجنحة العسكرية المتصارعة في الجيش السوري. هذا التكافؤ الحذر والمؤقت إلى حين إيجاد فرصة للانقلاب على الأطراف كلها.

يصف وزير الدفاع خالد العظم تلك المرحلة: "غير أن الوجه البراق من الزهو والخيلاء، كان يرافقه شبح مخيف وكئيب؛ إذ إن الحسد والغيرة بين الضباط ازدادا بنسبة ازدياد سلطاتهم، فأصبح واحدهم ينوي الشر بزميله، وأصبحت هذه الكتلة تتآمر على تلك للإيقاع بها. وبدأ سلاح التسريح من الجيش يتساقط على رؤوس الضباط بالتتابع. فكلما قويت كتلة، سلّطت على الأخرى رشاش الإحالة على التقاعد، هذا إذا ترفعت عن استعمال سلاح الغدر والقتل والسجن والإبعاد إلى خارج البلاد"[97].

4. الجيش والحياة السياسية

أمّا على صعيد التدخل في السياسة وبعض آليات الممارسة الديمقراطية التي مورست في حينه، كالعملية الانتخابية الرئاسية والبرلمانية وتشكيل الوزارات، حيث تشكّلت سبع حكومات خلال أربعة أعوام، ولم تكمل أي منها عشرة شهور، فقد أدى غضب الجيش وضغطه في الكواليس إلى إسقاط حكومة صبري العسلي الأولى بعد الانقلاب، نتيجة إقصاء البعث عن الحكومة، تحت الضغط العراقي[98]، ولم يكتب للوزارة أن تستمر أكثر من 100 يوم.

مع تشكيل الحكومة الثانية برئاسة سعيد الغزي، تقرّر إجراء الانتخابات النيابية في 20 آب/ أغسطس 1954، لكن إعلان حزب الشعب مقاطعته للعملية الانتخابية بسبب تدخل الجيش في السياسة ومحاولته التأثير في النتائج، أدى إلى تأجيل موعد الانتخابات

95 باربرا غيديس [وآخرون]، **كيف تعمل الدكتاتوريات**، ترجمة عبد الرحمن عياش (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2021)، ص 71.

96 بشارة، **سورية**، ص 281.

97 العظم، مج 2، ص 272.

98 أمل بشور، **دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر** (طرابلس (لبنان): جروس برس، 2003)، ص 276-277.

إلى 24 أيلول/ سبتمبر[99]. وفي حقيقة الأمر كان الجيش، ممثلًا برئيس الأركان شوكت شقير، قد أنذر القوى المدنية بأن صعود حزب الشعب ووصوله إلى القصر الجمهوري لاحقًا سيؤدي إلى انقلاب عسكري[100]. أمّا الحكومة الثالثة برئاسة فارس الخوري (29 تشرين الأول/ أكتوبر 1954 - 13 شباط/ فبراير 1955)، فقد سقطت في أثر تحالف ثلاثي بين العظم والعسلي والحوراني في محاولة لإنقاذ سورية من حلف بغداد. وترددت أصداء شائعات بأن حكومة الخوري لو لم تستقل لحاول العقيد عدنان المالكي إطاحتها عن طريق انقلاب عسكري، يسانده البعث[101]. وبهذا تمهدت الطريق لميثاق الدفاع المشترك مع مصر والمملكة العربية السعودية في عام 1955، وفي هذه الأثناء كانت قد تشكلت حكومة جديدة برئاسة العسلي من جديد (13 شباط/ فبراير 1955 - 13 أيلول/ سبتمبر 1955)، لكن في أوائل نيسان/ أبريل 1955 وقبل توقيع الميثاق وبعد عودة السياسيين السوريين من القاهرة، اقترح جناح شقير، وضمنيًا السرّاج، "أن يحل العسلي مجلس النواب ويحكم بمساندة الجيش، وقيل إن الاقتراح اقترن بالتهديد بالقيام بانقلاب ما لم يوقع الميثاق فورًا"[102]، لكنّ توقيع الاتفاق رفع هذا الاقتراح عن الطاولة.

لم يتوقف تأثير الجيش في إطاحة حكومة تلو الأخرى؛ إذ وصل الجيش إلى مرحلة تهديد النواب في أثناء الانتخابات الرئاسية في آب/ أغسطس 1955 مع عودة الرئيس القوتلي من القاهرة، وكان منافسه خالد العظم الملقب بـ "البرجوازي الأحمر". فقد أبدت الولايات المتحدة انزعاجها من دخول العظم في انتخابات الرئاسة، فسحب الجيش دعمه للعظم. وبحسب الأخير، تبيّن أن العديد من النواب تعرضوا لتهديد من ضباط الجيش إذا انتخبوهم[103].

اشتد تدخل الجيش في الصلاحيات والحياة السياسية في سياق الوحدة مع مصر، فبعد اجتماع الضباط ليلة 12 كانون الثاني/ يناير 1958، سافر 13 ضابطًا إلى القاهرة لإنجاز الوحدة مع عبد الناصر، وفي تلك الليلة كتب جاسم علوان محضر الجلسة قبل السفر لإرسالها صباحًا مع العقيد أمين النفوري إلى الحكومة لإعلامهم بالأمر، فقرأ وزير الدفاع خالد العظم المحضر، فتساءل: "أما كان الأجدر بكم إخبار الحكومة؟ إن هذا انقلاب على الحكم"، فرد النفوري: "هذا ما حصل"، وبعد العودة من القاهرة، وجّهَ العظم السؤال نفسه إلى رئيس الأركان عفيف البزري، فأجاب الأخير: "لم يكن لدينا وقت لإخبار الحكومة"[104]. بينما وصف الرئيس شكري القوتلي حركة البزري والضباط، بالانقلاب العسكري أمام السفير المصري في دمشق محمود رياض[105].

اشترط عبد الناصر على الضباط حلّ الأحزاب السياسية كلها وانسحاب الجيش السوري من السياسة. ووافق الضباط على كل ما جاء به عبد الناصر، ولما بدا للجيش أن بعض السياسيين غير متفق على صيغة الوحدة التي تنازل فيها الضباط عن سيادة سورية واستقلاليتها، طرح الضباط أمام السياسيين أحد خيارين: أحدهما يؤدي إلى المزة [السجن السياسي المعروف]؛ والآخر يؤدي إلى القاهرة. واختارت الحكومة طريق القاهرة[106]. يدفع شعور الترفع والفخر المتزايد من الضباط بالانتماء إلى القوات المسلحة أو "الحرفة المختارة" إلى عقدة استعلاء وازدراء للمدنيين وشعور بالوصاية عليهم[107]. فيصف وزير الدفاع آنذاك خالد العظم مرارة ذلك اليوم: "ساقونا - أي الضباط - كالنعاج وأركبونا طائرة حملتنا كلنا - رئيس الجمهورية والوزراء - إلى القاهرة، حيث عقدت الاجتماعات في قصر القبة، انتهت بتوقيع صك الوحدة"[108] في 21 شباط/ فبراير 1958. وبذلك أتمّ الجيش الانقلاب الثامن في تاريخ سورية الحديث[109]، ففِعْلُ التهديد الذي قاده ضباط الجيش أدى في نهاية الأمر إلى إطاحة الحكومة الشرعية مرغمةً. فالانقلاب لا يَشترط نزول الجيش إلى الشارع، إنما يمكن أن يكون انقلابًا خلف الكواليس.

لم تجد الكتل مخرجًا من الأزمة وحالة عدم الاستقرار من خلال انتصار إحداها على الأخرى، أو تنفيذها انقلابًا داخل الجيش، بل عبر انقلاب على السياسيين حين عقدوا أمر الوحدة مع عبد الناصر، لكن هذا في البداية، فقد جرى لاحقًا أن فكك عبد الناصر هذه الكتل وحلّها عبر تشتيتها في المناصب السياسية والبعثات الخارجية، أو إيفادهم إلى القطاع الجنوبي، أي مصر، لأداء وظيفتهم العسكرية، ما يعني أن كتل الجيش أجرت انقلابًا على نفسها في نهاية المطاف.

99 سيل، ص 227-230.

100 العظم، مج 2، ص 285.

101 سيل، ص 313.

102 توري، ص 297.

103 العظم، مج 2، ص 288.

104 المرجع نفسه، ج 3، ص 123-127.

105 عضيد دويشة، **القومية العربية في القرن العشرين**، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة (الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2019)، ص 165.

106 يوجين روجان، **العرب: من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر**، ترجمة محمد إبراهيم الجندي (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2011)، ص 393-394.

107 ووديـز، ص 43؛ عزمي بشارة، **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 115.

108 العظم، ج 3، ص 198.

109 يصف الباحث ما وقع بانقلاب دون تحفظ. ونتبنى تاريخ الانقلاب بيوم زيارة الضباط القاهرة وليس يوم اتفاق الوحدة.

وبناء عليه، حسم الصراع الداخلي من خلال عامل خارجي وليس من الجيش نفسه.

خاتمة

بعد دراسة الجيش السوري في المدة 1949-1958؛ أي من انقلاب حسني الزعيم إلى اندماج الكيان السوري بمصر في "الجمهورية العربية المتحدة"، من خلال التركيز المكثف على المدة 1954-1958، وبعد النظر في الأدبيات التي سعت لتحليل أسباب انحسار ظاهرة

"بعد دراسة الجيش السوري في المدة 1949–1958؛ أي من انقلاب حسني الزعيم إلى اندماج الكيان السوري بمصر في "الجمهورية العربية المتحدة"، من خلال التركيز المكثف على المدة 1954–1958، وبعد النظر في الأدبيات التي سعت لتحليل أسباب انحسار ظاهرة الانقلابات العسكرية في المشرق العربي، وعلى وجه التحديد الحالة السورية، توصّلت الدراسة إلى قصور هذه المسببات في فهم انحسار الانقلابات في سورية في المدة 1954–1958، ولا يُختزَل القصور على هذه الأدبيات فحسب، بل اختزال أكبر وأعمق في دراسات التاريخ السوري"

الانقلابات العسكرية في المشرق العربي، وعلى وجه التحديد الحالة السورية، توصّلت الدراسة إلى قصور هذه المسببات في فهم انحسار الانقلابات في سورية في المدة 1954-1958، ولا يُختزَل القصور على هذه الأدبيات فحسب، بل اختزال أكبر وأعمق في دراسات التاريخ السوري. وثمة فجوة أخرى وقعت فيها هذه الأدبيات مجمعةً - التاريخ السوري، والعلاقات المدنية - العسكرية - هي انعدام الانشغال بالمؤسسة العسكرية وعلاقات القوة القائمة داخلها من خلال البحث في الوحدات العسكرية، أي الخلفيات العسكرية للضباط، وجاء ذلك على حساب الانشغال بتحليل الخلفيات السوسيولوجية، وهو ما هدف إليه البحث، عبر سد الفجوات النظرية والتاريخية لهذه الأدبيات بالتركيز على العلاقات السببية بين العامل الذي طُرح في الدراسة، وقرارات الفاعلين العسكريين والسياسيين في التاريخ السوري. تتوصّل الدراسة إلى مجموعة من النتائج:

1. حذّرت الدراسة من إطلاق وصف "نظام سياسي ديمقراطي" على تجربة سورية في الخمسينيات، نتيجة ازدواجية الجيش والسياسة، واختراق العسكر الحياة السياسية طوال تلك المرحلة، وهي ازدواجية تخلّ بشرط النظام الديمقراطي الذي تتبناه الدراسة مفهوميًا. في المقابل تميزت هذه المرحلة بالتنوع السياسي والحزبي والفكري والحريات المدنية وحرية الصحافة والعمل النقابي المنظم. ومن ثم، هي مرحلة يمكن وصفها باعتبارها تعددية سياسية.
2. من خلال البحث في السلاح الذي يقود العمليات الانقلابية في سورية قبل مرحلة عام 1954، وخلفيات كتل الضباط في المرحلة التعددية، يمكن القول إن حقبة التعددية السياسية بعد سقوط نظام الشيشكلي كانت نتيجة تكافؤ الأجنحة السياسية العسكرية في سلاح المدرعات، وهو السلاح الذي حمل لواء التنفيذ والتخطيط لانقلابات سورية كلها في المدة 1949-1961. واستكمالًا لحالة التوازن العسكري، ساهم اتّسام انقلابات الجيش باللاعنف مساهمةً فعالة في كبح جماح الكتل والأجنحة المتصارعة في الجيش عن الانجرار إلى حركات انقلابية يمكن أن تقود إلى سفك دماء جنود وضباط، بل ومدنيين سوريين. بناءً عليه، يمكن التوصل إلى أنّ التوازن العسكري بين أجنحة الجيش السياسية في القوات المسلحة يفسر انحسار الانقلابات خلال المدة 1954-1958، كما يمكن اعتباره إحدى آليات الوقاية من الانقلابات العسكرية. لكنها آلية غير مخلوقة عبر سلطة أعلى، أو آلية مصممة من فاعل محدد، بل هي آلية طفت على السطح نتيجة ظروفها السياسية وحالة الانشطار الحاد في صفوف الجيش والسياسيين في العلن.
3. تتيح فكرة التوازن العسكري إمكان التفكير في إصلاح المؤسسة العسكرية ديمقراطيًا من داخلها، أي حلولًا قد تقع من المؤسسة العسكرية ذاتها وليس من المؤسسة المدنية فحسب، لكن ذلك لا يعني أن ما وقع في سورية آنذاك يفيد بأن البحث يراه حلًا، لكنه يفتح احتمالية البحث في حالات تاريخية أو راهنة عن آليات للدمقرطة من داخل القوات المسلحة.
4. بسبب حالة التوازن العسكري بين قطاعات الجيش المتنافرة على أسس أيديولوجية وتحالفات سياسية، واتسام انقلابات سورية ما قبل عام 1963 باللاعنف، حُيّدَ العامل الخارجي، أو بالأحرى بات تأثير وجود دعم دولي لانقلاب عسكري ما هامشيًا.

ففي سورية سعت العراق ومصر وبريطانيا والولايات المتحدة وأطـراف دولية وإقليمية أخـرى، لدعم انقلابات عسكرية لمصلحتها مرات عدة، إلّا أنها فشلت. الحركات الانقلابية هي عمليات ميدانية ومسرح عمليات في آن. ومن هنا، إذا ما أراد أي طرف دولي أو إقليمي دعم أحد الأجنحة ضد أخرى للقيام بعمل انقلابي، فكيف سينجح إذا كان الطرف المدعوم بغطاء دولي وبدعم مالي، متساويًا مع خصومه على الأرض في القوة العسكرية، ولا يملك القوة الكافية التي تمكّنه من إنجاح العمل الانقلابي؟ إن قوة الأطراف الخارجية البعيدة، لا تعادل أبدًا القوة المرئية والمحسوسة.

5. قدمت حالة التوازن العسكري نافذةً زمنية مكّنت القوى المدنية من ممارسة عملها السياسي في الدولة، وممارسة بعض مظاهر الديمقراطية الإجرائية، كالعملية الانتخابية البرلمانية والرئاسية، فأيّ عرف أو مؤسسة الديمقراطية محكومة بالوقت[110] الذي يجعلها تتطور من خلاله. إلّا أن المدة 1954-1958 كشفت عن خلل بنيوي في المنظومة السياسية السورية في حينه، هو ضعف النخب السياسية وتشتتها، وانحرافها عن تثبيت التجربة التعددية، وتحويلها إلى ديمقراطية حقيقية؛ إذ كان في إمكان القوى السياسية، الأيديولوجية تحديدًا - إذا ما افترضنا أن لها أجندة ديمقراطية بالفعل - أن تحجّم دور الجيش وتدخّله في الحياة السياسية، فلهذه القوى التي امتلكت أجنحة وازنة عسكريًا سلطة الأيديولوجيا على الضباط الموالين لها داخل القوات المسلحة، فالأيديولوجيا حالة تتملك الفرد وتجعله منصاعًا إلى القادة، سواء أكانوا عسكريين أم مدنيين، لكن المهم هو أنها أيديولوجيا تحوز معتنقها. فمثلًا، كان في إمكان السياسي الشعبوي والدينامي[111] أكرم الحوراني، الذي تمتع بسلطة الخطابة والكاريزما على قواعده الشعبية في صفوف المدنيين والعسكريين وتفرد بتوريطه للجيش في السياسة، لو كان ديمقراطيًا أن يساهم في إصلاح العلاقات المدنية - العسكرية، ويرسخ تجربة سورية التعددية. فالزعيم وصاحب الكاريزما يمكنه إعادة تعريف المعايير، وتغيير قواعد اللعبة دومًا، ولا يمكن من هم أدنى منه في تسلسل القيادة ممارسة السلطة إلا بادعاء الامتثال لمعاييره[112]. وكذلك العقيد عدنان المالكي أدّى دورًا "ديمقراطيًا" خلال فترة قصيرة من الزمن، لكنه سرعان ما اغتيل. بناء عليه، يقدم التوازن وصراع الأجنحة السياسية في الجيش مرحلة زمنية، أي فرصة سياسية، تمكّن من إصلاح المؤسسة العسكرية ديمقراطيًا واستدامة مرحلة التعددية السياسية، لكنها مشروطة بتوافر نخب سياسية ديمقراطية.

6. يولّد صراع الأجنحة حالة من فقدان السيادة. فقد رأى عدد من الباحثين[113] أن علة العلل في سورية الاستقلال هي تشتت "هوية" التيارات السياسية نتيجة اختلاف المرجعية الفكرية (المشروعة)، واختلاطها بعلة العشائرية والإثنية على أرض الواقع، وتعارض مصالح البرجوازيات الجديدة الحاكمة والبرجوازية ذات الأصول الإقطاعية، ولا يستثنى من ذلك صراع الكتلتين الدمشقية والحلبية، ومن ثمّ، أبقت مسألة الهوية والانتماء الوطني موضوعًا للانقسام والتناحر بين الأحزاب السياسية، وهو ما لم يسمح بالاتفاق على قواعد إدارة العملية السياسية، وبناء مؤسسات دولة جميع المواطنين. ما يُبنى على هذا الرأي كذلك، أن هذا التناحر والتنافر السياسي الذي كان الجيش جزءًا رئيسًا فيه هو ما جعل سورية في مرحلة تعدديتها السياسية تفقد ركنًا أساسيًا من أركان الدولة، ألا هو سيادة قرارها السياسي على الصعيدين المحلي والخارجي، على اعتبار أن مفهوم السيادة مفهوم شَرطي لتكون الدولة دولة. فقد خضعت سورية نتيجةً لهذه التحيزات والانتماءات (الطبيعية) لرغبات قوى إقليمية ودولية وتفضيلاتها، كما تبين في تشكّل الحكومة الأولى بعد سقوط الشيشكلي، والتي استُبعد منها البعث لتخوفات عراقية، كما سُحب تأييد الجيش لخالد العظم في الانتخابات الرئاسية نتيجة الانزعاج الأميركي من العظم إثر سعيه إلى توطيد العلاقات مع الاتحاد السوفياتي، وكذلك يدخل في الإطار ذاته الخضوع لشروط عبد الناصر من أجل الوحدة معها.

يأمل البحث في أن يشكل إضافة في دراسة التاريخ السوري الحديث ومقاربات العلاقات المدنية - العسكرية التي تبنى نظرياتها ومقاربتها الكلية على أبحاث ومقاربات دقيقة وجزئية، لتشكل في مجموعها قاعدة معرفية، بل سياسية، يمكن الساعين إلى بناء رقابة مدنية على القوات المسلحة في نظام ديمقراطي راسخ الاستفادة

110 جون كين، **حياة الديمقراطية وموتها**، ترجمة محمد العزير (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 15-16.

111 صاغية، **الانهيار المديد**، ص 125؛ ينظر في إحدى الدراسات المبكرة والمهمة عن نشوء الظاهرة الشعبوية في سورية: باروت، "حول الشعبوية 'الحورانية' في سوريا"، ص 81-98.

112 Claude Welch, "Two Strategies of Civilian Control of the Military: Theory and Cases from Developing Countries," in: Claude Welch (ed.), *Civilian Control of the Military Theory and Cases from Developing Countries* (New York: State University of New York Press, 1976), p. 141.

113 الزغير، ص 89-106؛ الأتاسي، **تطوّر المجتمع السوري**، ص 196-203.

منها[114]. كما أن النتائج التي توصل إليها، يمكن اختبارها على حالات تاريخية وربما راهنة كذلك، فيمكن أن تسهم في الكشف عن نتائج وعوامل أخرى تضاف إلى المقاربة والاستنتاجات النظرية نفسها التي سعت الدراسة لتوليدها. وكحالة تستحق النظر والدراسة من الباحثين العرب، هي الحالة التركية في مرحلتها الممتدة من عام 1986 التي بدأت فيها جماعات وتيارات سياسية/ دينية في الدخول إلى الكليات العسكرية والشُرطية التركية لتشكّل جناحًا موازيًا للتيار العلماني العامّ في القوات المسلحة[115]، حتى عام 2016 المرحلة التي فشل فيها الانقلاب نتيجة الصراعات الداخلية الدائرة في مؤسسات الدولة، العسكرية والأمنية والقضائية.

114 ماضي، ص 129.

115 Murat Aygen, "Türkiye ve Darbeler: 15 Temmuz Örneği," *Fırat Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi*, Cilt 28, Sayı 1 (Temmuz 2018), s. 243.

المراجع References

عربية

أبو عساف، أمين. **ذكرياتي**. دمشق: [د. ن.]، 1996.

أبو منصور، فضل الله. **أعاصير دمشق**. دمشق: [د. ن.]، 1959.

الأتاسي، كريم. **سوريا قوة الفكرة: المشروع الوطني والهندسات الدستورية للأنظمة السياسية**. ترجمة معين روميّة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022.

الأتاسي، نشوان. **تطور المجتمع السوري: 1831-2011**. بيروت: أطلس للنشر والترجمة، 2015.

أحمد، حسن الحاج علي. "القدرة على الاستدلال". **سياسات عربية**. العدد 41 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2019).

إذاعة حلب. **التاريخ السوري المعاصر**. في: http://bitly.ws/bSgH

الأيوبي، نزيه. **تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط**. ترجمة أمجد حسين. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010.

باراني، زولتان. **الجندي والدولة المتغيرة: بناء جيوش ديمقراطية في أفريقيا وآسيا وأوروبا والأميركتين**. ترجمة نبيل الخشن. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

باروت، محمد جمال. "حول الشعبوية "الحورانية" في سوريا". **الفكر الديمقراطي**. العدد 11 (1990).

________. **التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

بركات، حليم. **المجتمع العربي في القرن العشرين**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.

بشارة، عزمي. **سورية: درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

________. **في الثورة والقابلية للثورة**. ط 3. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

________. **الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية ونماذج عربية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

________. **الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

________. "الدولة والأمة ونظام الحكم: التداخل والتمايز". ورقة مقدمة في الدورة الثامنة لمؤتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية "الدولة العربية المعاصرة: التصور، النشأة، الأزمة". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. الدوحة. 2021/3/21.

بشور، أمل. **دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر**. طرابلس (لبنان): جروس برس، 2003.

بطاطو، حنا. **فلاحو سورية: أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأنًا وسياساتهم**. ترجمة عبد الله فاضل ورائد النقشبندي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

البيضاني، إبراهيم سعيد. **السياسة الأمريكية تجاه سوريا**. عمّان: أمواج للنشر والتوزيع، 2015.

توري، جوردن هـ. **السياسة السورية والعسكريون: 1945-1958**. ترجمة محمود فلاحة. ط 2. دمشق: دار الجماهير، 1969.

تيوريل، يان. **محدّدات التحول الديمقراطي: تفسير تغيّر أنظمة الحكم في العالم** (1972-2006). ترجمة خليل الحاج صالح. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

جمعة، سامي. **أوراق من دفتر الوطن** 1946-1966. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 2000.

حداد، غسان محمد رشاد. **من تاريخ سورية المعاصر**: 1946-1966. عمّان: مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، 2001.

الحكيم، حسين. **لعنة الانقلابات من 1946 إلى 1966**. دمشق: مطبعة الداودي، 1999.

حمداني، مصطفى رام. **شاهد على أحداث سورية وعربية وأسرار الانفصال**. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1999.

حنا، عبد الله. **صفحات من تاريخ الأحزاب السياسية في سورية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

الحوراني، أكرم. **مذكرات أكرم الحوراني**. 4 مج. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000.

الخاني، عبد الله فكري. **سورية بين الديمقراطية والحكم الفردي**. بيروت: دار النفائس، 2004.

الخوري، فؤاد إسحق. **العسكر والحكم في البلدان العربية**. بيروت: دار الساقي، 1990.

دويشة، عضيد. **القومية العربية في القرن العشرين**. ترجمة عبد الواحد لؤلؤة. الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2019.

ديب، كمال. **تاريخ سورية المعاصر: من الانتداب إلى صيف 2011**. ط 2. بيروت: دار النهار، 2012.

روجان، يوجين. **العرب: من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر**. ترجمة محمد إبراهيم الجندي. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2011.

الزغير، خلود. **سورية الدولة والهوية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

زكريا، غسان. **السلطان الأحمر**. لندن: أرادوس للنشر، 1991.

زين العابدين، بشير. **الجيش والسياسة في سورية 1918-2000: دراسة نقدية**. لندن: دار الجابية، 2008.

سكوكبول، ثيدا. **الدول والثورات الاجتماعية: دراسة مقارنة بين فرنسا وروسيا والصين**. ترجمة نبيل الخشن. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

سلامة، غسان. **المجتمع والدولة في المشرق العربي**. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

السمان، مطيع. **وطن وعسكر: قبل أن تدفن الحقيقة في التراب: مذكرات 28 أيلول 1961-8 آذار 1963**. دمشق: بيسان للنشر والتوزيع، 1995.

سيل، باتريك. **الصراع على سورية: دراسة في السياسة العربية بعد الحرب** (1945-1958). ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1986.

شعيب، فوزي. **شاهد من المخابرات السورية** 1955-1968. لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 2008.

شميت، كارل. **نظرية البارتيزان: استطراد حول مفهوم السياسي**. نقلته إلى العربية هبة شريف. القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2020.

صاغية، حازم. **البعث السوري: تاريخ موجز**. بيروت: دار الساقي، 2012.

________. **الانهيار المديد: الخلفية التاريخية لانتفاضات الشرق الأوسط العربي**. بيروت: دار الساقي، 2013.

صقال، فتح الله ميخائيل. **من ذكريات حكومة الزعيم حسني الزعيم: خواطر وآراء**. القاهرة: دار المعارف، 1951.

صولي، أدهم ورايموند هينبوش. "الدولة العربية: مقاربة سوسيولوجية تاريخية". **عمران**. مج 10، العدد 37 (صيف 2021).

عبد العال، سيد. **الانقلابات العسكرية في سوريا 1949-1954**. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2007.

عبد الكريم، أحمد. **حصاد سنين خصبة وثمار مرة**. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، 1994.

عبد الملك، أنور. **المجتمع المصري والجيش** (1952-1973). القاهرة: مركز المحروسة، 2005.

عرموش، أحمد راتب. **رحلة العمر: القرية الشامية - الحياة العسكرية - الوحدة والانفصال**. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.

العشي، محمد سهيل. **فجر الاستقلال في سورية: منعطف خطير في تاريخها**. ط 2. بيروت: دار النفائس، 2019.

العظم، خالد. **مذكرات خالد العظم**. 3 مج. ط 3. بيروت: الدار المتحدة للنشر، 1973.

غيديس، باربرا [وآخرون]. **كيف تعمل الدكتاتوريات**. ترجمة عبد الرحمن عياش. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2021.

فان دام، نيقولاوس. **الصراع على السلطة في سوريا: الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة 1961-1955**. ط 2. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995.

فرزات، محمد حرب. **الحياة الحزبية في سوريا**. ط 2. بيروت/ الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

فيبر، ماكس. **العلم والسياسة بوصفهما حرفة**. ترجمة جورج كتورة. تقديم رضوان السيد. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011.

كالهون، كريغ (محرر). **معجم العلوم الاجتماعية**. ترجمة معين رومية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

كوثراني، وجيه. **تاريخ التأريخ: اتجاهات - مدارس - مناهج**. ط 3. الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

الكيلاني، شمس الدين. **مدخل في الحياة السياسية السورية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

الكيلاني، هيثم. **الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية-الإسرائيلية: 1948-1988**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

كين، جون. **حياة الديمقراطية وموتها**. ترجمة محمد العزير. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

ماضي، عبد الفتاح. **الديمقراطية والبندقية: العلاقات المدنية - العسكرية وسياسات تحديث القوات المسلحة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

معروف، محمد. **أيام عشتها 1949-1969: الانقلابات العسكرية وأسرارها في سورية**. بيروت: دار رياض الريس، 2003.

النقيب، خلدون. **الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر**. ط 3. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.

هاينز، صموئيل. **حكاية الجند: الحرب والذاكرة والمذكرات في القرن العشرين**. ترجمة فلاح رحيم. النجف: جامعة الكوفة، 2016.

ووديز، جاك. **الجيوش والسياسة**. ترجمة عبد الحميد عبد الله. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1982.

أجنبية

Aguero, Felipe. *Soldiers, Civilians and Democracy:* Post-franco *in Comparative Perspective*. Baltimore; London: The Johns Hopkins University Press, 1995.

Aygen, Murat. "Türkiye ve Darbeler: 15 Temmuz Örneği." *Fırat Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi*. Cilt 28, Sayı 1 (Temmuz 2018).

Batatu, Hanna. "Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for Its Dominance." *Middle East Journal*. vol. 35, no. 3 (Summer 1981).

Belkin, Aaron & Evan Schofer. "Coup Risk, Counterbalancing, and International Conflict." *Security Studies*. vol. 14, no. 1 (January 2005).

________. *Military Conflict: Essays in the Institutional Analysis of War and Peace*. Beverly Hills, Calif: Sage Publications, 1975.

Karabelias, Gerassimos. "Civil-Military Relations: A Comparative Analysis of the Role of the Military in the Political Transformation of Post-War Turkey and Greece: 1980-1995." Final Report Submitted to North Atlantic Treaty Organization (NATO), June 1998.

Linz, Juan J. *Breakdown of Democratic Regimes: Crisis, Breakdown and Reequilibration*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1978.

Makara, Michael. "Coup-Proofing, Military Defection, and the Arab Spring." *Democracy and Security*. vol. 9, no. 4 (September 2013).

Pollack, Kenneth et al. (eds.). *The Arab Awakening: America and the Transformation of the Middle* East. Washington, DC: Brookings Institution, 2011.

Quinlivan, James. "Coup-Proofing: Its Practice and Consequences in the Middle East." *International Security*. vol. 24, no. 2 (Fall 1999).

Serra, Narcis. *The Military Transition: Democratic Reform of the Armed Forces*. Peter Bush (Trans.). Cambridge/ New York: Cambridge University Press, 2010.

Singh, Naunihal. *Seizing Power: The Strategic Logic of Military Coups*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2014.

Solomon, Christopher. *In Search of Greater Syria: The History and Politics of the Syrian Social Nationalist Party*. New York: Bloomsbury Publishing, 2021.

Stepan, Alfred (ed.). *Authoritarian Brazil: Origins, Policies, and Future*. New Haven/ London: Yale University press, 1973.

Bermeo, Nancy (ed.). *Liberalization and Democratization: Change in the Soviet Union and Eastern Europe*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1992.

Bou-Nacklie, Nacklie E. "Les Troupes Speciales: Religious and Ethnic Recruitment, 1916-1946." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 25, no. 4 (November 1993).

Brooks, Risa. *Political-Military Relations and the Stability of Arab Regimes*. London: International Institute for Strategic Studies, 1998. Adelphi Paper 324

Croissant, Aurel et al. "Beyond the Fallacy of Coup-ism: Conceptualizing Civilian Control of the Military in Emerging Democracies." *Democratization*. vol. 17, no. 5 (2010).

Dahl, Robert A. *Democracy and its Critics*. New Haven: Yale University Press, 1989.

Droz-Vincent, Philippe. *Military Politics of the Contemporary Arab World*. Cambridge: Cambridge University Press, 2021.

Finer, Samuel E. *The Man on Horseback: The Role of the Military in Politics*. London: Pall Mall Press, 1969.

Hertog, Steffen. *Princes, Brokers and Bureaucrats: Oil and the State in Saudi Arabia*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2010.

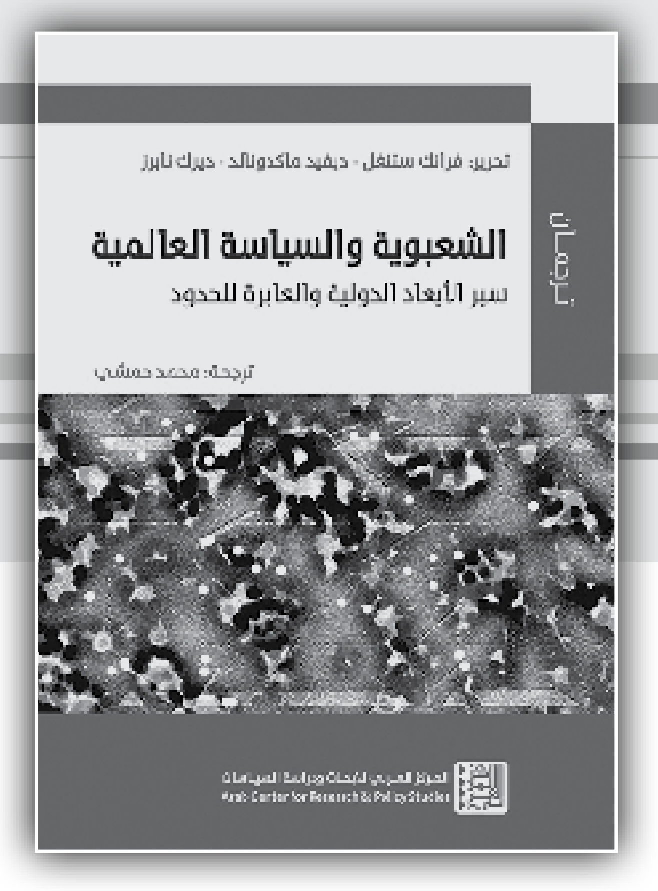
Hinnebusch, Raymond. "Toward a Historical Sociology of State Formation in the Middle East." *Middle East Critique*. vol. 19, no. 3 (Fall 2010).

Huntington, Samuel P. *The Soldier and the State: The Theory and Politics of Civil-Military Relations*. Cambridge: Belknap Press of Harvard University Press, 1957.

Janowitz, Morris. *The Professional Soldier: A Social and Political Portrait*. Glencoe, Ill.: Free Press, 1960.

Welch, Claude (ed.). *Civilian Control of the Military Theory and Cases from Developing Countries*. New York: State University of New York Press, 1976.

Wittman, Donald & Barry Weingast (eds.). *The Oxford Handbook of Political Economy*. New York: Oxford University Press, 2006.



صـدر حديـثًا

تـأليف: فرانك ستنغل وديفيد ماكدونالد وديرك نابرز
تـرجمة: محمد حمشي

الشعبوية والسياسة العالمية: سبر الأبعاد الدولية والعابرة للحدود

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ضمن "سلسلة ترجمان" كتاب **الشعبوية والسياسة العالمية: سبر الأبعاد الدولية والعابرة للحدود**، وهو من تحرير فرانك ستنغل وديفيد ماكدونالد وديرك نابرز، وترجمة محمد حمشي. يقع الكتاب في 532 صفحة، ويشتمل على إرجاعات ببليوغرافية وفهرس عام.


المؤشر العربي
Arab Opinion Index



المعرّف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430//BKXE4343

مركز حوكمة للسياسات العامة | Governance Center for Public Policies*

المؤشر الوطني للتحول الديمقراطي في العراق 2017–2021**

The National Indicator for Democratic Transition in Iraq 2017-2021

يعد "المؤشر الوطني للتحول الديمقراطي في العراق" أحد المؤشرات المحلية لقياس وضع الديمقراطية في العراق، في سياق كم كبير من المؤشرات الأجنبية، التي – على الرغم من أهميتها – تعتمد، في الغالب، على معلومات عامة، مستمدة من تقارير، إعلامية أو سياسية، وبعض مصادرها غير موثق أو مؤهل. أعدّ المؤشر الوطني للتحول الديمقراطي في العراق "مركز حوكمة للسياسات العامة"، وهو مركز دراسات مقره في بغداد، انطلاقًا من الحاجة إلى مؤشر يستند إلى منظور محلي. أسهم في بناء المؤشر فريق من الأكاديميين العراقيين من تخصصات مختلفة، وهو يصدر سنويًا، بدءًا من العام 2018. وقد صدرت منه، إلى هذه اللحظة، أربعة تقارير. يمثل هذا النص خلاصة أعدها المركز لصالح "سياسات عربية"، لنتائج التقارير الأربعة، وتمثل إضافة لحال التحول الديمقراطي في العراق، بعد نحو عقدين من الغزو الأميركي للبلاد وسقوط نظام صدام حسين.

كلمات مفتاحية: العراق، التحول الديمقراطي، المؤشر الوطني للتحول الديمقراطي في العراق.

The *National Index for Democratic Transition in Iraq* is a local initiative to measure democratic progress in Iraq, in an environment marked by multiple foreign indicators, which — despite their importance — are mostly based on general information derived from media or political reports. Some of their sources are neither documented nor qualified. *National Index for Democratic Transition in Iraq* is conducted by the Governance Center for Public Policies, a think tank based in Baghdad, to meet the need for an index based on a local perspective. A team of Iraqi academics from different disciplines contributed to building the index, and it has been conducting annually since 2018, with four reports published to date. Prepared specially for *Siyasat Arabiya*, this text represents a summary of the results of the four reports, and the state of democratic transition in Iraq, nearly two decades after the US invasion and the fall of Saddam Hussein's regime.

Keywords: Iraq, Democratic Transition, National Index for Democratic Transformation in Iraq.

* مؤسسة بحثية عراقية مقرها في بغداد.

Iraqi Think Tank, based in Baghdad.
Email: governancecenter@yahoo.com

** أعدّت المؤشر لجنة تضم مجموعة من الأكاديميين العراقيين المختصين بالعلوم الاجتماعية وبدراسات الديمقراطية ومؤشراتها، وهم: حسين عباس مهنا، وسعاد مقداد الأسدي، وسلام جبار شهاب، وعادل عبد الحمزة البديوي، وعبد العزيز عليوي العيساوي، وعلي طاهر الحمود، وعماد الشيخ داود، وفلاح خلف الزهيري، ومنتصر مجيد العيداني، ومنعم خميس مخلف، وهاشم حيدر الركابي.

مقدمة

تمر الدولة العراقية، منذ عام 2003، بمرحلة انتقالية، طويلة أو هكذا أريد لها أن تكون، شهدت جملة من التحديات المركبة، في مقدمتها التحدي الأمني، مع ظهور عارض الإرهاب بمراحله المتتابعة، التي تُوّجت بمرحلة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، الذي احتل أجزاء واسعة من أراضي البلاد (2014-2017). وقد تداخل هذا التحدي مع الأوضاع السياسية المضطربة، والسياسات الاقتصادية والاجتماعية والخدمية المتلكئة، فضلًا عن فوضى انتشار السلاح المنفلت خارج نطاق سلطة الدولة. وقد أفضى كل ذلك إلى إضعاف كثير من المؤسسات والبنى التنظيمية أو تعطيلها، وزيادة فرص الفساد في مختلف القطاعات، بما فيها مؤسسات السلطات الثلاث (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية)، وعدم اكتمال المنظومة القانونية للدولة، الأمر الذي كان من نتائجه تراجع كثير من المؤشرات، من قبيل سيادة القانون، والمساءلة والشفافية، ونزاهة الانتخابات، واللامركزية، وسواها.

شمل المؤشر الوطني للأعوام (2017-2021) حكومة رئيس الوزراء حيدر العبادي (2014-2018) في عامها الأخير، أعقبتها حكومة رئيس الوزراء عادل عبد المهدي (2018-2020)، وبدايات حكومة رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي (2020- حتى الآن).

جاءت حكومة العبادي في ظل أزمة سياسية ناجمة عن تخلي عدة كتل سياسية عن رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي (2006-2014) ورفضها تولّيه رئاسة الحكومة للمرة الثالثة، وانهيار أمني واسع نتيجة اجتياح داعش أجزاء واسعة من العراق (صيف 2014)، وأزمة اقتصادية كبيرة شهدها عام 2014، تمثلت بانخفاض أسعار النفط. وكان كل ذلك يحدث في سياق اضطراب إقليمي، شكّلته الأزمة السورية وتداعياتها، والتي كان لها تأثير مباشر في الوضع العراقي. واجهت حكومة العبادي، منذ صيف 2015، احتجاجات شعبية وسياسية واسعة بسبب سوء الأداء المتراكم والأوضاع الاقتصادية المتردية، أدت إلى استقالة عدد من الوزراء وإقالة آخرين، وشغور عدد من المناصب المهمة، جراء خلافات بين القوى السياسية. وبالتزامن، كان العبادي يقود العمليات العسكرية لتحرير المناطق الواقعة تحت سيطرة داعش، التي توّجت بإعلان تحرير الموصل، أكبر معقل للتنظيم، في خريف 2017. وبالتزامن أيضًا، كان ثمة بعض النجاح الاقتصادي بعبور الأزمة المالية. وقد شكّل هذان أكبر إنجازين لحكومة العبادي، إلا أنها أخفقت في تنظيم انتخابات نيابية تتسم بالنزاهة والصدقية، فقد أقال العبادي خمسة من مسؤولي الانتخابات، بسبب اتهامات بالفساد خلال الانتخابات البرلمانية التي جرت في 12 أيار/ مايو 2018.

على هذه الخلفية تشكلت الحكومة الجديدة، برئاسة عبد المهدي، التي أعلنت، عبر البرنامج الحكومي، عن جدول أعمال للأعوام الأربعة يتضمن قائمة مهمات كبيرة ومطولة لتطوير البلاد في مختلف المجالات، وحلّ العلاقات المتوترة بين الحكومة المركزية وحكومة إقليم كردستان، وتعزيز الاقتصاد، والحدّ من الفقر، واستعادة السلام والاستقرار بإنهاء الفوضى الأمنية وانتشار السلاح، وحصر السلاح بيد الدولة، كما أطلق البرنامج الحكومي تعهدات عديدة، من أبرزها إيقاف التدخلات الخارجية، وحلّ مشكلة الكهرباء بحلول صيف عام 2019، وهي الأزمة التي أرّقت العراقيين طويلًا. غير أنّ الحكومة لم تستطع الوفاء بوعودها. وقد قاد هذا إلى تأجيج الحراك الشعبي المطالب بالإصلاح من جديد، والذي أنتج هذه المرة أكبر حركة احتجاجية في العراق منذ عام 2003، وهي الاحتجاجات التي اندلعت في تشرين الأول/ أكتوبر 2019، في بغداد وجنوب العراق، والتي واجهت قمعًا وعنفًا كبيرَين من السلطة والفصائل المسلحة الموازية، أدّيا إلى سقوط 560 قتيلًا تقريبًا (بحسب آخر إحصاء حكومي)، وأكثر من 24 ألف جريح[1]، فضلاً عن العشرات من المختطفين. وقد كان من النتائج المهمة للحركة الاحتجاجية استقالة حكومة عبد المهدي، بعد المذبحة التي ارتكبتها القوات الحكومية في مدينة الناصرية، في جنوبي البلاد، أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، وذهب ضحيتها عشرات القتلى.

في أيـار/ مايو 2020، تشكلت حكومة جديدة برئاسة مصطفى الكاظمي، جعلت أولى مهماتها إجراء انتخابات مبكرة، وتشريع قانون انتخابي جديد، وهما من مطالب الحركة الاحتجاجية[2]. وقد حددت حكومة الكاظمي، في 6 حزيران/ يونيو 2021، موعدًا للانتخابات النيابية المبكرة. وقد تخللت ذلك أحداث عاصفة، في صدارتها اغتيال قاسم سليماني قائد فيلق القدس الإيراني وأبو مهدي المهندس نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي، بطائرة أميركية مسيّرة، مطلع عام 2020، ما أدى إلى تصاعد المواجهة بين فصائل من الحشد الشعبي والقوات الأميركية. وقد استطاعت التنظيمات السياسية المرتبطة بالفصائل استصدار قرار من البرلمان العراقي، بعد اغتيال سليماني والمهندس بأيام، يقضي بخروج القوات الأميركية من البلاد.

1 "المؤتمر الصحفي لمستشار رئيس الوزراء د. هشام داود للإعلان عن قائمة شهداء حركة تشرين الاحتجاجية"، يوتيوب، 2020/7/30، شوهد في 2022/6/6، في: https://bit.ly/3xl94Gz

2 "مجلس النواب يقر برنامج الحكومة العراقية الجديدة"، الحكومة العراقية، 2020/5/7، شوهد في 2022/6/6، في: https://bit.ly/3zeTP3r

اتخذت حكومة الكاظمي عددًا من الخطوات في مجال مكافحة الفساد، وذلك عن طريق لجنة مختصة في قضايا الفساد والجرائم المهمة، وألقت القبض على عدد من المتهمين باغتيال الناشطين. غير أن إنجازها الأهم هو أنها عملت على تهيئة مستلزمات الانتخابات المبكرة، التي جرت في تشرين الأول/ أكتوبر 2021.

لماذا المؤشر الوطني للديمقراطية في العراق؟

ثمة دوافع ومتطلبات أساسية عديدة تقف وراء وضع مؤشر لقياس الديمقراطية في العراق. أحد أهم هذه الدوافع هو أن أغلب المؤشرات العالمية لقياس الديمقراطية أو التحول الديمقراطي تعتمد، في تصنيف مكانة أو مستوى الديمقراطية في العراق، على معلومات عامة غالبًا، مستمَدّة من تقارير إعلامية، أو سياسية، أو من بيانات منظمات دولية، العديد منها بعيد عن الواقع العراقي ويستقي معلوماته من مصادر بعضها غير معتمد، أو غير موثّق وغير مؤهل، أو من أشخاص ومنظمات في دول مجاورة. وفضلًا عن ذلك، ثمة حاجة إلى منظور محلي، يصوغه متخصصون من الداخل، من ذوي المكانة والخبرة والاختصاص، من دون أن يعني هذا انغلاقًا معرفيًا، ولكننا نعتقد أنه سينتج مؤشرًا للتجربة، محايثًا لها.

من هنا، سعى مركز حوكمة للسياسات العامة إلى بناء مقياس للديمقراطية في العراق، يعتمد معايير تلائم مستويات التطور الاجتماعي والاقتصادي، وطبيعة الثقافة السياسية، فضلًا عن تكييف المعايير أو المؤشرات العالمية مع حالة البلد.

منهجية المؤشر الوطني

أسهم في بناء المؤشر الوطني عدد من الأكاديميين والأساتذة والخبراء العراقيين، من تخصصات مختلفة من تخصصات العلوم الاجتماعية (العلوم السياسية، والقانون، والإعلام، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، ودراسات الانتخابات، والإحصاء السياسي، وسواها). وقد عقدوا عدة حلقات نقاشية، كانت خلاصتها أن جرى تبني خمس فئات/ محاور رئيسة تشكل مرتكزًا لقياس الديمقراطية في العراق، وهي:

- **الأداء الحكومي**: أي قياس أداء الهيئات الحكومية، وهو يعتمد على مراجعة الأداء الحكومي وتوثيقه وتحليله سنويًا من خلال عدد من المعايير ونتائجها (أداء السلطة التنفيذية سياسيًا وأمنيًا وإداريًا، فرض سلطة الدولة، الإصلاح السياسي، المشاركة السياسية، العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، أداء السلطة التشريعية في مجالات التشريع والرقابة والمساءلة، مكافحة الفساد، العامل الخارجي).
- **حكم القانون**: مؤشر سيادة القانون هو أداة تقييم كمية مصممة لتقديم صورة مفصلة وشاملة عن مدى التزام الدول بسيادة القانون في الممارسة. ويعتمد قياس أداء الدول في مجال سيادة القانون عددًا من المعايير (سيادة القانون، والمساواة أمامه، استقلالية القضاء، فضلًا عن وضوح أحكامه وإنفاذها، احترام الدستور وعلويته وسموّه على بقية القوانين، احترام كرامة الإنسان، وحظر التعذيب والمعاملة القاسية، التوقيف بلا أمر قضائي، افتراض البراءة، والعدالة الانتقالية).
- **الاستقرار الاقتصادي**: استند بناء هذا المحور وقياس مؤشراته إلى عدد من المعايير التي تتعلق بمؤشرات الاقتصاد الكلّي (بيئة وسهولة الأعمال، بيئة الاستثمار، الاقتصاد الرسمي والاقتصاد غير الرسمي، الشمول المالي، مخرجات التعليم وسوق العمل في القطاع الخاص، الشفافية وإدارة الحكم الرشيد، السياسات النقدية وفرص النموّ، توجهات الأعـمال والتنمية المستدامة، الاقتصاد القائم على النوع الاجتماعي، الإدارة الحكومية للقطاع المالي، خصخصة المشروعات الحكومية).
- **السلوك الانتخابي**: يضع هذا المحور مقياسًا لتقييم جودة الانتخابات وإدارتها بالاستناد إلى عدد من المعايير (نظام سياسي تعددي وتنافسي، اقتراع عامّ يشمل جميع البالغين، انتخابات دورية سرية، عدالة الدعاية الانتخابية، نزاهة العملية الانتخابية، هيئة مستقلة مشرفة على الانتخابات، قانون انتخابات منصف، بيئة سياسية داعمة للانتخابات).
- **الحقوق والحريات**: يمثّل هذا المحور مقياسًا لتقييم حالة الحقوق والحريات العامة في العراق وفقًا لعدد من المعايير (كفالة حقوق الإنسان والحريات العامة على صعيد النظام السياسي والقانون والمؤسسات المستقلة، ولا سيما مفوضية حقوق الإنسان، الحيز المتاح للمجتمع المدني وفاعليته، ثقافة حقوق الإنسان، حقوق الطفل، حقوق المرأة، حرية الإعلام، الحق في الوصول إلى المعلومات).

استند المؤشر الوطني إلى استطلاعات ميدانية نفّذها مركز حوكمة للسياسات العامة شملت سنويًا (2017-2021) عددًا كبيرًا من المحافظات العراقية (اثنتا عشرة محافظة من أصل ثماني عشرة، هي: بغداد، ونينوى، والبصرة، والسليمانية، وأربيل، وذي قار، والأنبار، وكركوك، وصلاح الدين، والنجف، وديالى، وبابل)، راوح بين 1889 مستجيبًا لعام 2017 و1203 مستجيبين لعام 2021. وقد غطت عيّنة البحث التمثيل الديموغرافي، بحسب النسب السكانية التي تعتمدها وزارة التخطيط فيما يتعلق بالانتشار الجغرافي، والنوع الاجتماعي، والفئات العمرية، والمستوى التعليمي، والمستوى المعيشي، والمهن.

ارتأى فريق البحث اعتماد مؤشر تراكمي ذي عشر قيم، ويكون لكل سؤال ثلاثة خيارات تراوح أوزانها بين 0 و0.5 و1، داخل كل فئة، ثم تُحسب الدرجات مضروبة في عشرة ومقسمة على العدد الإجمالي للأسئلة داخل الفئة. بعد ذلك يتم حساب متوسط مؤشرات الفئات الخمس المدرجة في التقرير للحصول على الدرجة الإجمالية التي تحدد تصنيف نوع النظام للبلد.

الجدول (1)

مقياس المؤشر الوطني للتحول الديمقراطي في العراق

نظام الحكم	القيمة
استبدادي	2-0
سلطوي	2.1-4
انتقالي	4.1-6
ديمقراطي	6.1-8
ديمقراطي متماسك	8.1-10

قراءة في أهم النتائج

يمكن عدّ مؤشر الأداء الحكومي بمنزلة دالة رئيسة لسائر المحاور، الأمر الذي يتضح في الشكل وفي الجدول (2). ويلاحظ أن مؤشر عام 2018-2017 الخاص بمحور الأداء الحكومي في العام الأخير لحكومة حيدر العبادي كان الأفضل نسبيًا مقارنة بالأعوام الثلاثة اللاحقة، والأدنى هو عام 2019-2020، أي آخر زمن حكومة عادل عبد المهدي وبدايات حكومة مصطفى الكاظمي.

ويمكن أن نعزو ارتفاع مؤشر حكومة العبادي إلى الانتصار الذي حققته القوات الأمنية على داعش، والاستقرار الأمني العامّ الناجم عن تطور أداء الإدارة الحكومية في هذا الملف. ومع ذلك، لم تتخذ الحكومة الخطوات الكافية في الإصلاح الإداري والسياسي، وربما يعود ذلك إلى أن المعركة مع داعش كانت تمثل الأولوية القصوى آنذاك، فضلًا عن مواجهة الأزمة المالية المتمثلة بالانخفاض الكبير لأسعار النفط منذ عام 2014.

أما المؤشر الأدنى الخاص بمحور الأداء الحكومي فقد كان لعام 2019-2020، ونحن نرجعه إلى الأحداث العاصفة التي شهدها العراق، بسبب الاحتجاجات العامة التي انطلقت في تشرين الأول/ أكتوبر 2019 وتبعات القمع والعنف المفرط الذي واجهتها به حكومة عبد المهدي. وعلى الرغم من رضوخ الطبقة السياسية لبعض مطالب المحتجين بسبب الضغط الجماهيري الكبير، فقد استمرت عمليات الاغتيال والمطاردة، التي شملت عددًا من الناشطين، وقادة التظاهرات، والمدونين. ويضاف إلى كل ذلك ضعف الإجراءات الحكومية في مواجهة جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) وانعكاساتها السلبية الحادة على جميع مناحي الحياة، ولا سيما أنها قادت إلى حالة من الركود الاقتصادي.

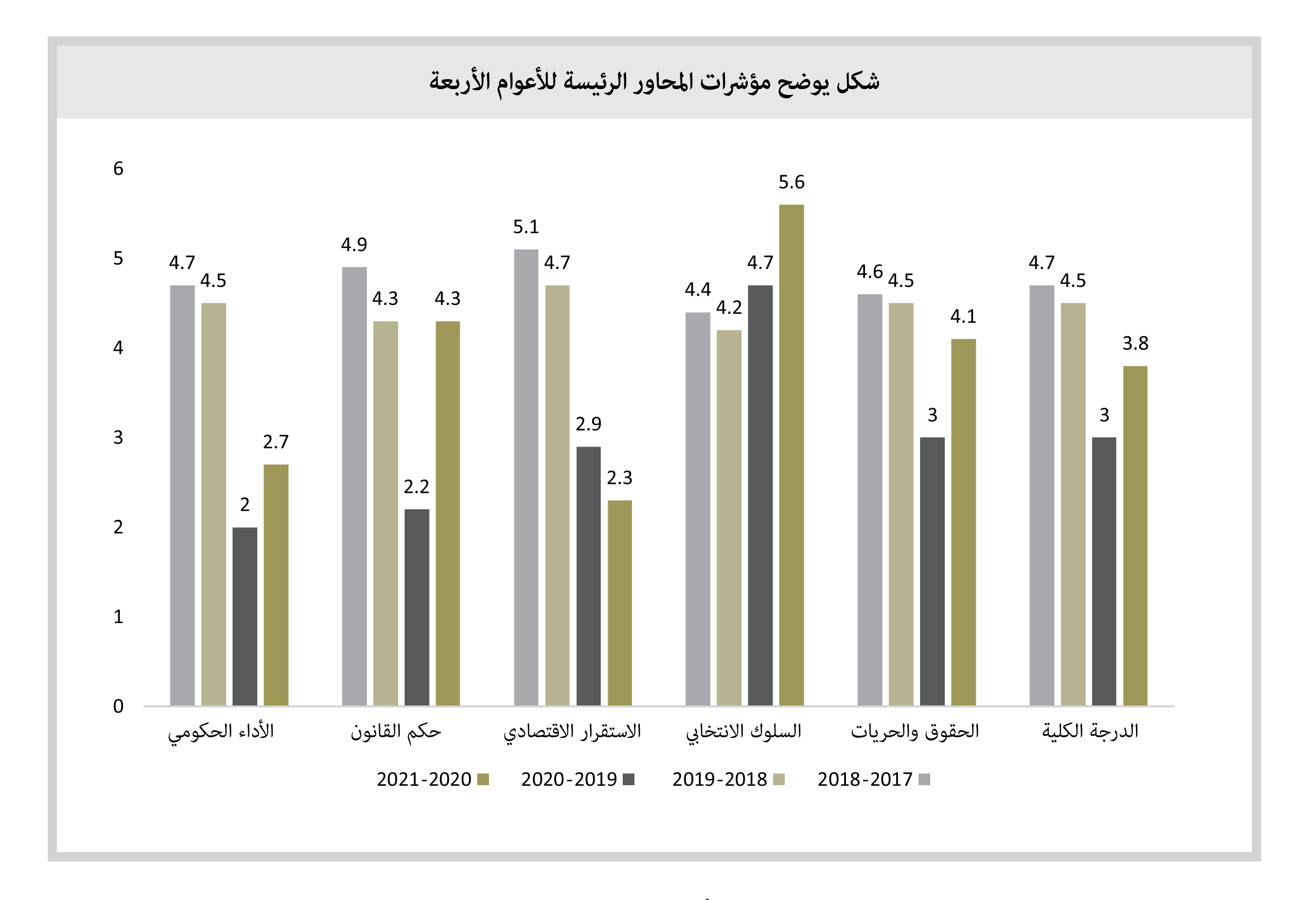
إنّ ما تقدَّم لا يعني عدم وجود تباينات، وإن كانت نسبية، في مؤشرات بعض المحاور، إذ شهد محور السلوك الانتخابي تحسنًا نسبيًا في مؤشر عام 2020-2021، على الرغم من أن نتائج المؤشر تغطي المرحلة

الجدول (2)

المعدلات التراكمية، الأوساط الحسابية، والتصنيف

المحاور/ السنة	2018-2017	2019-2018	2020-2019	2021-2020
الأداء الحكومي	4.7	4.5	2	2.7
حكم القانون	4.9	4.3	2.2	4.3
الاستقرار الاقتصادي	5.1	4.7	2.9	2.3
السلوك الانتخابي	4.4	4.2	4.7	5.6
الحقوق والحريات	4.6	4.5	3	4.1
الدرجة الكلية	4.7	4.5	3	3.8
التصنيف	انتقالي	انتقالي	سلطوي	سلطوي

شكل يوضح مؤشرات المحاور الرئيسة للأعوام الأربعة



السابقة للانتخابات. ويعزى ذلك إلى تصاعد الاهتمام بتحقيق أحد أبرز مطالب انتفاضة تشرين، وهو إجراء انتخابات مبكرة في ظل نظام انتخابي جديد. وقد أفضت الانتخابات المبكرة، التي جرت في تشرين الأول/ أكتوبر 2021، إلى تحصيل قوى الاحتجاج والمستقلين تمثيلًا سياسيًا معينًا، وتراجع ملحوظ لبعض القوى المهيمنة، مثل تحالف الفتح، إلا أنّ هذه الانتخابات نفسها شهدت أدنى نسبة في التصويت، منذ انتخابات 2005[3]، وهو أمر نفسرّه باستمرار غياب الثقة بالعملية السياسية، وهو أحد العوامل الثابتة خلال الأعوام الأربعة.

أمّا السمات العامة لمحاور المؤشر للأعوام الأربعة فتتسم بالثبات النسبي، بسبب استمرار السمات العامة للنظام السياسي، ويمكن إجمالها في ما يأتي:

1- محور الأداء الحكومي

تتمثل السمة الرئيسة التي اتصف بها الأداء الحكومي للأعوام الأربعة، كما أظهرت نتائج المؤشر، بعدم قدرة الحكومات المتعاقبة على فرض سلطتها ونفوذها على البلاد، ومواجهة التدخلات الإقليمية والدولية، جراء الضعف الذي يعتور تحليلها للمشكلات العامة، وينعكس بالسلب على تخطيط دورات سياساتها العامة؛ نظرًا إلى عدم اعتمادها على البيانات والأدلة التي تسمح بإدارة المؤسسات الحكومية على نحوٍ كفء، سواء أكان ذلك على الصعيد الداخلي أم الخارجي.

وبالارتباط مع ما تقدم، أوضحت النتائج أنّ ثمة خللًا في علاقة المواطن بالمؤسسات الحكومية، التي تستند إلى المحاصصة والفساد واستغلال النفوذ؛ وبسبب ذلك، لم تعد قادرة على تقديم الخدمات لعموم المواطنين، لضعف كفاءة الكوادر الحكومية وغياب تأهيلها علميًا وإداريًا.

ورصد المحور أن الحكومات المتعاقبة لم تنشر التقارير الدورية عن أداء مهماتها بشفافية. ويعود ذلك إلى ضعف الرقابة والمساءلة البرلمانية، التي سمحت بتمادي المرتشين والمختلسين والمقصرين. ولذلك، انخفضت مؤشرات التنمية في أغلب القطاعات. وقد أفضى كل ذلك إلى غياب اهتمام المواطن بالمشاركة السياسية.

ومن النتائج اللافتة في مؤشر عام 2018-2019 وجود نسبة عالية من التذمر من أداء مجالس المحافظات وتصاعد المطالبات الشعبية

3 أعلنت المفوضية العليا للانتخابات في العراق أن نسبة المشاركة في الانتخابات التشريعية العراقية لعام 2021 بلغت 41 في المئة، وهي النسبة الأدنى منذ انتخابات 2005. ينظر: "بيانات الإقبال 2021"، المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، شوهد في 2022/6/6، في: https://bit.ly/3GZZBrt

بحلّها. ويتبنى الدستور العراقي لعام 2005 نظام اللامركزية الإدارية، الذي يقضي بتشكيل مجالس محافظات منتخبة، هي التي تختار الإدارة التنفيذية (المحافظ)، وتمارس دور الرقابة عليها، فضلًا عن رسم السياسات العامة للإدارة المحلية، وإصدار التشريعات المحلية ذات الحاجة، بحسب ما ينص على ذلك قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم لعام 2008. وقد أصدر البرلمان العراقي قرارًا بإنهاء عمل المجالس المحلية بعد انطلاق انتفاضة تشرين، نتيجة الضغط الشعبي.

كما أظهرت آراء المستجيبين في عام 2020-2021 تحسنًا في مؤشر العلاقة بين الحكومة الاتحادية وحكومة إقليم كردستان. وهذا يشير إلى أنّ حكومة الكاظمي يمكن أن تفتح عهدًا جديدًا في العلاقة بين الطرفين، لا سيما بعد أن توصلت الحكومة الاتحادية إلى اتفاق مع حكومة إقليم كردستان بتاريخ 15 آب/ أغسطس 2020 على توحيد إجراءات المنافذ الحدودية، تبعتها تفاهمات حول الموازنة الاتحادية لعام 2021[4].

2- محور حكم القانون

أظهرت النتائج ضعف مبدأ سيادة القانون وإنفاذه والمساواة أمام القانون، وأن بعض القوانين (ومنها قوانين العدالة الانتقالية) تطبّق بصورة انتقائية وتمييز، بسبب سطوة العشيرة والطائفة والقومية، فضلًا عن التدخلات والضغوط الحزبية والسياسية في الشأن القضائي، وكذا في تعيين القضاة وجهاز الادعاء العام، الأمر الذي أدى إلى اهتزاز ثقة المواطن بالمؤسسة القضائية واستقلاليتها.

وأفاد المستجيبون بأنّ بعض القوانين لا تتوافق مع الدستور ومبادئه، بسبب التوافقات السياسية التي أفرغت الكثير من القوانين من محتواها، كما أن الفساد المستشري أعاق تطبيق العقوبات وإنزالها في حق المجرمين، الأمر الذي جعل القضاء يتعرض لضغوط مختلفة لم تسمح بإنفاذ القانون على النحو المطلوب، هذا فضلًا عن رصد حالات تعرّض الأفراد للتوقيف، من دون أمر قضائي أحيانًا[5]. وهذا ناجم عن تداخل الصلاحيات بين الكثير من المؤسسات؛ ما أدى بالادعاء العام إلى عدم القيام بالمهمات الموكلة إليه بموجب التشريعات النافذة، وأسهم في تأخير حسم الدعاوى.

وأظهرت النتائج أنّ الكثير من المواطنين ليست لهم الثقافة القانونية اللازمة لمعرفة حقوقهم والدفاع عنها.

3- محور الاستقرار الاقتصادي

أدنى مؤشر في هذا المحور كان لعام 2020-2021، ونرجح أنّ هذا ناتج من تغيير سعر الصرف وانخفاض قيمة العملة العراقية بنسبة 22%[6]، بالتزامن مع انتشار جائحة كورونا، ما تسبب في توقف الأعمال وغلق الأسواق، وانهيار أسعار النفط، على نحوٍ أدى إلى ارتفاع معدلات الفقر في العراق بحسب بيان وزارة التخطيط، لتصل إلى 31%، وهو معدل قياسي يسجل للمرة الأولى منذ عام 2003[7]. وهذا يدل على أنّ لملف الإصلاح الاقتصادي أهمية قصوى في السياسة العراقية.

ترتبط هذه المؤشرات بالأداء الاقتصادي العام للأعوام الأربعة، لتظهر وجود اختلالات هيكلية في الاقتصاد العراقي، ناجمة عن الأداء الاقتصادي السيئ للحكومات العراقية المتعاقبة. وقد أدى هذا إلى فجوة اقتصادية كبيرة بين الطبقة السياسية وعامة الناس، تعكسها شكوك المواطنين في وجود فرص متساوية في سوق العمل. ومن ثم، تراجعت ثقة الشعب بقدرة الحكومة على الحفاظ على المستوى المعيشي.

وأظهرت النتائج سيطرة الدولة على مجمل النشاط الاقتصادي ومركزية إدارته، الأمر الذي أضعف فرص الاستثمار كثيرًا، وعزّز اعتماد معايير المحسوبية والمنسوبية بدلًا من الكفاءة والاستحقاق، وأسهم في استشراء الفساد وهدر المال العامّ داخل مؤسسات الدولة، وضياع الكثير من مبالغ الإنفاق العامّ.

وقد أعاق هذا كله التحوّل المتأني والتدريجي نحو الخصخصة والاستثمار. وأظهرت النتائج تراجع ثقة الجمهور بالقطاع المصرفي العراقي.

4- محور السلوك الانتخابي

تعدّ الانتخابات التشريعية لعام 2018 إحدى الانتكاسات الفارقة للعملية السياسية، بسبب عمليات التزوير الواسعة التي أشير إليها سابقًا، والتي شملت احتراق بعض مخازن الصناديق الانتخابية (في جانب الرصافة من العاصمة بغداد)، الذي قال عنه رئيس مجلس النواب آنذاك سليم الجبوري: "إن جريمة إحراق المخازن الخاصة بصناديق الاقتراع في منطقة الرصافة [...] فعل متعمد، وجريمة

---

4 هلكوت عزيز، "بالوثيقة.. نص الاتفاق المبرم بين الحكومة العراقية وإقليم كوردستان"، **رووداو.نيت**، 2020/8/16، شوهد في 2022/6/6، في: https://bit.ly/3meFlZI

5 "Iraq 2019 Human Rights Report," United States Department of State, accessed on 6/6/2022, at: https://bit.ly/39dzLDP

6 أقر البنك المركزي العراقي يوم 19 كانون الأول/ ديسمبر 2020 تخفيض قيمة الدينار العراقي من 1200 دينار لكل دولار إلى 1460 دينارًا للدولار الواحد، بما يعادل 22 في المئة. ينظر: براء الشمري، "وزير المالية العراقي يعلن رسميًا تخفيض قيمة الدينار أمام الدولار"، **العربي الجديد**، 2020/12/19، شوهد في 2022/6/6، في: https://bit.ly/3x9Pegb

7 "التخطيط ترد على برنامج الغذاء العالمي: العراق ليس جائعًا"، **وكالة الأنباء العراقية**، 2021/10/24، شوهد في 2022/6/6، في: https://bit.ly/3NpQLWl

7 "المركزي العراقي يخفض قيمة الدينار 22% وسط سخط شعبي"، **العربية نت**، 2020/12/20، شوهد في 2022/6/6، في: https://bit.ly/3mnLClC

مخطط لها، تهدف إلى إخفاء حالات التلاعب وتزوير للأصوات وخداع للشعب العراقي وتغيير إرادته واختياره"[8].

ولعل هذه الانتخابات من العوامل التي قادت إلى اندلاع انتفاضة تشرين 2019، إذ أظهرت نتائج هذا المحور لعام 2018-2019 أن نسبة كبيرة من عينة البحث كانت تفضّل التصويت للمستقلين، غير أنّ النتائج أظهرت فوز المتحزبين. ويعود هذا الأمر، في تقدير المستجيبين، لآلية توزيع المقاعد في النظام الانتخابي، أو لقدرة الأحزاب على زجّ وجوه جديدة، أو للتلاعب بالنتائج، كما أوضح المحور عدم الاقتناع بالنخبة الحاكمة التي أفرزتها الانتخابات لوجود خلل في إجراءات التصويت داخل مراكز الاقتراع، الأمر الذي يعكس الشكوك وعدم الثقة بأداء المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، ومن ثمّ، نزاهة العملية الانتخابية برمّتها.

وأظهرت نتائج عام 2019-2020 وجود مقبولية نسبية في الشارع العراقي بإصدار قانون انتخابي جديد، لأنه سيتيح فرصة أكبر للتعبير عن إرادة الشعب، بحسب ما ترى نسبة من المستجيبين. وأوضحت النتائج، أيضًا، قبول الرأي العام العراقي بوجود قضاة في مفوضية الانتخابات، من جهة أنه قد يكون من الوسائل التي تكفل نزاهة الانتخابات القادمة. وفي السياق نفسه، أكدت نتائج عام 2020-2021 وجود تفاؤل بالقانون الانتخابي الجديد ذي الدوائر الصغيرة المتعددة، واتفقت نسبة كبيرة من المستجيبين على أنّ الهيئات المستقلة (ولا سيما مفوضية حقوق الإنسان ومفوضية الانتخابات) قد أدت مهماتها على نحو مقبول، ولكن، أظهرت النتائج عدم التفاؤل بقدرة الانتخابات القادمة على إحداث التغيير، وسيكون للمال السياسي تأثير كبير في الانتخابات مع تأثير الزعامات الدينية والعشائرية. ويرى التقرير أنّ تلك الانطباعات قد تكون أحد أسباب تراجع نسبة المشاركة[9].

5– محور الحقوق والحريات

جاءت نتائج هذا المحور لتشير إلى تحسّن نسبي في مجال الحقوق والحريات المدنية في عام 2020-2021، مقارنة بمؤشر عام 2019-2020، أي بين فترة حكومة الكاظمي وحكومة عادل عبد المهدي، وهو مؤشر ذو دلالة ينبغي الالتفات إليه، مع الأخذ في الاعتبار أنّ المعدل الأعلى نسبيًا لمؤشر الحقوق والحريات للأعوام الأربعة كان خلال العام الأخير لحكومة العبادي.

وعلى الرغم ممّا تقدم، لا تزال السمات العامة مستمرة على صعيد الحقوق والحريات في العراق، إذ أظهر المؤشر أنّ النظام السياسي العراقي يعاني ضعفًا في ضمان الحقوق والحريات الدستورية لعدم قدرته على إنفاذ القانون، نتيجة لضعف الإرادة السياسية والأدوار المجتمعية والإعلامية، فضلًا عن انخفاض مستوى وعي المواطنين أنفسهم بأهمية الحقوق والحريات. ويظهر ذلك في وجود اختلالات حقيقية، تتمثل بضعف دور المرأة، وتصاعد العنف الأسري، وضعف الإنفاق الحكومي على قطاعَي الصحة والتعليم، كما أبرزت النتائج ضعف دور الإعلام الرقابي على أجهزة الدولة.

وتوصلت النتائج إلى أن حرية الإعلام هي محلّ شك، وأن وسائل الإعلام في الغالب منحازة أو متحزبة. لذا، يفتقد الإعلام الصدقية، وبنسبة ملحوظة، كما أظهرت النتائج صعوبة الوصول إلى المعلومة، وغياب حماية وضمانات كافية للإعلاميين، وأنهم يعيشون في بيئة خطرة، ومن ثمّ، فإنّ حرية التعبير عن الرأي محل شك هي الأخرى. ومع ذلك، اتفقت نسبة عالية (56%) من المستجيبين في مؤشر عام 2020-2021 على أنّ الإعلام يعكس مطالب الناس واحتياجاتهم، وهي النسبة الأعلى مقارنة بالأعوام السابقة، ما يدلّ على أنّ الرأي العامّ أصبح عاملًا مؤثّرًا بعد انتفاضة تشرين 2019.

وعلى صعيد المجتمع المدني، ثمة منحى تصاعدي متباين بين مؤشر العام الأوّل 2017-2018؛ إذ أبدى 52% من المستجيبين شكّهم في جدوى نشاطات منظمات المجتمع المدني في مجال تعزيز حقوق الإنسان، ورأى 25.7% من المستجيبين أنّ تلك النشاطات كانت جيدة، في حين رأت نسبة 22.3% من المستجيبين أنّ نشاطات المجتمع المدني "لا قيمة لها".

وكان مؤشر عام 2020-2021 على خلاف ذلك تمامًا، ففي فقرة "تأثير المجتمع المدني في تعزيز الحياة الديمقراطية في العراق"، أفاد 77% بالموافقة على هذه العبارة، وهي نسبة تشير إلى تحسّن كبير في سمعة المجتمع المدني مقارنةً باستطلاع العام السابق 2019-2020 الذي لم تتجاوز فيه النسبة 41%. ولعل ارتباط استبيان العام الماضي بأحداث تظاهرات تشرين كان دافعًا نحو نظرة سلبية تجاه المنظمات. وبصورة عامة، كان الموافقون على هذه العبارة من ربّات البيوت، وذوي الأعمال الحرة، في حين كان رافضوها من الموظفين الحكوميين. وعلى الرغم من الضعف البيّن في عمل منظمات المجتمع المدني واعتمادها على التمويل الأجنبي، فقد عملت هذه المنظمات

8 "حريق يطال مخازن الصناديق الانتخابية لجانب الرصافة من العاصمة العراقية بغداد"، **بي بي سي عربي**، 2018/6/10، شوهد في 2022/6/6، في: https://bbc.in/3zA2w8P

9 جاء قانون الانتخابات رقم 9 لسنة 2020، الذي أجريت بموجبه انتخابات تشرين الأول/ أكتوبر 2021 مختلفًا عن القوانين السابقة باعتماده (نظام الصوت الواحد غير المتحول) وتقسيم المحافظات العراقية إلى دوائر انتخابية متعددة، بعد أن كانت كل محافظة دائرة انتخابية، منهيًا بذلك 16 عامًا من العمل بنظام التمثيل النسبي الذي رافق تطبيقه كثير من الجدل واتهامات بالتزوير وعدم نزاهة العملية الانتخابية. ولم يسلم العمل بنظام الدوائر المتعددة هو الآخر من الانتقاد رغم أنه مرّ باختبار واحد هو انتخابات 2021 إذ يتهمه المعترضون عليه بهدر عدد كبير من الأصوات، ما تسبب في وجود فجوة كبيرة بين الفائزين والخاسرين.

طوال الأعوام الماضية على ملء الفراغ الذي أحدثه غياب معارضة سياسية تعكس وجهات نظر مغايرة للسلطة. وقامت هذه المنظمات بما هو أبعد من عملية بناء القدرات ورعاية الابتكار لدى أفراد المجتمع، إذ نظمت حملات مدافعة واسعة حيال قضايا اجتماعية وسياسية، كما أنها كانت عنصرًا فاعلًا ونشطًا في الاحتجاجات المتواصلة المطالِبة بالإصلاح.

خاتمة

نحن، إذًا، أمام مؤشرات لأربعة أعوام من التحول الديمقراطي في العراق: مؤشر العام الأول (2017-2018)، بلغ معدّله التراكمي 4.7% من مقياس عشر درجات، وسمّيناه "ديمقراطية متأرجحة"، ومؤشر العام الثاني (2018-2019) بلغ معدّله التراكمي 4.5%، وسمّيناه "ديمقراطية راكدة"، ومؤشر العام الثالث (2019-2020) بلغ معدّله التراكمي 3%، وسمّيناه "ديمقراطية مرتدة"، ومؤشر العام الرابع (2020-2021)، بلغ معدّله التراكمي 3.8%، وسمّيناه "الرهان الصعب".

وتكشف هذه النسب عن وجود علاقة تناسب عكسي بين تصاعد مستوى الإحباط العامّ من الخلل المؤسسي والتوقعات والآمال في هذا المجال، وبين الأداء الحكومي. وبلا شك، كان هذا من العوامل الأساسية التي أطلقت شرارة الاحتجاجات الشعبية في تشرين الأول/ أكتوبر 2019، ولا تزال تبعاتها مستمرة بوتائر متباينة.

وعلى نحوٍ عام، لا تزال المؤشرات العامة في المحاور الخمسة تتسم بثبات نسبي، وهو أمر نعزوه إلى استمرار السمات العامّة للنظام السياسي، غير أنه يمكن عدّ مؤشر الأداء الحكومي دالةً رئيسة لسائر المحاور، من جهة أنّ الجهاز الحكومي (الدولة) هو قاطرة التحول الاجتماعي والتنمية في بلد كالعراق. وتعود هذه المكانة المركزية للدولة في الديناميكية (من بين عوامل عدة) إلى هشاشة المجتمع المدني، الذي يفترض أنه رافعة التحول الديمقراطي، غير أن المجتمع المدني في العراق ظل قوة مهدورة، فاشتراطات شتى لم تتح له النموّ. ومن ثم، افتقد العراق دعامة أساسية من دعائم الديمقراطية.

لقد انعكس الخلل في تأطير العلاقة بين الحكومة والمواطن على سائر المحاور (إنفاذ القانون، ومكافحة الفساد، والمشاركة السياسية، والتنمية بأبعادها الشاملة). وفي محور الاستقرار الاقتصادي، مثلًا، سجّل المؤشر أدنى معدل له في عام 2020-2021، وهو ما يمكن عدّه أحد أبرز شواهد ذلك الخلل البنيوي.

وفي الخلاصة، إن دعم الحكومة التمثيلية، مع غياب دعم ملموس للقيم السياسية الليبرالية، ومن دون أساس لمجتمع مدني تعددي، لا يوفر حافزًا كافيًا لترسيخ الديمقراطية.



التوثيق
Documentation





محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Milestones in Democratic Transition in the Arab World



يتضمّن هذا التقرير توثيقًا لأبرز محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 1 تشرين الثاني/ نوفمبر – 31 كانون الأول/ ديسمبر 2021.

كلمات مفتاحية: العراق، تونس، المغرب، مصر، ليبيا، السودان، الجزائر، لبنان.

Keywords: Iraq, Tunisia, Morocco, Egypt, Libya, Sudan, Algeria, Lebanon.



2021/11/1 عبّر حزب التيار الديمقراطي عن رفضه أيّ توجه لتعديل الدستور في ظل الإجراءات الاستثنائية وخارج الآليات والشروط التي نص عليها دستور 2014، مؤكدًا أن "تعديل المنظومة الانتخابية بما في ذلك القانون الانتخابي يكون بالضرورة بتشريك وبحوار جدي حقيقي ومباشر بين القوى السياسية والمدنية والخبراء في المجال".

(**ألترا تونس**، 2021/11/1)

2021/11/2 دعت قوى "إعلان الحرية والتغيير" إلى عودة حكومة عبد الله حمدوك واستئنافها مهماتها المدنية وفق ما تقتضيه الوثيقة الدستورية. وأكّد بيانها ضرورة "محاسبة الانقلابيين وتحقيق العدالة للشهداء والمصابين".

(**ألترا سودان**، 2021/11/2)

2021/11/2 أكد مبعوث الأمم المتحدة إلى السودان أن هناك جهود "وساطة" جارية في السودان وخارجه، لإيجاد مخرج للأزمة التي بدأت مع استيلاء الجيش على السلطة في 25 تشرين الأول/ أكتوبر 2021. في حين أكدت وزارة الإعلام السودانية أن رئيس الـوزراء المُقال عبد الله حمدوك التقى في منزله سفراء دول ما "الترويكا"، التي تضم الولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة والنرويج، وتمسّك بشرعية حكومته والمؤسسات الانتقالية.

(**فرانس 24**، 2021/11/2)

2021/11/2 أكّد رئيس الوزراء السوداني المُقال عبد الله حمدوك أنّ إطلاق سراح الوزراء المعتقلين وعودة حكومته لمباشرة عملها يشكّلان "مدخلًا لحلّ الأزمة" الناجمة عن الانقلاب في السودان.

(**مونت كارلو الدولية**، 2021/11/2)

2021/11/3 توافق عدد من الشخصيات السياسية المستقلة وممثلي الأحزاب والتكتلات الحزبية في ضرورة إجراء الانتخابات الليبية 2021 الرئاسية والبرلمانية في موعدها المحـدد يوم 24 كانون الأول/ ديسمبر، وفقًا للموعد المحدد في خريطة الطريق المنظمة للمرحلة السياسية الحالية.

(**العربي الجديد**، 2021/11/3)

2021/11/4 أعلن المجلس الأعلى للقضاء في تونس "رفضه المساس بالبناء الدستوري للسلطة القضائية، بمقتضى المراسيم، وبالضمانات المكفولة للقضاة وظيفيًا وهيكليًا، وفي مقدمتها وجود المجلس الأعلى للقضاء كمؤسسة دستورية ضامنة لحسن سير القضاء واستقلاله"، وفق نصّ البيان. وجاء هذا البيان ردًا على طلب الرئيس التونسي قيس سعيد من وزيرة العدل إعداد مشروع يتعلّق بالمجلس الأعلى للقضاء.

(**العربي الجديد**، 2021/11/4)

2021/11/4 أصدرت السلطات التونسية، مذكرة جلب وإحضار في حق الرئيس الأسبق منصف المرزوقي، على خلفية تصريح له حول جهوده في تأجيل عقد الفرنكوفونية التي كانت مقررةً أن تُعقد في تونس خلال تشرين الثاني/ نوفمبر 2022.

(**بي بي سي عربي**، 2021/11/4)

2021/11/5 أصيب العشرات من جرّاء اندلاع مواجهات واسعة بين قوات الأمن العراقية وأنصار القوى الخاسرة في الانتخابات الأخيرة، التي نظّمت نفسها أخيرًا ضِمن ما يعرف بـ "الإطار التنسيقي" الذي يضم عدة كتل سياسية حليفة لإيران، ويتزعم هذا التشكيل رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي.

(**العربي الجديد**، 2021/11/5)

2021/11/6 قرّر رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي تشكيل لجنة تحقيق عليا بمشاركة "الحشد الشعبي"، للوقوف على ملابسات المواجهات التي اندلعت بين قوات الأمن وأنصار القوى المعترضة على نتائج الانتخابات.

(**العربي الجديد**، 2021/11/6)

2021/11/6 طالب الأمين العام لحزب "جبهة العمل الإسلامي" الأردني، مراد العضايلة، السلطات الأردنية برفع "القبضة الأمنية عن الحياة السياسية والعامة" عن البلاد، معتبرًا أنه "لا معنى لأي إجـراءات تتعلق بالإصلاح دون وقف هذه القبضة الأمنية، التي تهيمن على الحياة السياسية والحزبية".

(**العربي الجديد**، 2021/11/6)

2021/11/7 قالت المفوضية الوطنية العليا للانتخابات في ليبيا إنها ستفتح باب التسجيل للمرشحين في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية التي أقرتها خريطة طريق تدعمها الأمم المتحدة في 24 كانون الأول/ ديسمبر 2021.

(**الشرق الأوسط**، 2021/11/7)

2021/11/9 أكد 75 ناشطًا حقوقيًا وسياسيًا تونسيًا، في بيان نُشر صباح 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 2021، بعنوان "بيان للرأي العام: دفاعًا عن الديمقراطية ضد الحكم الفردي"، تضمَّن إمضاءاتهم، أنّ "انقلاب قيس سعيّد على الدستور لا يُعد علاجًا للأزمة السياسية السابقة لـ 25 جويلية [تموز/ يوليو] في تونس بل تعميقًا لها ودفعًا بالبلاد إلى المجهول في ظل احتداد الأزمة المالية والاقتصادية والعزلة الدولية التي تردّت فيها جراء هذا الانقلاب".

(**ألترا تونس**، 2021/11/9)

2021/11/9 حددت محكمة جنايات أمن دولة طوارئ التجمع الخامس بمقر المحكمة، الذي سينعقد بمأمورية طرة بمعهد أمناء الشرطة، جلسة 24 تشرين الثاني/ نوفمبر لبدء محاكمة السياسي البارز، رئيس حزب مصر القوية عبد المنعم أبو الفتوح، ونائبه محمد القصاص، وآخرين. وتحدد للقضية رقم الجنائية 1059 لسنة 2021 جنايات.

(**العربي الجديد**، 2021/11/9)

2021/11/9 أعلن الاتحاد العام التونسي للشغل، إضرابًا عامًّا في مدينة عقارب بولاية صفاقس. وقال الاتحاد في بيان له إن الإضراب العام سيشمل القطاعين الخاص والعام. ويأتي قرار المنظمة النقابية ردًّا على التدخل الأمني في المدينة خلال الاحتجاجات التي بدأت مع قرار السلطات المتمثلة بإعادة فتح مصبّ للنفايات في الجهة.

(دويتشه فيله، 2021/11/9)

2021/11/10 حمّلت حركة "النهضة" في تونس، رئيس البلاد قيس سعيد، ووزير الداخلية توفيق شرف الدين، المسؤولية عن الأحداث في مدينة عقارب بولاية صفاقس، ودانـت "اللجوء إلى المنهج الأمني العنيف".

(وكالة الأناضول، 2021/11/9)

2021/11/9 دعا رئيس الحكومة الصومالية، محمد حسين روبلي، في اجتماع مع أعضاء اللجنة الوطنية للانتخابات، عبر تقنية "الفيديو"، اللجان الانتخابية الفنية في عموم البلاد إلى تنظيم انتخابات مقاعد مجلس الشعب (275 عضوًا) قبل نهاية كانون الأول/ ديسمبر المقبل.

(العربي الجديد، 2021/11/9)

2021/11/10 أصدرت الهيئة الإدارية الوطنية للاتحاد العام التونسي للشغل المجتمعة برئاسة الأمين العام نور الدين الطبّوبي، بيانها الذي دعت فيه إلى "توضيح الرؤية السياسية وضبط مسار تصحيح حقيقي" و"الإسراع بإنهاء الغموض المخيّم على الوضع العام ووضع خارطة طريق تنهي المرحلة الاستثنائية وتحدّد الآفاق بما يوفّر شروط الاستقرار ومواصلة بناء الديمقراطية".

(ألترا تونس، 2021/11/10)

2021/11/10 قالت منظمة العفو الدولية إن المحاكم العسكرية في تونس تستهدف المدنيين على نحو متزايد، وبسبب انتقادهم العلني للرئيس قيس سعيد ، في بعض الحالات، منذ أن أعلن استحواذه على سلطات جديدة واسعة النطاق في 25 تموز/ يوليو. وخلال الأشهر الثلاثة الأخيرة وحدها، حقق القضاء العسكري مع ما لا يقل عن عشرة مدنيين، أو حاكمهم، بشأن تُهم متعلقة بجرائم.

(منظمة العفو الدولية، 2021/11/10)

2021/11/14 احتشد مئات التونسيين، اعتراضًا على "الإجراءات الاستثنائية" التي أعلنها الرئيس قيس سعيد، والتي منح نفسه بموجبها كل السلطات في البلاد تقريبًا، بما في ذلك الحكم بموجب مراسيم، في حين حذر الاتحاد العام التونسي للشغل من "انفجارات اجتماعية". وقد تجمّع المتظاهرون في عدد من الشوارع المؤدية إلى ساحة باردو قبالة مقر البرلمان في تونس العاصمة، إثر منعهم من الوصول إليها؛ إذ أغلقت قوات الأمن المداخل المؤدية إلى مقر البرلمان.

(الجزيرة مباشر، 2021/11/14)

2021/11/13 قُتل خمسة متظاهرين وأصيب العشرات بالرصاص وقنابل الغاز المسيل للدموع من جانب قوات الأمن خلال احتجاجات ضد مجلس السيادة الجديد الذي شكّله عبد الفتاح البرهان، قائد الجيش السوداني، وذلك بحسب ما أعلنته لجنة أطباء السودان المركزية. وقالت اللجنة في أحد بياناتها إن العديد من حالات الإصابة الحرجة تتلقى العلاج في المستشفيات بعد إصابتها بطلقات نارية، مشيرةً إلى وجود صعوبات في إيصال المصابين إلى المستشفيات في ظل الإجراءات الأمنية المشددة.

(بي بي سي عربي، 2021/11/13)

2021/11/11 نصّب قائد الجيش السوداني الفريق أول عبد الفتاح البرهان، نفسه من جديد رئيسًا جديدًا لمجلس السيادة، واحتفظ لأربعة عسكريين آخرين بمقاعدهم في المجلس. ونقلت وسائل الإعلام الحكومية السودانية ما سمّته "مرسومًا دستوريًا" أعاد فيه البرهان تشكيل مجلس السيادة المكون من 13 شخصًا، منهم 5 عسكريين، هم الفريق أول عبد الفتاح البرهان رئيسًا، والفريق أول محمد حمدان دقلو (حميدتي)، قائد قوات الدعم السريع، نائبًا أول لرئيس المجلس، وعضوية الفريق شمس الدين الكباشي، والفريق ياسر العطا، والفريق إبراهيم جابر.

(العربي الجديد، 2021/11/11)

2021/11/11 أصدرت اللجنة الوطنية للانتخابات في الصومال، جدولًا جديدًا لتنظيم انتخابات مقاعد مجلس الشعب الصومالي، البالغ عددها 275 مقعدًا، والتي ستنطلق من عشر دوائر انتخابية في الأقاليم الفدرالية الخمسة في البلاد.

(العربي الجديد، 2021/11/11)

2021/11/12 أعرب الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى السودان فولكر بيرتس، عن قلقه من أن تعيين مجلس سيادة جديد من قبل قائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان "يزيد من صعوبة العودة إلى النظام الدستوري". وقالت بعثة الأمم المتحدة المتكاملة لدعم المرحلة الانتقالية في السودان، في أحد بياناتها، إن بيرتس أكد مجددًا خلال إحاطة أمام مجلس الأمن الدولي "أهمية التوصّل إلى حلّ عاجل عن طريق المفاوضات لإعادة الحياة السياسية والاقتصادية إلى طبيعتها".

(العربية نت، 2021/11/12)

2021/11/14 طالب المجلس الرئاسي الليبي بضرورة إجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية الليبية بشكل متزامن، واتخاذ كل ما يلزم لتحقيق عملية انتخابية شاملة لـ "تعزيز فرص بناء الثقة بين كل الأطراف".

(مرصد، 2021/11/14)

2021/11/15 أكدت حركة النهضة، في أحد بياناتها، دعمها للتحرك الاحتجاجي الذي وقع في باردو قرب البرلمان التونسي، مستنكرةً مَنْع

عديد المتظاهرين من الوصول إلى العاصمة التونسية، أو إلى منطقة باردو، بالقرب من البرلمان، مكان التظاهرة، واستنكرت كذلك ما اعتبرته "اعتداءات" سُلّطت عليهم، وصفتها بـ "الاعتداءات المتكررة التي صارت سياسة رسمية للسلطة منذ انقلاب 25 جويلية [تموز/ يوليو] الماضي".

(ألترا تونس، 2021/11/15)

2021/11/15 أعلنت المفوضية العليا للانتخابات، بدء عمليات العد والفرز اليدوي للمحطات في بغداد، وذلك وفق قرار من الهيئة القضائية.

(ألترا عراق، 2021/11/15)

2021/11/18 قضت محكمة النقض المصرية بتأييد قرار محكمة جنايات القاهرة إدراج رئيس حزب "مصر القوية"، المرشح الرئاسي السابق عبد المنعم أبو الفتوح، والناشط السياسي علاء عبد الفتاح، والمحامي الحقوقي محمد الباقر، و25 آخرين من المعتقلين السياسيين على ذمة القضية رقم 1781 لسنة 2019، على قوائم الإرهابيين لمدة خمس سنوات من تاريخ صدور القرار في 23 تشرين الثاني/ نوفمبر 2020.

(العربي الجديد، 2021/11/18)

2021/11/18 أعلن الرئيس التونسي قيس سعيد أنه يعمل على وضع جدول زمني لإصلاح النظام السياسي، وهي خطوة وصفها بأنها "ضرورية لإنقاذ تونس وسط شلل اقتصادي وتفشي الفساد في البلاد".

(ميدل إيست أونلاين، 2021/11/18)

2021/11/20 جــددت رئيسة الحزب الدستوري الحر عبير موسي دعوتها لحل البرلمان وتحديد موعد للانتخابات التشريعية المبكرة خلال وقفة احتجاجية للحزب أمام مقر رئاسة الحكومة بالقصبة. وشددت على أن الجميع ساهم في تدمير الشعب التونسي، داعية إلى ضرورة تسقيف الإجراءات الاستثنائية، وفق تصريحها.

(شمس أف أم، 2021/11/20)

2021/11/21 أكد المجلس المركزي القيادي لقوى إعلان الحرية والتغيير موقفه "الواضح والمعلن مسبقًا، بأن لا تفاوض ولا شراكة ولا شرعية للانقلابيين". وشدّد المجلس على أنّ قوى التغيير ليست معنية بأي اتفاق مع من وصفها بـ "الطغمة الغاشمة"، مبينًا أنه "يعمل بكل الطرق السلمية المجربة والمبتكرة على إسقاطها رفقة كل قوى الثورة الحية والأجسام المهنية ولجان المقاومة وكل الشرفاء".

(التلفزيون العربي، 2021/11/21)

2021/11/21 أوضحت سفارة الولايات المتحدة الأميركية بتونس، في بلاغ لها، أن وزير الخارجية أنتوني بلينكن أجرى مكالمة هاتفية مع الرئيس التونسي قيس سعيد لمناقشة ما جدّ من تطوّرات في تونس، بما في ذلك تشكيل الحكومة الجديدة، وخطوات تخفيف وطأة الوضع الاقتصادي. وقد شجّع الوزير الأميركي الرئيس سعيد على انتهاج عملية إصلاح شفّافة تشرك جميع الأطراف لمعالجة التحدّيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهمة التي تواجهها تونس، وعلى الاستجابة لتطلّعات شعبها من خلال استمرار التقدّم الديمقراطي.

(موزاييك أف أم، 2021/11/21)

2021/11/21 وقّع القائد العام للجيش السوداني عبد الفتاح البرهان، اتفاقًا سياسيًا مع رئيس الوزراء عبد الله حمدوك؛ بهدف إنهاء الأزمة التي تمرّ بها البلاد منذ نحو شهر، وذلك في أعقاب ضغوط دولية مكثفة ومظاهرات متواصلة تطالب بالحكم المدني.

(وكالة الأناضول، 2021/11/21)

2021/11/23 نّبه المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية من العودة إلى ممارسات سابقة من "تنكر للحقوق وقمع للاحتجاجات المشروعة وإحكام القبضة الأمنية على الفضاء العام"، داعيًا "رئيس الدولة إلى تكريس احترام الدولة لتعهداتها إزاء الملفات الاجتماعية والعمل على طرح حلول وتقديم إجابات لانتظارات فئات واسعة من التونسيين" وتَبَنِّي "صورة الدولة الضامنة للحقوق والحريات والتي تلتزم بتعهداتها".

(ألترا تونس، 2021/11/23)

2021/11/23 تلقى رئيس مجلس السيادة الفريق أول ركن عبد الفتاح البرهان، اتصالًا هاتفيًا، من وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية أنتوني بلينكن، هنّأه فيه بتوقيع الاتفاق السياسي مع رئيس الوزراء عبد الله حمدوك، والذي يمهد الطريق نحو تنفيذ مسار الانتقال الديمقراطي.

(ألترا سودان، 2021/11/23)

2021/11/23 قالت منظمة "هيومن رايتس ووتش" إن قوات الأمن استخدمت القوة المفرطة استخدامًا متكررًا، بما في ذلك القوة القاتلة، ضد المتظاهرين في الخرطوم وجوارها، وإنه قُتل 16 شخصًا بالرصاص في 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 2021، من بينهم امرأة وطفل، وذلك في أكثر الردود دموية على الإطلاق، وإنّ المتظاهرين خرجوا من جديد إلى الشوارع في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر، رغم الإعلان عن إطلاق سراح عبد الله حمدوك، رئيس الوزراء، وتوقيعه اتفاق مع الجيش.

(هيومن رايتس ووتش، 2021/11/23)

2021/11/25 أعلنت المفوضية العليا المستقلة للانتخابات تطابق نتائج جميع عمليات العد والفرز اليدوي للمحطات المطعون في نزاهتها مع النتائج الإلكترونية المعلن عنها سابقًا بنسبة 100 في المئة. وجاء ذلك بعد إنهاء المفوضية جميعَ عمليات إعادة العد والفرز اليدوي، التي كان آخرها، في 25 تشرين الثاني/ نوفمبر، متعلقًا بمحطات محافظة نينوى، وقد جرى ذلك بناءً على قرار الهيئة القضائية للانتخابات.

(روووداو عربية، 2021/11/25)

2021/11/26 أعلن حزب "الأمة القومي" السوداني، دعمه الاتفاق السياسي بين رئيسَي مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان ومجلس الوزراء عبد الله حمدوك.

(وكالة الأناضول، 2021/11/26)

2021/11/30 أعلنت المفوضية العليا المستقلة للانتخابات العراقية النتائج النهائية للاقتراع الذي جرى في 10 تشرين الأول/ أكتوبر، وقالت إن إعادة الفرز اليدوي أسفرت عن تغيير 5 مقاعد فقط في كل من محافظات بغداد وأربيل والموصل والبصرة وكركوك. وذكرت المفوضية أن نسبة المشاركة في الانتخابات البرلمانية بلغت 44 في المئة من أصل أكثر من 22 مليون ناخب يحق لهم الإدلاء بأصواتهم. ووفق النتائج النهائية، تأكد فوز الكتلة الصدرية التي يتزعمها مقتدى الصدر بأكبر عدد للمقاعد البرلمانية، وذلك بحصولها على 73 مقعدًا في البرلمان المكون من 329 مقعدًا. وكان للتيار 54 مقعدًا في البرلمان الماضي.

(الجزيرة نت، 2021/11/30)

2021/12/2 استنكرت حركة النهضة، ما اعتبرته "استغلال رئيس الدولة قيس سعيّد اجتماعه بالمجلس الأعلى للجيوش لتصفية حساباته مع خصومه مصرًّا على إقحام المؤسسة العسكرية في الشأن السياسي"، مؤكدةً ضرورة احترام مهمات الجيش كما حددها الدستور، وإبعاده عن التجاذبات السياسية وصراعات الأحزاب ومنافساتها".

(ألترا تونس، 2021/12/2)

2021/12/5 أبلغت لجان المقاومة السودانية مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة رئيس البعثة الأممية المتكاملة لدعم الانتقال في البلاد، فولكر بيرتس، رفضها الاعتراف بالاتفاق الموقع بين قائد الجيش عبد الفتاح البرهان ورئيس الوزراء عبد الله حمدوك.

(العربي الجديد، 2021/12/5)

2021/12/7 أوضح رئيس المجلس الأعلى للقضاء يوسف بوزاخر، في تصريح لبرنامج "موزاييك بلوس"، أن رئيس الجمهورية قيس سعيد تحدث في مناسبات عديدة مع الهياكل القضائية حول الملفات الكبرى وأبرزها مسألة إصلاح القضاء، قائلًا إن لقاء يوم أمس تناول تقرير دائرة المحاسبات وملفات محاربة الفساد والعوائق التي واجهت القضاء.

(موزاييك أف أم، 2021/12/7)

2021/12/8 أعلن المجلس الأعلى للدولة في ليبيا عن إطلاقه مبادرة لإنقاذ العملية الانتخابية في البلاد، تتضمن تأجيل الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، وإجراءها في شباط/ فبراير من العام المقبل.

(العربي الجديد، 2021/12/8)

2021/12/9 أعلن حزب الأمة القومي رفضه للاتفاق السياسي الموقع بين رئيس الوزراء عبد الله حمدوك وقائد الجيش الفريق أول عبد الفتاح البرهان في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر، وقال إن الاتفاق لا يستجيب لمعالجة الأزمات التي تواجه البلاد.

(ألترا سودان، 2021/12/9)

2021/12/10 قال ممثل الأمين العام، ورئيس بعثة الأمم المتحدة المتكاملة لدعم المرحلة الانتقالية في السودان (يونيتامس)، فولكر بيرتس، إن العملية الانتقالية السياسية في السودان ظلت تمرّ، خلال الأسابيع الستة الماضية، بأكبر أزمة تشهدها منذ بدايتها، مشيرًا إلى أن تلك الأزمة لم تنته بعد، لكن المناقشات حول المضيّ قُدمًا قد بدأت.

(أخبار الأمم المتحدة، 2021/12/10)

2021/12/10 كشف تحقيق استقصائي أجرته دويتشه فيله، أن قوات الدعم السريع والأمن السوداني يستهدف المتظاهرين العزّل بسلاح ثقيل، وهو ما نتج منه إصابات مباشرة أدت إلى وقوع وفيات عديدة.

(دويتشه فيله، 2021/12/10)

2021/12/11 عبّرت ثلاثة أحزاب سياسية، هي حزب العمال، وحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، وحزب جبهة القوى الاشتراكية، عن قلق بالغ من استمرار ما وصفته بالتضييق على الحريات، ومنع التجمعات في الجزائر، والمزيد من حملات الاعتقال في حق الناشطين في الحراك الشعبي، مطالبةً السلطات بالإفراج الفوري عن معتقلي الرأي، والحدّ من الملاحقات القضائية التي شملت سبعة آلاف ناشط منذ شباط/ فبراير 2019.

(العربي الجديد، 2021/12/11)

2021/12/12 رفض الأمين العام لحزب "التيار الديمقراطي"، غازي الشواشي، حديث سعيّد، معتبرًا إياه "انزلاقًا خطيرًا نحو الانحراف بالسلطة وتكريسًا للحكم الفردي"، داعيًا إلى "العودة فورًا للمسار الدستوري". وقال الشواشي إنه بعد نحو خمسة أشهر من "استحواذ" سعيّد على السلطة، اكتشف الشعب التونسي مدى "هوس" الرئيس بامتلاكها.

(بي بي سي عربي، 2021/12/12)

2021/12/13 دعت منظمة العفو الدولية إلى إظهار الحقيقة بشأن وفاة الصحافي محمد تامالت في السجن قبل خمس سنوات، وهو المطلب نفسه الذي ترفعه عائلته من دون أن تتمكن من ذلك. وكتب فرع المنظمة بالجزائر منشورًا على صفحته الرسمية بموقع "فيسبوك"، قائلًا: "اليوم تمرّ خمس سنوات على وفاة الصحافي محمد تامالت في مستشفى لامين دباغين بباب الواد. لم تعلن نتائج التحقيق في ظروف وفاته. سنواصل المطالبة بتحقيق العدالة".

(ألترا جزائر، 2021/12/13)

2021/12/13 أعلنت جمعية القضاة في تونس، رفضها اعتبار رئيس البلاد قيس سعيد القضاء "وظيفة داخل الدولة"، مشددةً على استقلال السلطة القضائية.

(وكالة الأناضول، 2021/12/13)

2021/12/13 أعلن الرئيس التونسي قيس سعيّد، في خطاب توجه به إلى الشعب التونسي، عن جملة من القرارات الجديدة في مواصلة للإجراءات الاستثنائية التي كان قد أعلن عنها في 25 جويلية [تموز/ يوليو] 2021 والأمر الرئاسي عدد 117 الذي كان قد أعلن عنه في 22 أيلول/ سبتمبر 2021.

(ألترا تونس، 2021/12/13)

2021/12/17 انطلقت في شارع الحبيب بورقيبة وسط العاصمة تونس مظاهرات للاحتجاج على قرارات الرئيس قيس سعيد، تلبيةً لدعوة أطلقتها مبادرة "مواطنون ضد الانقلاب". وفي المقابل، نظّم أنصار الرئيس وقفة أمام المسرح البلدي بالشارع نفسه.

(الجزيرة نت، 2021/12/17)

2021/12/17 أكدت السعودية والإمارات والولايات المتحدة وبريطانيا دعمَ الاتفاق السياسي في السودان، الذي جرى إبرامه في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي بين رئيس مجلس السيادة الفريق عبد الفتاح البرهان، ورئيس الوزراء عبد الله حمدوك، وذلك لإعادة الاستقرار إلى البلاد، ومواصلة المسار الديمقراطي.

(الشرق الأوسط، 2021/12/17)

2021/12/19 قال رئيس الوزراء السوداني، عبد الله حمدوك، إن الاتفاق السياسي أكثرُ الطرق فعالية للعودة إلى مسار التحول المدني الديمقراطي، مضيفًا أن توقيعه الاتفاق السياسي جاء لقناعته بأنه سيؤدي إلى حقن دماء الشباب. وأكد حمدوك تمسك الحكومة بالعدالة لضحايا التظاهرات ومحاسبةِ مرتكبي الجرائم والانتهاكات في حق المواطنين.

(العربية نت، 2021/12/19)

2021/12/19 قضت محكمة مصرية متخصصة في قضايا الإرهاب بالسجن المؤبد في حق محمود عزت، القائم بأعمال مرشد جماعة الإخوان، في القضية المعروفة إعلاميًّا بـ "التخابر مع حماس".

(القدس العربي، 2021/12/19)

2021/12/20 قضت محكمة مصرية بسجن الناشط علاء عبد الفتاح لمدة 5 سنوات وغرامة في حقه تبلغ 200 ألف جنيه، وقضت أيضًا بسجن المتهمين، المحامي محمد الباقر، والمدوّن محمد "أكسجين" لمدة 4 سنوات بتهمة "الانضمام لجماعة إرهابية".

(سي إن إن عربي، 2021/12/20)

2021/12/22 حددت الرئاسة الجزائرية تاريخ 5 شباط/ فبراير القادم، موعدًا لانتخابات التجديد النصفي لأعضاء مجلس الأمة (الغرفة الثانية للبرلمان).

(ألترا جزائر، 2021/12/22)

2021/12/23 صدر حكم ابتدائي غيابي في حق الرئيس التونسي السابق محمد المنصف المرزوقي يقضي بسجنه "لمدة أربع سنوات، مع الإذن بالنفاذ العاجل"، وذلك بتهمة "الاعتداء على أمن الدولة الخارجي".

(ألترا تونس، 2021/12/23)

2021/12/26 أعلنت لجنة الانتخابات الفدرالية الصومالية سحبَ ثقتها من رئيسها محمد حسن عرو، وذلك بعد اتهامات له بالتقصير في أداء الواجبات المنوطة به.

(العربي الجديد، 2021/12/26)

2021/12/26 أقرت اللجنة القانونية في مجلس النواب، أثناء اجتماعها برئاسة المحامي عبد المنعم العودات، مشروع تعديل الدستور الأردني لسنة 2021. وأشار العودات، في مؤتمر صحفي عقب الاجتماع، إلى أبرز التعديلات التي أدخلتها اللجنة على المشروع، وأهمها دعوة جلالة الملك إلى انعقاد مجلس الأمن الوطني والسياسة الخارجية في حالة الضرورة، وتغيير مسمى المجلس بحيث يصبح "مجلس الأمن القومي" بدلًا من "الوطني".

(وكالة الأنباء الأردنية "بترا"، 2021/12/26)

2021/12/27 دانت محكمة الجنايات الابتدائية بالدار البيضاء الناشطَ السياسي رشيد نكاز، وقضت بسجنه لمدة عامٍ، مع النفاذ، وغرامة مالية قيمتها 30 ألف دينار جزائري، عن جناية الشروع في منع المواطنين من ممارسة حق الانتخاب بواسطة خطة مدبرة للتنفيذ على أراضي الجمهورية.

(الشروق، 2021/12/27)

2021/11/27 بلغت نسبة المشاركة في الاقتراع الخاص بانتخاب أعضاء المجالس الشعبية البلدية في الجزائر 35.97 في المئة، وذلك عند إغلاق مراكز التصويت، في حين بلغت 34.39 في المئة بالنسبة إلى انتخاب أعضاء المجالس الولائية، بحسب ما أعلن عنه رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات، محمد شرفي.

(وكالة الأنباء الجزائرية، 2021/12/27)

2021/12/28 وضعت منظمة "فريدوم هاوس"، الأميركية، الجزائرَ في خانة الدول غير الحرة لسنة 2020، وذلك في التصنيف الدولي الذي تجريه كل سنة. وحصلت الجزائر بحسب المنظمة غير الحكومية على تقييم شامل بـ 34 من 100، وهو ناتج ما نالته في محور الحقوق السياسية (10 من 40) والحرّيات المدنية (24 من 60). ويُعنى التقرير بأحداث سنة 2019 التي شهدت الحراك الشعبي، وهو بذلك

لا يتضمن تقييمًا للدستور الجديد والقوانين والإجراءات التي أفضت إلى الانتخابات التشريعية والمحلية الأخيرة.

(**ألترا جزائر**، 2021/12/28)

2021/12/28 ذكرت الولايات المتحدة أن محاولة وقف رئيس الوزراء الصومالي محمد حسين روبلي عن العمل تثير القلق، مؤكدةً أنها تدعم جهوده لإجراء انتخابات سريعة وذات صدقية.

(**العربي الجديد**، 2021/12/28)

2021/12/28 دعا "الإطار التنسيقي"، الذي يضم القوى السياسية المعترضة على نتائج الانتخابات العراقية، أنصاره من المتظاهرين والمعتصمين إلى إنهاء حراكهم والانسحاب من أمام بوابات المنطقة الخضراء المحصنة، التي تضم البعثات الدبلوماسية الغربية ومقارّ الحكومة، وذلك بعد مرور أكثر من شهرين على تنظيم احتجاجات واسعة ضد ما اعتبروه "تلاعبًا بنتائج الانتخابات".

(**العربي الجديد**، 2021/12/28)

2021/12/29 أعلنت الرئاسة اللبنانية أن الرئيس ميشال عون وقّع مرسومًا لإجراء الانتخابات البرلمانية في أيار/ مايو المقبل. وقالت الرئاسة اللبنانية، في أحد بياناتها، إن عون وقّع مرسوم دعوة الهيئات الناخبة لانتخاب أعضاء مجلس النواب في 15 أيار/ مايو بالنسبة إلى المقيمين، مضيفةً أن الانتخابات ستكون "في الـ 12 من أيار/ مايو للموظفين المشاركين في العملية الانتخابية، وفي الـ 6 والـ 8 من أيار/ مايو لغير المقيمين على الأراضي اللبنانية".

(**الميادين**، 2021/12/29)

2021/12/29 عقد أعضاء الهيئة التنفيذية لحملة "مواطنون ضد الانقلاب" وقيادات من مبادرة "اللقاء الوطني للإنقاذ"، اجتماعًا مثّل أول لقاء مشترك رسمي بين المكوّنين "من أجل إيجاد صيغ للعمل المشترك وتوسيع التشاور مع مختلف القوى السياسية والمدنية في أفق الإعداد لندوة وطنية استشارية"، وذلك وفق بلاغ مشترك نشر في صفحة "مواطنون ضد الانقلاب" على "فيسبوك".

(**ألترا تونس**، 2021/12/29)

2021/12/29 شدد سفير الولايات المتحدة الأميركية في تونس دونالد بلوم، خلال لقائه رئيسة الحكومة التونسية نجلاء بودن رمضان، على "أهمّية أن تؤمّن تونس من الآن فصاعدًا عمليّة تشاور سياسي شفّافة تشمل الجميع".

(**العربي الجديد**، 2021/12/29)

2021/12/31 تجددت المطالب السياسية في الجزائر بمراجعة القوانين التي تنظم العمل السياسي في الجزائر، وذلك بعد هدوء رافق التعديل الدستوري والانتخابات البرلمانية والمحلية، وقد جاء ذلك بمطالب من جبهة التحرير الوطني، وحركة البناء الوطني، والتجمع الوطني الديمقراطي.

(**إندبندنت عربية**، 2021/12/31)

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Documents of Democratic Transition in the Arab World

يرصد هذا الباب أبرز الوثائق السياسية ذات الصلة بالتحول الديمقراطي في الوطن العربي. وننشر، في هذا العدد، عددًا من الوثائق من السودان وتونس. ونقف عند نشر الوثائق الخاصة بشهري تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر 2021.

كلمات مفتاحية: تونس، السودان، قيس سعيد، عبد الله حمدوك، عبد الفتاح البرهان.

Keywords: Tunisia, Sudan, Kais Saied, Abdalla Hamdok, Abdel Fattah al-Burhan.

الوثيقة (1)

دعوة قوى "إعلان الحرية والتغيير" إلى عودة حكومة عبدالله حمدوك

بسم الله الرحمن الرحيم

قوى إعلان الحرية والتغيير

بيان مهم

انعقد ظهر اليوم الاثنين الموافق الأول من نوفمبر 2021م بدار الأمة بأم درمان اجتماع المجلس المركزي القيادي لقوى إعلان الحرية والتغيير ..

أولًا: ترحم الاجتماع على أرواح الشهداء وتمنى عاجل الشفاء للجرحى والمصابين

ثانيًا: ناقش الاجتماع الأوضاع الراهنة في البلاد وخلص إلى القرارات التالية:

1) إسقاط الانقلاب العسكري

2) التأكيد على محاسبة الانقلابيين وتحقيق العدالة للشهداء والمصابين

3) إطلاق سراح جميع المعتقلين فورًا والعودة للنظام الدستوري ما قبل ٢٥ أكتوبر

4) عودة رئيس الوزراء وحكومته للقيام بمهامهم وفقًا للوثيقة الدستورية

5) التاكيد القاطع بأنه لا حوار ولا تفاوض وأن الحرية والتغيير هيكل اتصال معروف ومتفق عليه، يهتم الآن بتوحيد قوى الثورة الحية والقوى المدنية والديمقراطية.

الإثنين 1 نوفمبر 2022م

المجلس المركزي القيادي لقوى الحرية والتغيير

دار الأمة_أم درمان

جهة الإصدار: قوى إعلان الحرية والتغيير.

المصدر: الصفحة الرسمية على موقع فيسبوك لقوى إعلان الحرية والتغيير، 2021/11/1، شوهد في 2022/5/12، في: https://bit.ly/3PjzI9J

الوثيقة (2)

بيان المجلس الأعلى للقضاء في تونس يعلن فيه رفضه المساس بالبناء الدستوري للسلطة القضائية

الجمهورية التونسية



المجلس الأعلى للقضاء

تونس في: 2021/11/4

بيـــــان

إن المجلس الأعلى للقضاء المنعقد بجلسته العامة الطارئة بتاريخ 4 نوفمبر 2021 ومتابعة منه لما ورد ببيان مجلس الوزراء المنعقد يوم 28 أكتوبر 2021 من تعهيد لوزيرة العدل بإعداد مشروع يتعلق بالمجلس الأعلى للقضاء يعلن عما يلي:

أولا: يرفض المساس، بمقتضى المراسيم، بالبناء الدستوري للسلطة القضائية وبالضمانات المكفولة للقضاة وظيفيا وهيكليا وفي مقدمتها وجود المجلس الأعلى للقضاء كمؤسسة دستورية ضامنة لحسن سير القضاء واحترام استقلاله.

ثانيا: يشدد على أن أي إصلاح يتعلق بالمجلس الأعلى للقضاء ينبغي أن يكون في نطاق المبادئ والضوابط التي جاء بها الدستور وليس في إطار التدابير الاستثنائية المتعلقة بمجابهة خطر داهم.

ثالثا: ينبه إلى خطورة الضغط على القضاء والمساءلة خارج الأطر والضمانات القانونية.

رابعا: يؤكد على مواصلة انخراط المجلس في مسار الإصلاح ومحاربة الفساد والإرهاب ويجدّد دعوته إلى ضرورة تعهيد القضاء بالملفات.

عن الجلسة العامة

رئيس المجلس



جهة الإصدار: المجلس الأعلى للقضاء في تونس.

المصدر: نون بوست، 2021/11/8، شوهد في 2022/5/12، في: https://bit.ly/3l0tWMn

الوثيقة (3)

75 ناشطًا حقوقيًا وسياسيًا تونسيًا ينشرون بيانًا للرأي العام دفاعًا عن الديمقراطية ضد الحكم الفردي

بيان للرأي العام:

دفاعًا عن الديمقراطية ضد الحكم الفردي.

بعد مرور مائة يوم على انقلاب رئيس الجمهورية على الدستور وخرق أحكامه وتقويض مبدأ التفريق بين السلطات وتهديد الحقوق والحريات والعودة إلى نظام الحكم الفردي المطلق الذي عانت منه البلاد على مدى عقود وأنهته ثورة الحرية والكرامة.

مائة يوم تم فيها تعليق العمل بدستور الجمهورية الثانية وإلغاء الهيئات الرقابية والتعديلية ومنح فيها رئيس الجمهورية لنفسه بنفسه سلطة إصدار المراسيم دون إمكانية للطعن فيها أمام القضاء.

مائة يوم دخلت فيها الدولة التونسية عزلة دبلوماسية غير مسبوقة وتعطل فيها الحوار مع مؤسسات الإقراض الدولية مما انعكس سلبًا على تعبئة موارد الدولة وبات يهدد الأوضاع الاقتصادية بالانهيار.

مائة يوم تراجعت فيها أوضاع الحقوق والحريات إلى مستويات خطيرة عرفت فيها البلاد إجراءات المنع الجماعي من السفر وإخضاع شخصيات وطنية للإقامة الجبرية وأحيل فيها نواب وإعلاميون على القضاء العسكري وتمت شيطنة كل مخالف للرأي حدّ وصف المعارضين بالحشرات والخلايا السرطانية واتهامهم بالخيانة الوطنية، وصولًا إلى إصدار بطاقة جلب دولية في حق الرئيس الأسبق الدكتور محمد المنصف المرزوقي على خلفية تصريحات إعلامية.

مائة يوم اتسمت بالتهجم على القضاء وبسعي محموم لضرب استقلاله ووضع اليد عليه عبر تكليف وزيرة العدل بإعداد مرسوم لتطويعه نهائيًا.

مائة يوم رفض خلالها رئيس الجمهورية التواصل والحوار مع القوى الحية في البلاد في ظل سيطرة خطاب متوتر وتقسيمي زاد في شحن المناخ السياسي بدل العمل على تنقيته.

مائة يوم مر نصفها الأول دون حكومة وتشكلت في نصفها الثاني حكومة لا يكاد المرء يلمس أثرًا لوجودها.

وانطلاقًا من تمسكهم بدولة القانون والمؤسسات فإن الممضين على هذا البيان:

يعتبرون أن أزمة النظام السياسي بلغت ليلة 25 جويلية 2021 ذروتها وانتهت إلى حالة من الشلل التام لمؤسسات الدولة التي عجزت عن أداء وظائفها فغرق الاقتصاد في أزمته المزمنة فيما عجزت البلاد عن مواجهة جائحة كورونا التي حصدت حياة الآلاف من التونسيين بسبب فشل الحكومات المتعاقبة منذ الثورة وخاصة الائتلاف الحاكم بقيادة حركة النهضة.

- يؤكدون أن انقلاب قيس سعيد على الدستور لا يعد علاجًا للأزمة السياسية السابقة لـ 25 جويلية بل تعميقًا لها ودفعًا بالبلاد إلى المجهول في ظل احتداد الأزمة المالية والاقتصادية والعزلة الدولية التي تردت فيها جراء هذا الانقلاب،
- يعلنون تجندهم للدفاع عن الديمقراطية والعودة إلى الشرعية الدستورية في ظل ديمقراطية تمثيلية تكفل الفصل بين السلطات وتحمي الحقوق والحريات،
- يعتبرون أن أي إصلاح يمس النظام السياسي أو القانون الانتخابي أو الوضع الدستوري للقضاء لا يمكن أن يتمّ إلا من خلال حوار وطني جامع وشامل يبلور الخيارات ويحدد آليات العودة إلى الشرعية الدستورية،
- يعتبرون أن إنقاذ تونس من أزمتها المالية والاقتصادية والاجتماعية الخانقة يمر حتمًا عبر حوار وطني يرسم خطوط ومحاور برنامج الإنقاذ،
- يتعهدون بالعمل مع كافة المنظمات الاجتماعية والأحزاب السياسية والشخصيات الوطنية والتواصل مع المواطنين قصد التصدي لنظام الحكم الفردي المطلق والدفاع عن الحريات وضمان الفصل بين السلطات.

الإمضاءات:

- العياشي الهمامي
- أنور القوصري
- يسرى فراوس
- رشيد خشانة
- دليلة مصدق
-- غازي الشواشي
- عصام الشابي
- الصافي سعيد
- رامي الصالحي
- سهام بن سدرين
- فتحي التوزري
- محمد الحامدي
-خالد شوكات
- طارق الفتيتي
- سفيان المخلوفي
- الأزهر الشملي
- رضا بالحاج
- ياسين العياري
- شيماء عيسى
- وليد جلاد
- محمود الماي: خبير ونائب مؤسس
- سعيد المشيشي: كاتب دولة سابق
- نزار عمامي: يساري مستقل
- فدوى إبراهيم: محامية
- عبداللطيف الهرماسي: جامعي وناشط سياسي
- عبدالسلام الككلي: جامعي وناشط سياسي
- شكري الجلاصي: ناشط سياسي
- منير الفلاح: ناشط ثقافي
- رجاء الشامخ: ناشطة سياسية
- فرج فنيش: موظف سام سابق بالأمم المتحدة
- محمد الصحبي الخلفاوي: جامعي وإعلامي
- الطيب الهويدي: مدير مكتب دراسات وناشط سياسي
- زياد الهاني: إعلامي
- آمال بن عبد الله: ناشطة بالمجتمع المدني
- نعمان الفقيه: محام
- عمر المستيري: ناشط حقوقي
- محمد الصالح فليس: ناشط حقوقي وسياسي
- علي بن جدو: ناشط سياسي يساري
- عيدة بن يوسف: ناشطة حقوقية
- عبدالواحد اليحياوي: ناشط سياسي
- فوزي المعلاوي: محام
- الحبيب جبريل الزيادي: عضو هيئة مديرة سابق للرابطة
- درة إسماعيل: مهندسة
- محمود السماوي: ناشط سياسي
- توفيق الجريدي: رئيس سابق لفرع الرابطة بقابس
- حامد الماطري: ناشط سياسي
- المولدي الفاهم: ناشط سياسي
- نادية إبراهيم: جامعية وناشطة سياسية
- رضا السماوي: طبيب وناشط سياسي
- رجاء الطرابلسي: محامية
- كمال الشارني: صحافي وكاتب
- مصباح شنيب: أستاذ وناشط سياسي
- ماهر العباسي: ناشط سياسي
- جلال الماطري: ناشط بالمجتمع المدني
- عبدالرزاق بن خليفة: كاتب دولة سابق
- نادر رشيد: جامعي وناشط سياسي
- رياض المرابط: جامعي وناشط سياسي
- صالح الوسلاتي: ناشط سياسي
- فتحي تيتاي: عضو الهيئة المديرة للرابطة
- جمال المالكي: عضو الهيئة المديرة للرابطة
- سامي بن غربية
- عادل اللطيفي: أستاذ وناشط سياسي
- ناجي الخشناوي: كاتب وإعلامي
- مراد دلش: محام وناشط سياسي
- محمد الهادي بن سعيد: ناشط حقوقي وسياسي
- حمزة المدب
- فرج معتوق: جامعي
- فيصل النقاطي: محام
- إبراهيم الساعي: رئيس فرع الرابطة بقفصة
- الطيب بن عثمان: معلم نقابي سابق
- عادل القادر: كاتب وإعلامي
- محسن بن حامد: ناشط يساري
- منيرة يعقوب: ناشطة سياسية مستقلة
- لطفي عزالدين: عضو هيئة الوقاية من التعذيب
- محمود الوسلاتي: نائب أول لرئيس الرابطة سابقًا.

جهة الإصدار: بيان نشطاء سياسيين في تونس.

المصدر: صفحة عصام الشابي على فيسبوك، 2021/11/9، شوهد في 2022/5/12، في: https://bit.ly/3yyCGBo

الوثيقة (4)

بيان منظمة العفو الدولية يشير إلى ارتفاع مقلق في عدد المدنيين الذي يَمْثلون أمام محاكم عسكرية

قالت منظمة العفو الدولية اليوم إن المحاكم العسكرية في تونس تستهدف المدنيين بشكل متزايد، وفي بعض الحالات، بسبب انتقادهم العلني للرئيس قيس سعيد منذ أن أعلن استحواذه على سلطات جديدة واسعة النطاق في 25 جويلية [يوليو/ تموز]. وخلال الأشهر الثلاثة الأخيرة وحدها، حقق القضاء العسكري مع ما لا يقل عن عشرة مدنيين، أو حاكمهم، بشأن مجموعة من الجرائم. وسلّطت المنظمة الضوء على أربع حالات مثل فيها مدنيون أمام القضاء العسكري لمجرد انتقادهم الرئيس: وهي حالة المذيع التلفزيوني عامر عياد، وحالتا النائبين في البرلمان عبد اللطيف العلوي وياسين العياري، وحالة الناشط على فيسبوك، سليم الجبالي.

وقالت: "لا ينبغي أبدًا محاكمة المدنيين أمام محاكم عسكرية. ومع ذلك، في تونس، يبدو أن عدد المدنيين الذين يمثلون أمام نظام القضاء العسكري يتزايد بمعدل مقلق للغاية - ففي الأشهر الثلاثة الماضية وحدها، فاق عدد المدنيين الذين مثلوا أمام المحاكم العسكرية عددهم في السنوات العشر السابقة مجتمعة".

"وفي أربع حالات، يمثل المدنيون أمام المحاكم العسكرية لمجرّد التعبير السلمي عن رأيهم المنتقد للحكومة. وبينما يناقش التونسيون المستقبل الغامض لبلدهم، من المهم أكثر من أي وقت مضى أن تحمي السلطات حقهم في القيام بذلك بحرية - حتى عندما يُعتبر ذلك 'مهينًا' - دون خوف من الاضطهاد".

في 22 سبتمبر/ أيلول، أصدر الرئيس قيس سعيد المرسوم بقانون رقم 117، الذي يعطل جميع فصول الدستور التونسي باستثناء فصلين والتوطئة، ما يمنح الرئيس السيطرة على معظم جوانب الحكم، بما في ذلك الحق في التشريع من خلال المراسيم، وتنظيم وسائل الإعلام، والمجتمع المدني، والمحاكم. وفي بادئ الأمر، فرضت السلطات 11 إقامة جبرية تعسفية، على الأقل، على بعض أعضاء في البرلمان، ومسؤولين سابقين، ولكنها رفعت فيما بعد أوامر الإقامة الجبرية في جميع الحالات الـ11.

محاكمات عسكرية للمدنيين

بين عامي 2011 و2018، وثقّت منظمات حقوق الإنسان ما لا يقل عن ست حالات لمدنيين، مثلوا أمام القضاء العسكري؛ وقد تم تجاوز هذا العدد في الأشهر الثلاثة الماضية وحدها.

ومن بين المدنيين الذين يمثلون حاليًا أمام محاكم عسكرية، ستة أعضاء في البرلمان من ائتلاف الكرامة، من بينهم عبد اللطيف العلوي، إلى جانب المحامي مهدي زقروبة. وأخبر أنور أولاد علي، رئيس فريق الدفاع القانوني عن الرجال، منظمة العفو الدولية أنه يجري التحقيق معهم بشأن مشاجرة وقعت مع الشرطة في مطار تونس الدولي في 15 مارس/ آذار 2021. ويواجهون تهمًا تتعلّق بالاعتداء على النظام العام، والاعتداء ضد أمن الدولة، وإعاقة أو هضم جانب الموظفين العموميين أثناء تأديتهم لوظيفتهم. وفي حين أن بعض هذه التهم تتعلق بجرائم معترف بها بموجب القانون الدولي، فإن المدنيين الذين يواجهون مثل هذه التهم ينبغي أن يمثلوا أمام محكمة مدنية وليست عسكرية.

وتسمح مجلة المرافعات والعقوبات العسكرية التونسية لنظام القضاء العسكري بمحاكمة المدنيين في ظروف محددة. وينص الفصل 91 من مجلة المرافعات والعقوبات العسكرية على المعاقبة بالسجن لكل شخص عسكري أو مدني يقوم في محل عمومي بتحقير عَلَم الجيش أو انتقاد أعمال القيادة العسكرية أو يمس كرامتها.

ويمنح القانون التونسي الرئيس السيطرة النهائية على تعيين القضاة وممثلي النيابة العمومية في نظام المحاكم العسكرية، بناءً على ترشيحات وزيري الدفاع والعدل. ونتيجة لذلك، تفتقر المحاكم العسكرية إلى الاستقلالية. وبموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان، لا ينبغي أبدًا أن يمثل المدنيون أمام محاكم عسكرية، بغض النظر عن التهم الموجهة إليهم.

تنص المبادئ التوجيهية، الصادرة عن اللجنة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب، المكلفة بتفسير الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب - والذي تعد تونس دولة طرفًا فيه - على أنه لا ينبغي للمحاكم العسكرية "في أي ظرف من الظروف أن تكون لها ولاية قضائية على المدنيين".

الاعتقال بسبب الانتقاد

في 3 أكتوبر/ تشرين الأول، اعتقلت الشرطة التابعة للفرقة الوطنية لمكافحة الإجرام كلًا من المذيع عياد، والبرلماني العلوي من منزلهما في مدينتي المنستير وتونس العاصمة، على التوالي، بعد يومين من ظهورهما معًا في البرنامج التلفزيوني "حصاد 24" الذي يقدّمه عياد. وخلال البث، أبدى الرجلان ملاحظات انتقادية للرئيس قيس سعيد، وعبّرا عن شكوكهما فيما يخص درجة السلطة الفعلية الممنوحة لنجلاء بودن، التي عينها قيس سعيد مؤخرًا لرئاسة الحكومة الجديدة في تونس.

كما تلا عياد أبياتًا من قصيدة للشاعر العراقي المعروف، أحمد مطر، عن حوار تخيلي ساخر بين الشاعر ودكتاتور. ومن جانبه قال العلوي إن إجراءات الرئيس قيس سعيد الأخيرة يجب أن تعتبر "انقلابًا" ويجب مناقشة الموضوع على هذا النحو.

وقامت منظمة العفو الدولية باستعراض مقطع فيديو للبرنامج الذي أتاحته على الإنترنت القناة الخاصة التي بثته، وهي قناة الزيتونة. ووجدت المنظمة أن العلوي وعياد لم يدليا بأي تصريحات يبدو أنها تشكل لغة تمييزية مجحفة، أو تحريضًا على العنف، أو تتجاوز بغير ذلك النقد السياسي السلمي كما يكفله القانون الدولي.

وأخبر المحامي مالك بن عمر، الذي يمثل الرجلين وكان حاضرًا أثناء استجواب الشرطة الأولي لعياد، منظمةَ العفو الدولية إن أسئلة الشرطة ركزت على تصريحات عياد خلال بث الأول من أكتوبر/ تشرين الأول. وقال مالك بن عمر إن الشرطة أظهرت له أمرًا من مكتب ممثل النيابة العسكرية بالتحقيق مع الرجلين فيما يتعلق بالبث.

وفي 5 أكتوبر/ تشرين الأول، أمر قاضي تحقيق بالمحكمة الابتدائية العسكرية الدائمة بتونس بحبس عياد وأفرج عن العلوي مؤقتًا على ذمة التحقيق بموجب الفصل 67 من المجلة الجزائية، الذي ينص على دفع خطية والسجن كل من يرتكب أمرًا موحشًا ضد رئيس الدولة، وكذلك الفصلين 72 و128 من المجلة الجزائية والفصل 91 من مجلة المرافعات والعقوبات العسكرية.

وفي 22 نوفمبر/ تشرين الثاني، سيواجه عضو آخر في البرلمان، وهو ياسين العياري، المحاكمة بتهم المس من كرامة الجيش وارتكاب أمر موحش ضد رئيس الدولة. وتستند التهم إلى تعليقات على فيسبوك وصف العياري فيها قرار 25 جويلية/ تموز بتعطيل البرلمان بأنه "انقلاب عسكري بتخطيط وتنسيق أجنبي"، واستخدم كلمات مثل "فرعون" و"أبله" لوصف الرئيس.

وفي 13 أكتوبر/ تشرين الأول، حكمت محكمة عسكرية في مدينة الكاف على الناشط سليم الجبالي بالسجن لمدة عام بتهم من بينها ارتكاب أمر موحش ضد رئيس الدولة والمس من كرامة الجيش. وقال محامي الدفاع عمر الرواني لمنظمة العفو الدولية إن الإدانة استندت إلى تعليقات الجبالي على فيسبوك والتي ندد فيها بتركز السلطات في يدي سعيد منذ 25 جويلية/ تموز.

وبموجب المادة 19 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، فإن تونس ملزمة بحماية حرية التعبير من خلال الامتناع عن معاقبة أي شخص بسبب الانتقاد، أو عدم الاحترام المفترض تجاه الشخصيات العامة والقادة والمؤسسات. وتشير التوجيهات بشأن تنفيذ العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الصادرة عن مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة إلى أنه حتى إهانة شخصية عامة يجب اعتبارها خطابًا مكفولًا بموجب العهد.

جهة الإصدار: بيان منظمة العفو الدولية.

المصدر: منظمة العفو الدولية، 2021/11/10، شوهد في 2022/5/12، في: https://bit.ly/3wlGUts

الوثيقة (5)

بيان قرار قائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان تشكيل مجلس سيادة انتقالي جديد برئاسته

قرر قائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان تشكيل مجلس سيادة انتقالي جديد برئاسته، بعد أيام من سيطرة الجيش على السلطة في البلاد.

ويضم المجلس الجديد 13 عضوًا، من بينهم 9 كانوا أعضاء في المجلس السابق و4 أعضاء جدد، حلوا محل أعضاء المجلس السابق المنتمين إلى قوى الحرية والتغيير.

وجاء تشكيل المجلس كالتالي:

الفريق أول ركن عبد الفتاح البرهان عبد الرحمن البرهان رئيسًا.

الفريق أول محمد حمدان دقلو موسى نائبًا للرئيس.

الفريق أول ركن شمس الدين كباشي إبراهيم عضوًا.

الفريق الركن ياسر عبد الرحمن حسن العطا عضوًا.

الفريق مهندس مستشار بحري إبراهيم جابر إبراهيم عضوًا.

السيد مالك عقار إير عضوًا.

السيد الطاهر أبوبكر حجر عضوًا.

السيد الهادى إدريس يحيى عضوًا.

السيدة رجاء نيكولا عبد المسيح عضوًا.

السيد يوسف جاد كريم محمد علي يوسف عضوًا.

السيد أبو القاسم محمد محمد أحمد عضوًا.

السيد عبد الباقي عبد القادر الزبير عبد القادر عضوًا.

السيدة سلمى عبد الجبار المبارك موسى عضوًا.

جهة الإصدار: مجلس السيادة الانتقالي.

المصدر: "مرسوم دستوري بتشكيل مجلس السيادة الانتقالي"، **وكالة السودان للأنباء**، 2021/11/11، شوهد في 2022/5/12، في: https://bit.ly/3MX7q2I

الوثيقة (6)

بيان تجمع المهنيين السودانيين رفضًا للاتفاق الموقع بين رئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك ورئيس مجلس السيادي السوداني عبد الفتاح البرهان

تجمع المهنيين السودانيين

#بيان

ستظل وقفتنا بخط النار رائعة طويلة

سنعلِّم التاريخ ما معنى الصمود وما البطولة..

اتفاق الخيانة الموقع اليوم بين حمدوك والبرهان مرفوض جملة وتفصيلًا، ولا يخص سوى أطرافه، فهو مجرّد محاولة باطلة لشرعنة الانقلاب الأخير وسلطة المجلس العسكري، وانتحار سياسي للدكتور عبد الله حمدوك.

نقاط اتفاق الخنوع، على علاتها وانزوائها بعيدًا دون تطلعات شعبنا، فإنها لا تعدو كونها حبرًا على ورق، جرّب شعبنا عهود الانقلابيين الكاذبة وخبر خسّتهم ونقضهم لها، طريق شعبنا أكثر وضوحًا الآن من أي وقت مضى، إسقاط شراكة الدم وكل من يلتحق بها، ومواصلة المقاومة السلمية ببناء قواعده المقاوِمة في لجان الأحياء والكيانات النقابية، وتنويع أدوات الفعل المقاوم بلا توقف وصولًا للدولة المدنية الديمقراطية وسلطتها الثورية الخالصة.

هذا الاتفاق الغادر هو تلبية لأهداف الانقلابيين المعلنة في إعادة تمكين الفلول وتأبيد سلطة لجنة البشير الأمنية القاتلة، وخيانة لدماء شهداء ثورة ديسمبر قبل وبعد انقلاب 25 أكتوبر، يقيننا أن شعبنا سيبطله وسيواصل وقوفه الصامد، بوجه عواصف القمع والانتكاس التي تحاول إعادته للوراء، منصوب الشراع.

إننا في تجمع المهنيين السودانيين، متمسكون بمقترح الإعلان السياسي الذي تقدمنا به لقوى الثورة، وتنطلق مواقفنا من ذلك الإعلان الذي ندعو كل قوى الثورة لإعادة قراءته على ضوء المستجدات، فثورة شعبنا ليست رهنًا لأفراد، وعلى قواها الحية الملتزمة بلاءاتها المعلنة أن ترفع وتوسِّع من أشكال تنسيقها وأن تتجاهل دعوات الانكفاء وعزل قوى الثورة عن بعضها، فالنصر معقود بلواء تكاتف وتكامل قوى الثورة الظافرة، وهو آتٍ دون ريب.

#ما_بتحكمونا

#لاتفاوض_لاشراكة_لامساومة

إعلام التجمع

21 نوفمبر 2021

جهة الإصدار: تجمع المهنيين السودانيين.

المصدر: صفحة تجمع المهنيين السودانيين على فيسبوك، 2021/11/21، شوهد في 2022/5/12، في: https://bit.ly/3Mdm9Xx

الوثيقة (7)

بيان منظمة هيومن رايتس ووتش عن استعمال قوات الأمن في السودان للقوة القاتلة ضد المتظاهرين

قالت "هيومن رايتس ووتش" اليوم إن قوات الأمن استخدمت القوة المفرطة بشكل متكرر، بما في ذلك القوة القاتلة، ضد المتظاهرين في الخرطوم وجوارها. قُتل 16 شخصًا بالرصاص في 17 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021 وحده، بينهم امرأة وطفل، في أكثر الردود دموية على الإطلاق. خرج المتظاهرون من جديد إلى الشوارع في 21 نوفمبر/ تشرين الثاني، رغم الإعلان عن إطلاق سراح عبد الله حمدوك، رئيس الوزراء، وتوقيعه على اتفاق مع الجيش.

قالت ليتيسيا بدر، مديرة قسم القرن الأفريقي في هيومن رايتس ووتش: "يُظهر بوضوح القتل الوحشي لـ 16 شخصًا في 17 نوفمبر/ تشرين الثاني، العديد منهم برصاصة في الرأس، عدم نية قوات الأمن السودانية ممارسة ضبط النفس، وعزمها على إسكات أصوات السودانيين. ينبغي لداعمي السودان، باسم المصالح السياسية، عدم ترك هذه الجرائم تمر دون رد أو محاسبة للمسؤولين عنها".

اتفاق 21 نوفمبر/ تشرين الثاني مع حمدوك يعيده إلى منصبه كرئيس للوزراء ويسمح له بتشكيل حكومة تكنوقراط. يدعو الاتفاق أيضًا إلى إطلاق سراح "المعتقلين السياسيين" وإجراء تحقيقات وطنية في الانتهاكات. رَفَض الاتفاق فورًا كل من المتظاهرين و"قوى الحرية والتغيير"، التحالف السياسي الذي كان يمثل العنصر المدني في الحكومة الانتقالية قبيل الإطاحة بها.

منذ الانقلاب العسكري في 25 أكتوبر/ تشرين الأول، نظمت مجموعات عدة مظاهرات واسعة ردت عليها قوات الأمن بالقوة القاتلة بشكل متكرر. وبينما كان رئيس الوزراء يوقع الاتفاق مع القيادة العسكرية، كانت قوات الأمن تستخدم الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي والذخيرة الحية لتفريق المتظاهرين في الخارج. تحدثت هيومن رايتس ووتش إلى عشرة متظاهرين وثلاثة أطباء، وراجعت سبعة مقاطع فيديو منشورة على الإنترنت، في حين حقق "الأرشيف السوداني"، وهو منظمة حقوقية مستقلة تعمل على أرشفة الوثائق مفتوحة المصدر في السودان والتحقق منها والتحقيق فيها، في مقاطع الفيديو.

بحسب مجموعات الأطباء، قُتل 41 شخصًا منذ بدء الاحتجاجات، بينهم خمسة أطفال وسيدة. لمواجهة الاحتجاجات في الخرطوم وضواحيها، نشر الجيش قوات مشتركة تضم القوات المسلحة السودانية، و"قوات الدعم السريع"، والشرطة النظامية، وشرطة مكافحة الشغب، ووحدة شرطة ذات طابع عسكري هي "شرطة الاحتياطي المركزي".

طبقًا لتقارير الطب الشرعي التي اطلعت عليها هيومن رايتس ووتش، من بين 12 شخصًا شُرِّحت جثثهم بعد 17 نوفمبر/ تشرين الثاني، 6 منهم قُتلوا برصاصة في الرأس، وخمسة برصاصة في الصدر، وواحد برصاصة في الرقبة. ذكرت تقارير طبية إصابة 107 بجروح بينهم 48 أصيبوا بالذخيرة الحية.

نفت الشرطة في 18 نوفمبر/ تشرين الثاني استخدام قواتها للذخيرة الحية. عاينت هيومن رايتس ووتش تقارير قدمتها عائلات القتلى في مراكز الشرطة لثمانية متظاهرين قتلوا في 17 نوفمبر/ تشرين الثاني ذكرت أن سبب الوفاة كان إصابات بالرصاص الحي. نفى الفريق البرهان، قائد الجيش، في مقابلة تلفزيونية في 7 نوفمبر/ تشرين الثاني، تورط الجيش في عمليات القتل السابقة، لكن تشير الأدلة التي حصلت عليها هيومن رايتس ووتش، وتضم شهادات الشهود وتقارير الطب الشرعي ومقاطع الفيديو، إلى استخدام الذخيرة الحية من قبل قوات أمن ترتدي زي القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع وشرطة الاحتياطي المركزي والشرطة النظامية.

سجلت بلدة بحري، وتقع داخل الخرطوم، أعلى حصيلة للقتلى، مع مقتل قرابة 11 شخصًا وإصابة حوالي 77 في 17 نوفمبر/ تشرين الثاني. قال متظاهر (31 عامًا)، إن المحتجين تجمعوا حوالي الظهيرة على امتداد الشارع الرئيسي في بحري قرب تقاطع المؤسسة حيث كانت وحدات الشرطة متمركزة بالفعل.

قال إن الشرطة أطلقت فجأة قنابل الغاز المسيل للدموع دون سابق إنذار: "بدأ بعض المتظاهرين في إلقاء الحجارة على الشرطة، لكننا طلبنا منهم التوقف، ثم تغير الوضع مع فتح الشرطة النار حوالي الساعة 1:30 إلى 2 ظهرًا دون سابق إنذار. ظننّا أنهم يطلقون النار في الهواء حتى بدأت أشعر بتطاير الرصاص على مستوى جسدي. رأيت أحد المتظاهرين يُصاب ويسقط وهو ينزف".

قال ثلاثة شهود إنهم رأوا عناصر من الشرطة النظامية وشرطة مكافحة الشغب وشرطة الاحتياطي المركزي يوجهون أسلحتهم نحو المتظاهرين، وبعضهم راكع أو متخذ لوضعية الرماية قبيل إطلاق النار.

أفاد صحافي (41 عامًا)، في نفس الموقع أنه رأى قوات الشرطة تستخدم الغاز المسيل للدموع في البداية، بما في ذلك إطلاق القنابل مباشرة على المتظاهرين. شاهد بعد الظهر الشرطة وشرطة الاحتياطي المركزي تطلق الذخيرة الحية عصرًا ليشهد مقتل ثلاثة متظاهرين: "لقد وجهوا [الشرطة] أسلحتهم نحونا. لم يطلقوا النار للتخويف فقط، بل أرادوا قتلنا".

قال شاهدان قرب منطقة الشعبية في بحري إن استخدام الذخيرة الحية زاد بين الثالثة والرابعة عصرًا مع بقاء بعض المتظاهرين في الشوارع. قال أحدهم: "كان ثمة انتشار أكبر لشرطة الاحتياطي المركزي وقتها. حتى أنني رأيت أحدهم يحمل رشاشًا كبيرًا ويطلق النار على المتظاهرين. شعرت وكأنها منطقة حرب. رأيت متظاهرَين بالقرب مني مصابان [كذا] وينزفان بشدة".

قال أربعة إن الشرطة أطلقت مرارًا قنابل الغاز المسيل للدموع على المتظاهرين دون سابق إنذار: "في بعض الأحيان يستخدمون الغاز المسيل للدموع كسلاح. في بعض اللحظات، كنا على مسافة 10 أمتار تقريبًا منهم، ورأيت ضباط شرطة يوجهون بنادق الغاز المسيل للدموع نحونا. رأيت إصابتين: واحدة في الرأس وواحدة في الكتف".

بحسب مجموعات الأطباء، نُقل 13 شخصًا إلى المستشفيات جراء جروح ناجمة عن إصابات مباشرة من قنابل الغاز المسيل للدموع.

في 30 أكتوبر/ تشرين الأول، في أول احتجاج واسع النطاق، وصف ستة شهود حشدًا كثيفًا لقوات الأمن، بما في ذلك شرطة الاحتياطي المركزي وشرطة مكافحة الشغب والقوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع في أم درمان. قال ثلاثة شهود إنه في شارع الموردة ما بين الساعة 12 و1 ظهرًا أطلقت قوات الأمن في البداية الذخيرة الحية في الهواء ثم أطلقت كميات كبيرة من الغاز المسيل للدموع. قال شاهدان إن شرطة مكافحة الشغب أطلقت العبوات على المتظاهرين مباشرة.

قال متظاهر (30 عامًا)، إن قوات الأمن استخدمت أيضًا الذخيرة الحية: "رأيت أحد المتظاهرين مصابًا في رأسه. حملته مع آخرين إلى عربة قريبة. لم يكن يتنفس، وتوفي لاحقًا في المستشفى". طبقًا لتقرير قدمه مصدر طبي لهيومن رايتس ووتش، قُتل ثلاثة يومها واثنان في الأيام اللاحقة؛ وأصيب 175 في 30 أكتوبر/ تشرين الأول وعولجوا في مستشفيات العاصمة، وأصيب 11 بطلقات نارية في الأجزاء العلوية من أجسادهم، وأصيب 36 بقنابل الغاز المسيل للدموع.

استهدفت قوات الأمن أيضًا منشآت الرعاية الصحية، وضايقت الكوادر الطبية، وعرقلت مرتين على الأقل الرعاية الطبية للمتظاهرين الجرحى.

في 13 نوفمبر/ تشرين الثاني، منعت الشرطة المتظاهرين المصابين من تلقي الرعاية الطبية، وضايقت الطاقم الطبي في مستشفى شرق النيل في بحري ومستشفى الأربعين في أم درمان.

قال أحد الأطباء إن شرطة مكافحة الشغب تمركزت خارج مستشفى شرق النيل، ثم داهمت المستشفى: "قالوا [الشرطة] إنهم رأوا بعض الأشخاص داخل المستشفى يلتقطون صورًا لهم. اعتقلوا طبيبًا لبرهة وفتشوا الهواتف الخلوية لأفراد الطاقم الطبي الآخرين بحثًا عن مقاطع فيديو وصور قبل مغادرتهم. جعلونا نشعر بعدم الأمان أثناء قيامنا بعملنا".

وُثقت أيضًا عمليات تعسفية لقوات الأمن في منشآت الرعاية الصحية ومضايقات لمقدمي الخدمات الصحية خلال احتجاجات 2018-2019، وبعد فض الاعتصام في 3 حزيران/ يونيو 2019.

وثقت هيومن رايتس ووتش أيضًا تباطؤًا وحجبًا للاتصالات الهاتفية والإنترنت منذ بدء الاحتجاجات، مما أعاق الإبلاغ وقيّد وصول الناس إلى المعلومات الحيوية في هذا الوقت الحرج، لا سيما خارج العاصمة. في 17 نوفمبر/ تشرين الأول، قُطعت خدمات الاتصالات المحلية في معظم ذلك اليوم. قال نشطاء إن خدمات الإنترنت أعيدت في 18 نوفمبر/ تشرين الثاني.

أُفرِج عن أربعة معتقلين فقط رغم الالتزامات الواردة في اتفاق 21 نوفمبر/ تشرين الثاني بالإفراج عن المزيد.

لا يزال عشرات المتظاهرين الذين اعتقلتهم قوات الأمن الشهر الماضي محتجزين، ونُقل بعضهم إلى سجن بالخرطوم، وينتظرون، حسبما ورد، المثول أمام محاكم الطوارئ.

بينما يُسمح باستخدام الغاز المسيل للدموع للسيطرة على الحشود عندما يتحول الاحتجاج إلى أعمال عنف، يجب ألا تستخدم القوات الغاز المسيل للدموع إلا عند الضرورة ولمنع المزيد من الأذى الجسدي؛ وحيثما أمكن، يجب عليهم إصدار تحذيرات قبل إطلاقها. قالت هيومن رايتس ووتش إن الاستخدام المتعمد للقوة القاتلة مسموح به فقط عندما تكون ضرورية للغاية لحماية الأرواح. حتى لو سعى بعض المتظاهرين لصد القوات بإلقاء الحجارة عليها، لن يكون لاستخدام الذخيرة الحية ما يبرره.

وجدت هيومن رايتس ووتش أنه تم التحقيق في عدد قليل من عمليات قتل المتظاهرين ومحاكمتهم قبل الانقلاب، لكن ظل الإفلات من العقاب على الجرائم الجسيمة القاعدة إلى حد كبير. قال المدّعون وأهالي الضحايا والمحامون إن ثمة عقبات تحد من الجهود الحالية مثل عدم تعاون قوات الأمن في رفع الحصانة عن المشتبه بهم أو إتاحة الوصول إلى الأدلة.

على السودان التعاون مع الخبير الجديد بشأن السودان الذي عينه مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان و"مكتب الأمم المتحدة المشترك لحقوق الإنسان في السودان"، للسماح بإجراء تحقيقات ذات مصداقية في أحداث الشهر الماضي. يتعين على شركاء السودان الدوليين والإقليميين الاستمرار في الدعوة إلى وضع حد للانتهاكات ضد المتظاهرين والمعارضة المتصورة والضغط من أجل إطلاق سراح جميع الأشخاص المحتجزين فيما يتعلق بممارستهم الحرة والسلمية لحقوقهم.

قال بدر: "مع معاناة الكثير من السودانيين من حملة القمع الوحشية التي حدثت الشهر الماضي، هذا ليس الوقت المناسب لعودة الأمور إلى ما كانت عليه. ينبغي لشركاء السودان، في المنطقة وخارجها، دعم السودانيين بشكل هادف ومساعدتهم على تحقيق تطلعاتهم لبناء بلد أكثر عدلًا واحترامًا للحقوق".

جهة الإصدار: منظمة هيومن رايتس ووتش.

المصدر: هيومن رايتس ووتش، 2021/11/23، شوهد في 2022/5/12، في: https://bit.ly/37FQz5Q

الوثيقة (8)

بيان حركة النهضة التونسية تستنكر فيه استغلال رئيس الدولة قيس سعيّد للجيش وإقحامه المؤسسة العسكرية في الشأن السياسي

بيان المكتب التنفيذي لحركة النهضة

عقد المكتب التنفيذي لحركة النهضة اجتماعه الدوري برئاسة الأستاذ راشد الغنوشي مساء الأربعاء 01 ديسمبر 2021، وتناول بالدرس عددًا من الملفات الوطنية والحزبية. وفي هذا الإطار:

1. سجّل المكتب التنفيذي استمرار رئيس الدولة في اعتماد خطابات التشنج والتخوين، برز ذلك في أكثر من مناسبة وآخرها استغلال اجتماعه بالمجلس الأعلى للجيوش لتصفية حساباته مع خصومه مصرًّا بهذا المنهج على إقحام المؤسسة العسكرية في الشأن السياسي بدل احترام مهامها كما حدّدها الدستور، إننا نستنكر هذا التمشي ونؤكد على ضرورة احترام مهام الجيش الوطني وإبعاده عن التجاذبات السياسية وصراعات الأحزاب ومنافساتها.

2. لم يفوّت الأستاذ قيس مناسبة للضغط على القضاء والتهديد باتخاذ الأوامر والمراسيم وهو ما فعله منذ انقلاب 07/25، حيث سعى لسنّ أوامر ومراسيم على مقاس رغبة في السيطرة على دواليب الدولة والتخلّص من معارضيه في تناقض صارخ مع الدستور الذي ألغاه والقوانين التي تجاوزها، وفي الوقت الذي يتهجّم فيه على معارضيه ويسعى لتشويههم وإصدار المراسيم اللادستورية نراه يصمت تمامًا عن المخالفات الواردة بشأنه في تقرير محكمة المحاسبات وربما سيسعى عبر المراسيم إلى تحصين نفسه كما فعل في الأمر 117 الذي جعله فوق الدستور ولا معقب عليه.

   ولو أنه التزم بأصول العمل وبالقانون لاعتبر أي تصريح يدلي به حول تقارير محكمة المحاسبات من باب تضارب المصالح باعتبار ما ورد في التقرير من تجاوزات في حملته الانتخابية، ولترك للقضاء القيام بدوره في كنف الاستقلالية والحياد .

   إننا نستنكر هذا التمشي وننبّه لخطورته على حاضر البلاد ومستقبلها ونؤكد على أهمية وضرورة التصدي لهذا الاستبداد الزاحف على الحقوق والحريات كما نؤكد وقوفنا إلى جانب القانون وعلويته واستقلال القضاء وأداء دوره كسلطة كاملة في البلاد.

3. لم تمرّ مدة طويلة حتى تأكّد أن سياسة التعيينات المتبعة قائمة على الولاء الشخصي لا غير، وظهرت الخلفيّة السياسية في الإحالات على التقاعد الوجوبي وفي تعيين الولاة غيرهم من المسؤولين، إن شعارات الطهورية ومقاومة الفساد تمتحن اليوم وإن المقدمات تدل على خطورة المآلات.

4. تستنكر الحركة ما تعرض له السيد نور الدين الطبوبي الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل من تهديد بالقتل كما نستنكر محاولة الاعتداء على أعوان الأمن أمام وزارة الداخلية وتذكر بضرورة اليقظة الأمنية والشعبية حماية لبلادنا من كل اعتداء وخاصة الإرهاب الذي ينتعش كلما اشتدت الأزمات والصراعات وتراجعت الوحدة الوطنية.

5. تنبّه الحركة الرأي العام إلى الحذر من حملات التشويه والتضليل التي تشنّها أطراف استئصالية وفاشية جعلت برنامجها الوحيد هو تشويه حركة النهضة واستئصالها بكل سبيل والتحريض على استهدافها خارج كل قانون، تمامًا كما فعل أسلافهم من قبل، وفشلوا.

   إن الالتقاء بين الدكتاتورية والفاشية قد بدأ منذ برنامج ترذيل الحياة السياسية وخاصة مجلس نواب الشعب ومحاولة تعجيزه على أداء مهامه وتمجيد الاستبداد الذي لم تجن منه البلاد إلا الظلم والقهر وانتهى إلى غير رجعة بثورة الحرية والكرامة التي يسعى البعض اليوم إلى الانقلاب عليها وعلى أهدافها السامية.

6. تستنكر الحركة تواصل الاعتداءات على الحقوق والحريات وآخرها منع الوزيرين السابقين رضا السعيدي وأحمد قعلول والنائب أسامة الصغيري من السفر .

7. لقد أوصلت السياسات القيسية البلاد إلى عزلة دولية، فبعد أن كانت بلادنا محل احترام وتبجيل واستعداد للتعاون معها صارت معزولة دوليًا وإقليميًا بسبب الانقلاب وحُرمت من المشاركة في قمة الدول الديمقراطية التي ستضم أكثر من 110 دولة [كذا] ديمقراطية في العالم بعد أن كانت تونس على رأس قائمة الدول المعنية بالحضور والمشاركة.

ولم تكن خسائرنا على المستوى الدولي والإقليمي فقط بل إن التوجهات والسياسات الداخلية أثبتت عجزها على التعاطي مع قضايا البلاد وعلى رأسها غلاء الأسعار ومشاكل البيئة وقانون 38 وتعبئة الموارد المالية الضرورية والحدّ من البطالة، والقائمة طويلة، وما زال الرئيس مصرًا على التمادي في هذه الخيارات رغم كل الدعوات الموجهة إليه داخل الوطن وخارجه للمراجعة وللحوار قبل فوات الأوان.

رئيس حركة النهضة

الأستاذ راشد الغنوشي

جهة الإصدار: حركة النهضة التونسية.

المصدر: صفحة حركة النهضة التونسية على فيسبوك، 2021/12/2، شوهد في 2022/5/12، في: https://bit.ly/3surTEv

الوثيقة (9)

بيان المجلس الأعلى للقضاء يعلن فيه تمسكه بوضع القضاء سلطة من سلط الدولة وبضمانات استقلال القضاة

الجمهورية التونسية

تونس في 2021/12/10



المجلس الأعلى للقضاء

بيان

إنّ المجلس الأعلى للقضاء المنعقد بجلسته العامة اليوم الجمعة 10 ديسمبر 2021 وإثر تداوله في الوضع القضائي العام على ضوء المستجدات الأخيرة يعلن ما يلي:

أولا: تمسك المجلس بوضع القضاء كسلطة من سلط الدولة وبضمانات استقلال القضاة ويشدّد على ضرورة النأي بهم عن كلّ ضغط مهما كان مصدره،

ثانيا: يعلن رصده ومتابعته جملة الانتهاكات والاعتداءات التي طالت ولا تزال القضاة واتخاذه التدابير اللازمة لدى الجهات ذات النظر.

ثالثا: يؤكد على أنّ المجلس الأعلى للقضاء يستمدّ شرعيّته من البناء الدستوري الذي ضبطه الباب الخامس من الدستور والقانون الأساسي المتعلق بإحداثه ، ويتمسك في ذلك ببيان الجلسة العامّة المؤرّخ في 04 نوفمبر 2021،

رابعا: يدعو عموم القضاة وكافّة مكوّنات العدالة إلى ضرورة التمسك بمكتسبات القضاء المستقل،

خامسا: يعلن على إبقاء الجلسة العامّة للمجلس بحالة انعقاد لمتابعة كلّ مساس من ضمانات استقلاليّة القضاء وحسن سيره،

عن الجلسة العامة

رئيس المجلس



جهة الإصدار: المجلس الأعلى للقضاء في تونس.

المصدر: ألترا تونس، 2021/12/10، شوهد في 2022/5/12، في: https://bit.ly/37GeDFG



الوقائع الفلسطينية

Palestine Over Two Months



يتضمن هذا التقرير توثيقًا لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي – الإسرائيلي في المدة 1 تشرين الثاني/ نوفمبر – 31 كانون الأول/ ديسمبر 2021.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي – الإسرائيلي.



Keywords: Palestine, Israel, Arab-Israeli Conflict.

2021/11/1 قالت ثلاثة ائتلافات فلسطينية (ائتلاف عدالة، وشبكة اللاجئين الفلسطينيين، والائتلاف الفلسطيني للإعاقة) إن "الاتحاد الأوروبي غيّر مواقفه تجاه المؤسسات الفلسطينية، بدلًا من اتخاذ مواقف مساندة لها في ظل الملاحقة الإسرائيلية"، وأشارت إلى أن "الاتحاد فرض شروط تمويل على هذه المؤسسات بعد تصنيف 7 تنظيمات وأحزاب فلسطينية بالإرهابية".

(**شبكة قدس الإخبارية**، 2021/11/1)

2021/11/1 قال المدير العام لمعهد الأبحاث التطبيقية - القدس "أريج"، جاد إسحق، إن عدد المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية بلغ نحو 199 مستوطنة، تضاف إليها 220 بؤرة استيطانية، يقطنها 913 ألف مستوطن منهم 350 ألف مستوطن في القدس الشرقية المحتلة.

(**القدس**، 2021/11/1)

2021/11/1 أطلقت المنظمة الصهيونية - الأمريكية حملة إعلانية، ضد إعادة فتح القنصلية الأمريكية في مدينة القدس الشرقية. ونشرت المنظمة، التي تتخذ من الولايات المتحدة مقرًا لها، لافتات كبيرة بالقدس الغربية، ضد إعادة فتح القنصلية. وجاء على اللافتات باللغتين العبرية والإنكليزية "لا لقنصلية فلسطينية، نعم للقدس غير مقسمة".

(**وكالة الأناضول**، 2021/11/1)

2021/11/1 كشف تقرير أصدره مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا)، عن ارتفاع معدل هدم ومصادرة منازل الفلسطينيين في أرضهم المحتلة منذ عام 1967 بنسبة 21 في المئة في الأشهر التسعة الأولى من هذا العام مقارنة بالفترة نفسها من عام 2020.

(**الجزيرة مباشر**، 2021/11/1)

2021/11/1 قالت صحيفة "السوداني" السودانية، إن وفدًا إسرائيليًا أجرى زيارة إلى العاصمة السودانية الخرطوم، في أعقاب الانقلاب العسكري، من دون توضيح طبيعة الزيارة والغرض منها، والأطراف التي اجتمع بها الوفد الإسرائيلي.

(**شبكة قدس الإخبارية**، 2021/11/1)

2021/11/3 أدرجت وزارة التجارة الأمريكية شركتَي "NSO Group" و"Candiru"، على القائمة السوداء بسبب تزويدهما حكومات بعض الدول ببرمجيات استخدمت لأهداف خبيثة، منها تعقب الصحافيين العاملين في السفارات والناشطين.

(**سي إن إن بالعربية**، 2021/11/3)

2021/11/3 ستشارك شركتا "رفائيل" و"الصناعات الجوية" التابعتان لجيش الاحتلال في معرض دبي للطيران، وستُعرض خلاله أنظمة متطورة للذكاء الاصطناعي، وفق ما أفادت به صحيفة "غلوبس" الاقتصادية.

(**ألترا فلسطين**، 2021/11/3)

2021/11/5 رفعت شركة فلسطينية - أميركية دعوى قضائية أمام المحكمة الفدرالية في ولاية تكساس، لإلزام الولاية بإسقاط قانون الولاة المناهض لحركة مقاطعة "إسرائيل" في الولايات المتحدة. وطعنت الشركة في القانون الذي أقرته ولاية تكساس، باعتباره غير دستوري ويفرض قيودًا على حرية الأفراد والشركات. وتطالب القضية المرفوعة بإلغاء قانون يمنع ولاية تكساس من التعامل مع مقاولين يدعمون حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS) ضد إسرائيل.

(**وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"**، 2021/11/5)

2021/11/7 نددت وزارة الخارجية الفلسطينية بتصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي، نفتالي بينيت، الذي شدد المعارضة العلنية لخطة إدارة الرئيس، جو بايدن، لإعادة فتح القنصلية الأميركية في القدس المحتلة لخدمة الفلسطينيين. وقالت الوزارة إن "تصريحات بينيت تحدٍ سافر لقرارات وسياسة الإدارة الأميركية المعلن عنها".

(**الجزيرة نت**، 2021/11/7)

2021/11/7 قالت مؤسسة الحق في بيان لها، إن قرار جيش الاحتلال بتصنيف 6 مؤسسات فلسطينية، الذي لحقه أمر عسكري، منظماتٍ غير مشروعة، يمنح الاحتلال تصريحًا بالهجوم على المؤسسات واتخاذ إجراءات عقابية ضدها من إغلاق مقارّها ومصادرة مواردها وتجفيفها، وملاحقة العاملين فيها؛ بهدف إسكات صوت المؤسسات الحقوقية والأهلية العاملة في مجال الإغاثة الإنسانية وحقوق الإنسان.

(**شبكة قدس الإخبارية**، 2021/11/7)

2021/11/8 قالت صحيفة "واشنطن بوست" إن جنودًا سابقين في جيش الاحتلال الإسرائيلي أكدوا أن "إسرائيل" تراقب الفلسطينيين عن كثب في الضفة الغربية، باستخدام تقنية التعرف على الوجه عبر نشر شبكة كاميرات، وأن الجنود على دراية بهذه العملية، التي جرى إطلاقها قبل عامين، والتي تسمى "الذئب الأزرق"، والتي تلتقط وجوه الفلسطينيين وتربطها بقاعدة بيانات للصور، ووصفها أحد الجنود السابقين بـ "فيسبوك الفلسطينيين".

(**شبكة قدس الإخبارية**، 2021/11/8)

2021/11/8 تعرّضت هواتف عشرة فلسطينيين على الأقل، حتى الآن، للاختراق من برنامج التجسس الإسرائيليّ "بيغاسوس"، بينهم ثلاثة يعملون في مؤسسات مدنية فلسطينية صنّفتها "إسرائيل" "إرهابية". وكشفت المصادر أن الهواتف الثلاثة تعود لأشخاص يعملون في مؤسسات "الحق" و"الضمير" و"مركز بيسان للبحوث والإنماء".

(**ألترا فلسطين**، 2021/11/8)

2021/11/9 حذّر البنك الدولي من أن السلطة الفلسطينية قد لا تتمكن من الوفاء بالتزاماتها بحلول نهاية العام الحالي، ما لم توقف

إسرائيل الاقتطاع من المقاصة، وتستجيب لمعالجة الملفات المالية العالقة، فضلًا عن استئناف المانحين تقديم مساعداتهم.

(العربي الجديد، 2021/11/9)

2021/11/9 أعلنت شركة الخطوط الجوية المغربية إطلاق خط جوي مباشر، يربط الدار البيضاء، العاصمة الاقتصادية للمملكة، بتل أبيب هو الأول من نوعه انطلاقًا من المغرب. وذلك بعد مرور نحو 10 أشهر على استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

(فرانس 24، 2021/11/9)

2021/11/10 قالت وزارة الخارجية والمغتربين الفلسطينية إنها تلاحق قانونيًا حكومة الاحتلال الإسرائيلي على جريمة قرصنة هواتف العاملين في الوزارة ومؤسسات المجتمع المدني. ودانت الوزارة بأشد العبارات، في بيان صحافي، قرصنة سلطة الاحتلال لهواتف عدد من العاملين في منظمات المجتمع المدني الفلسطيني ووزارة الخارجية والمغتربين، باستخدام برنامج "بيغاسوس"، في تعدٍّ وانتهاك صارخ، وغير أخلاقي، للقانون الدولي ومبادئ حقوق الإنسان، يرتقي إلى مستوى جريمة وجب المحاسبة عليها.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2021/11/10)

2021/11/16 أصدر جيش الاحتلال الإسرائيلي قرارًا عسكريًا، بالاستيلاء على 5 دونمات من أراضي جبل الريسان الواقعة على أراضي قريتَي راس كركر وكفر نعمة القريبتين من رام الله.

(شبكة قدس الإخبارية، 2021/11/16)

2021/11/16 حذّرت الخارجية الفلسطينية، من مخطط الضمّ الإسرائيلي الزاحف للضفة الغربية، بعد الحديث عن 730 وحدة استيطانية جديدة لتوسيع مستوطنة "أريئيل" قرب سلفيت، وبناء وحدات استيطانية جديدة في القدس.

(ألترا فلسطين، 2021/11/16)

2021/11/17 تقدّم 4 محامين مغاربة، بدعوى قضائية ضدّ مستشار الأمن القومي الإسرائيلي السابق، مائير بن شبات (من أصول مغربية)، متّهمين إياه بالمشاركة في ارتكاب "جريمة حرب وجريمة ضدّ الإنسانية"، أودت بحياة أطفال، بينهم 4 طفلات مغربيات، خلال العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة.

(تي آر تي عربي، 2021/11/17)

2021/11/17 أفشلت الكتل والأطر الطلابية، وعدد كبير من أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات الأردنية، عقد اللقاء التعريفي لبرنامج المنح المقدّم من جامعة "محمد بن زايد" للذكاء الاصطناعي في الإمارات العربية المتحدة، بمشاركة مركز أبحاث صهيوني، في عدد من الجامعات الأردنية.

(بوابة اللاجئين الفلسطينيين، 2021/11/17)

2021/11/19 وقّعت مجموعة "إيدج" الإماراتية اتفاقية استراتيجية مع شركة الصناعات الجوية الإسرائيلية تتعلق بالتصميم المشترك لسلسلة من السفن غير المأهولة القابلة للتعديل، من فئة "إم 170"، التي يجري استخدامها في التطبيقات العسكرية والتجارية.

(الشرق الأوسط، 2021/11/19)

2021/11/19 قالت وزيرة الداخلية البريطانية، بريتي باتيل، إنّها حظرت حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، في خطوة تنسجم مع موقف الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي من الحركة.

(الميادين، 2021/11/19)

2021/11/19 قالت حركة حماس إن "بريطانيا تستمر في غيّها القديم، فبدلًا من الاعتذار وتصحيح خطيئتها التاريخية في حق الشعب الفلسطيني، سواء في وعد بلفور المشؤوم، أو الانتداب البريطاني الذي سلّم الأرض الفلسطينية للحركة الصهيونية، تناصر المعتدين على حساب الضحايا".

(شبكة قدس الإخبارية، 2021/11/19)

2021/11/19 عبّرت وزارة الخارجية الفلسطينية عن رفضها لقرار الحكومة البريطانية اعتبار حركة حماس منظمة "إرهابية".

(وكالة الأناضول، 2021/11/19)

2021/11/22 أكد الرياضي الجزائري، فتحي نورين، أنه "غير نادم" على مواقفه من القضية الفلسطينية، بعد أن فرضت اللجنة الأولمبية الدولية عليه مع مدربه، عمار بن يخلف، عقوبة الحرمان من المشاركة في جميع المنافسات الدولية، لمدة 10 سنوات، بعد رفضه مواجهة إسرائيلي في "أولمبياد طوكيو".

(شبكة قدس الإخبارية، 2021/11/22)

2021/11/22 وُقِّع في معرض إكسبو 2020 دبي إعلان نوايا عامّ بين الأردن والإمارات وإسرائيل، للدّخول في عمليّة تفاوضيّة للبحث في جدوى مشروع مشترك للطّاقة والمياه. وأوضح مساعد أمين عام وزارة المياه والرّي، الناطق الإعلامي باسم الوزارة عمر سلامة، أن إعلان النوايا الذي جرى توقيعه يعني الدخول في عمليّة دراسات جدوى خلال العام المقبل 2022، وأنّ الأردن من الممكن أن يحصل من خلال ذلك على 200 مليون متر مكعب من المياه سنويًا.

(عربي 21، 2021/11/22)

2021/11/22 جددت الخارجية العراقية التأكيد على الموقف العراقي الرافض و"القاطع" لمسألة التطبيع مع "إسرائيل"، وقالت إن موقف العراق ثابت في دعم القضية الفلسطينية. وأوضح المتحدث باسم الوزارة، أحمد الصحاف، موقف العراق الثابت والداعم للقضية الفلسطينية، وتنفيذ الحقوق المشروعة الكاملة للشعب الفلسطيني،

والرفض القاطع لمسألة التطبيع مع إسرائيل، وأن الموقف الحكومي العراقي يرى في ذلك أولوية تعامله.

(**ألترا فلسطين**، 2021/11/22)

2021/11/23 دعت الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية "لإسرائيل" الفنانين كافة في مهرجان "Arabofolies" التطبيعي الذي ينظّمه معهد العالم العربي- فرنسا، بمشاركة فرقة إسرائيلية، للضغط لإلغاء دعوة الفرقة الإسرائيلية ومقاطعة المهرجان في حال رفض المنظمون ذلك. وبحسب الإعلان الرسمي، يشارك في هذا المهرجان، الذي يقام في الفترة 3-12 كانون الأول/ ديسمبر 2021، كل من: فرقة أدونيس (لبنان) وأمير أميري (إيران) وجمانة مناع (فلسطين) ورامي خليفة (لبنان) وفريدة محمد علي (العراق) وفرحات بوعلاقي (تونس).

(**شبكة قدس الإخبارية**، 2021/11/23)

2021/11/32 رفض الرأي العام الأردني - نيابيًا وحزبيًا وناشطين على منصات التواصل الاجتماعي - خطوة التوقيع على "إعلان نوايا" لاتفاقية تبادل للطاقة والمياه بين الأردن وإسرائيل بدعم وتمويل إماراتي ورعاية أميركية.

(**الجزيرة نت**، 2021/11/23)

2021/11/24 وصل وزير الدفاع الإسرائيلي بيني غانتس، إلى الرباط في زيارة هي الأولى لمسؤول إسرائيلي بهذا المنصب إلى المغرب، لتعزيز "التعاون الأمني" بين البلدين، بعد نحو عام على تطبيع علاقاتهما، وتزامنًا مع توتّر بين الرباط والجزائر بشأن نزاع الصحراء.

(**التلفزيون العربي**، 2021/11/24)

2021/11/26 تظاهر آلاف الأردنيين في العاصمة عمّان، احتجاجًا على توقيع اتفاقية الكهرباء مقابل المياه مع إسرائيل برعاية أميركية.

(**الجزيرة نت**، 2021/11/26)

2021/11/28 أعلنت شركة طيران الإمارات تأجيل إطلاق رحلاتها الجوية المباشرة، التي كانت مقررة في 6 كانون الأول/ ديسمبر إلى مطار تل أبيب، حتى إشعار آخر. وذكر متحدث باسم الناقلة المملوكة كليًّا لحكومة دبي، في إفادة عبر البريد الإلكتروني، أن "التأجيل يرجع إلى التغيرات الأخيرة في بروتوكولات الدخول الإسرائيلية".

(**وكالة الأناضول**، 2021/11/28)

2021/11/28 قالت حركة "فتح"، إن الاتفاقيات الأمنية والعسكرية التي وقّعتها مملكة المغرب مع "إسرائيل" بمنزلة "طعنة في ظهر القدس"، وإنها "تفتح شهية الاحتلال على المزيد من التهويد للمدينة المقدسة ومحيطها".

(**ألترا فلسطين**، 2021/11/28)

2021/11/29 شهدت مدن مغربية عدة وقفات احتجاجية، تنديدًا بالتطبيع المتصاعد مع دولة الاحتلال الإسرائيلي. جاء ذلك، بعد أيام قليلة من الزيارة الأولى من نوعها التي أدّاها وزير الدفاع الإسرائيلي إلى الرباط. واستجابت أكثر من 30 مدينة مغربية لدعوات تنظيم وقفات احتجاجية، رفضًا للتطبيع المغربي مع دولة الاحتلال، بحسب ما كشفته الجبهة المغربية لدعم فلسطين وضد التطبيع (غير الحكومية).

(**أوراس**، 2021/11/29)

2021/12/1 أكدت حركة حماس، تضامنها مع ماليزيا لنيل حقها في استضافة بطولة الإسكواش الدولية وغيرها من الفعاليات الدولية، من دون الاضطرار إلى قبول الوفود الإسرائيلية.

(**شبكة قدس الإخبارية**، 2021/12/1)

2021/12/5 قال رئيس مجلس السيادة في السودان، عبد الفتاح البرهان، إن "السودان من الممكن أن يقيم علاقات مع دولة الاحتلال الإسرائيلي". وزعم البرهان أن "إسرائيل دولة مثل باقي الدول". واعتبر أن "ملف العلاقة مع إسرائيل كان ضروريًا لعودة السودان إلى المجتمع الدولي".

(**شبكة قدس الإخبارية**، 2021/12/5)

2021/12/5 وجّه العشرات من النواب في الجمهورية الإيرلندية، من مختلف الأحزاب، رسالة إلى وزراء الخارجية الأوروبيين والممثل الأعلى للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية للاتحاد الأوروبي، جوزيف بوريل، دعته فيها إلى اتخاذ خطوات فورية وملموسة لمنع التهجير والترحيل القسري للفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

(**القدس العربي**، 2021/12/5)

2021/12/12 وصل رئيس الوزراء الإسرائيلي، نفتالي بينيت، إلى العاصمة الإماراتية أبوظبي، في أول زيارة رسمية تستغرق يومين.

(**العين**، 2021/12/12)

2021/12/14 صدق الكنيست على 3 قوانين تستهدف بصفة علنية المجتمع العربي والأسرى السياسيين في السجون الإسرائيلية، وذلك بدعم القائمة الموحدة ومعارضة القائمة المشتركة.

(**عرب 48**، 2021/12/14)

2021/12/14 قالت منظمة "هيومن رايتس ووتش" إن قوات الاحتلال الإسرائيلي استخدمت القوة المفرطة لتفريق تظاهرات سلمية للفلسطينيين في مدينة اللد، خلال الاحتجاجات في أيار/ مايو 2021. وأكدت المنظمة، في بيان نشرته اليوم على موقعها، أن شرطة الاحتلال "بدت كأنها تتصرف بفتور وبشكل غير متساوٍ تجاه العنف الذي يرتكبه القوميون اليهود المتطرفون ضد الفلسطينيين".

(**تلفزيون سوريا**، 2021/12/14)

2021/12/15 وصف نواب أردنيون التوقيع على مذكرة تفاهمات حول مقايضة الكهرباء بالماء مع إسرائيل بأنها بمنزلة "خيانة واعتداء على أمن الأردن".

(**عرب 48**، 2021/12/15)

2021/12/16 أُدرج فن التطريز الفلسطيني، بصفته أحد العناصر الوطنية الفلسطينية على لائحة التراث الثقافي غير المادي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "يونسكو".

(**العربي الجديد**، 2021/12/16)

2021/12/22 دعا وزير الخارجية الإسرائيلي، يائير لابيد، نظيره المغربي، ناصر بوريطة، إلى زيارة "إسرائيل" قريبًا، وذلك أثناء اجتماع "عن بُعد" ضمّ أيضًا وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، لمناسبة مرور عام على تطبيع علاقات البلدين.

(**ألترا فلسطين**، 2021/12/22)

2021/12/26 وقّعت اللجنة القطرية لإعادة إعمار غزة مذكرة تفاهم مع سلطة الطاقة والموارد الطبيعية وشركة غزة لتوليد الكهرباء، لتشغيل محطة توليد كهرباء غزة بالغاز. وقال رئيس اللجنة، السفير محمد العمادي، إن مذكرة التفاهم التي وقّعها مع ظافر ملحم، ممثلًا عن سلطة الطاقة، ووليد سليمان ممثلًا عن شركة غزة لتوليد الكهرباء، تتضمّن الاتفاق على آليات توريد وشراء الغاز اللازم لتشغيل محطة توليد الكهرباء الوحيدة في القطاع.

(**ألترا فلسطين**، 2021/12/26)

2021/12/29 دانت فصائل فلسطينية بشدة اللقاء الذي جمع رئيس السلطة، محمود عباس، بوزير الأمن الإسرائيلي، بني غانتس، في منزل الأخير بالقرب من تل أبيب. واعتبرت أن اللقاء يخدم "العدو الصهيوني"، ولا سيما أنه يأتي في إطار استفزاز الشعب الفلسطيني في ظل الهجمة الاستيطانية ضد الفلسطينيين.

(**العربي الجديد**، 2021/12/29)

2021/12/31 قال الرئيس، محمود عباس، إن المجلس المركزي سينعقد في بداية عام 2022 "لتدارس آخر التطورات واتخاذ القرارات الحاسمة الضرورية لمواجهة الانتهاكات والجرائم في حق شعبنا وأرضنا". جاء ذلك في كلمة مصوّرة ألقاها في ذكرى "انطلاقة الثورة الفلسطينية".

(**ألترا فلسطين**، 2021/12/31)

صدر حديثًا



تـأليف: إيوان فيرلي، ولورنس إ. لين جونيور، وكريستوفر بوليت
تـرجمة: شحدة فارع

دليل أكسفورد في الإدارة العامة

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات من "سلسلة ترجمان" كتاب **دليل أكسفورد في الإدارة العامة** وهو من تحرير إيوان فيرلي، ولورنس إ. لين جونيور، وكريستوفر بوليت؛ وترجمة شحدة فارع، ومراجعة روجيه كرم. يقع الكتاب في 1135 صفحة، ويشتمل على إرجاعات ببليوغرافية وفهرس عام.



مراجعات الكتب

Book Reviews



المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430//RGJP9541

عبد الفتاح ماضي | Abdel-Fattah Mady*

"حالة الديمقراطية في العالم عام 2021: بناء القدرة على التكيف في زمن الوباء"

"The Global State of Democracy 2021: Building Resilience in a Pandemic Era"

عنوان التقرير في لغته: *The Global State of Democracy 2021: Building Resilience in a Pandemic Era*

عنوان التقرير: حالة الديمقراطية في العالم عام 2021: بناء القدرة على التكيف في زمن الوباء

المؤلف: المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات (International IDEA).

الناشر: المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات (International IDEA).

مكان النشر: ستوكهولم.

سنة النشر: 2021.

عدد الصفحات: 24 صفحة.



* باحث ومدير وحدة دراسات الدولة والنظم السياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وأستاذ العلوم السياسية، جامعة الإسكندرية، مصر.
Researcher and Director of the Unit of State & Political Systems Studies at the Arab Center for Research and Policy Studies, and Professor of Political Science, Alexandria University, Egypt.
Email: abdelfattah.mady@dohainstitute.org

مقدمة

الديمقراطية في خطر، وبقاؤها مهددٌ بالاختفاء بسبب مجموعة عاتية من التهديدات، سواء من داخل الديمقراطيات ذاتها أو من جرّاء تصاعد التسلطية. هذه هي أبرز نتائج التقرير الذي أصدرته المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات بعنوان **حالة الديمقراطية في العالم عام 2021: بناء القدرة على التكيف في زمن الوباء.**

يرى التقرير أن تداعيات جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) على الديمقراطية، عزّزت التهديدات التي كانت موجودة بالفعل، وذلك من جرّاء استخدام قوانين وحالة الطوارئ، واستخدام أدوات التواصل الاجتماعي وتكنولوجيا المعلومات لترويج المعلومات المغلوطة. كما توقف التقرير عند ظاهرة الدعم الشعبي للآليات التي اتخذتها الحكومات بشأن التعامل مع كورونا، مثل تسييس القضاء ووضع قيود على المجتمع المدني والحريات والأقليات. وفي المقابل، رصد التقرير المعارضة الشعبية لبعض السياسات التسلطية في عدة دول أخرى، وابتكار طرائق جديدة للتعامل مع تداعيات كورونا، مثل التصويت الإلكتروني ودعوة الإدارة الأمريكية الحالية إلى قمة حول الديمقراطية. وفي نهاية التقرير، قُدّمت عدة توصيات لمواجهة التراجع في مستوى الديمقراطية عالميًا، تمثّل كلّها أجندة للإصلاح كما يرى واضعو التقرير.

أولًا: بناء التقرير المفاهيمي

يُبنى التقرير من الناحية المفاهيمية على التعريف الذي تتبنّاه المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، وتراه واسعًا وشاملًا، والذي يستند إلى مبدأين: أولهما السيطرة الشعبية على عملية صنع القرارات وتنفيذها Popular Control، وهو يتعلق بالسيطرة السياسية على عملية اتخاذ القرارات السياسية السلطوية Authoritative political decision-making. أما ثانيهما، فهو المساواة الشعبية بين المواطنين في ممارسة هذه السيطرة Popular Equality، وهذا يتصل بكيفية اتخاذ القرارات السياسية السلطوية التي ينبغي توزيعها بالتساوي وتنفيذها بنزاهة. ويرى أصحاب التعريف أن هذين المبدأين ضروريان معًا، ويتضمنان الحقوق والحريات وحق الأفراد في حكم أنفسهم (على نحو تمثيلي أو مباشر)، من دون أي وصاية من الداخل أو الخارج[1]. ويُترجم المبدآن إلى خمس خصائص فرعية للديمقراطية: الحكومة التمثيلية، والحقوق الرئيسة، ووجود كوابح على عمل الحكومة، والإدارة العامة، والمشاركة. ولكل منها العديد من السمات الفرعية[2].

يتميز هذا التعريف، الذي يستفيد من مؤشرات أخرى سابقة، من غيره؛ إذ يأخذ في الحسبان أمورًا قلّما وُجدت في التعريفات الأخرى للديمقراطية، مثل الإدارة المحايدة التي تتضمن سمتين: قدرة مؤسسات الدولة على تنفيذ قراراتها بطريقة يمكن توقع بها النتائج، وغياب الفساد. أما خاصّية المشاركة، فتتسع لتشمل الديمقراطية على المستوى المحلي، والديمقراطية المباشرة، إلى جانب المشاركة في الانتخابات من خلال المجتمع المدني. وتُدرج الرقابة المدنية على القوات المسلحة وقوات الأمن ضمن المؤشرات الفرعية للحكومة التمثيلية، وهكذا.

يراجع التقرير حالة الديمقراطية في العالم خلال عامي 2020 و2021 اللذين شهدَا تفشي فيروس كورونا، ويتخذ من عام 2015 نقطة مرجعية للمقارنة، ويُحلّل الأحداث التي أثّرت في طريقة الحكم الديمقراطي، استنادًا إلى مصادر متنوعة من البيانات منها: المرصد العالمي لأثر كوفيد-19 في الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومؤشرات حالة الديمقراطية[3]، وهما مشروعان تابعان للمؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات التي أصدرت التقرير ذاته. قدّم المرصد العالمي بيانات شهرية عن تدابير الوباء وأثرها في الديمقراطية في 165 بلدًا، في حين وفّرت مؤشرات حالة الديمقراطية حول العالم بيانات كمية عن نوعية الديمقراطية في البلدان نفسها، استنادًا إلى 28 جانبًا من جوانب الديمقراطية، وذلك حتى نهاية عام 2020.

ويرصد التقرير مستويات متعددة لأداء نظم الحكم المختلفة. ففي النظم الديمقراطية هناك أداء متوسط، وآخر مرتفع، وتنتكس الديمقراطية أو تتراجع Backsliding إذا ضعفت خاصية أو أكثر من الخصائص الخمس من جرّاء السياسات الحكومية المتّبعة، على أن يكون هذا الضعف غير ذي أهمية في النظام، وهي تتأكّل Eroding في حال وجود ضعف ذي أهمية في الخصائص كلها طوال فترة زمنية ممتدة بين خمس وعشر سنوات. وتصبح الديمقراطية هشة Fragile إذا مرّت الدولة بمرحلة غير ديمقراطية في أي نقطة زمنية

1 International Institute for Democracy and Electoral Assistance (International IDEA), *The Global State of Democracy Indices Methodology: Conceptualization and Measurement Framework* (Stockholm: 2017), p. 5, accessed on 21/3/2022, at: https://bit.ly/3yNbDjY

2 Ibid., pp. 6-30.

3 International Institute for Democracy and Electoral Assistance (International IDEA), Global Monitor of COVID-19´s impact on Democracy and Human Rights, "GSoD Indices 2020," accessed on 21/3/2022, at: https://bit.ly/3ilv4Zw; International Institute for Democracy and Electoral Assistance (International IDEA), The Global State of Democracy Indices, "Regime types as of 31 December 2020," accessed on 20/3/2022, at: https://bit.ly/3NauR9N

منذ تحوّلها إلى الديمقراطية. أما نظم الحكم المختلطة أو التسلطية، فيرصد التقرير التغيير الذي يحدث فيها ويؤدي إلى تعميق الجوانب التسلطية وتدهور أي جانب من الجوانب الديمقراطية[4]. وتصدر المؤسسة إلى جانب التقرير العالمي تقارير أخرى إقليمية ونوعية.

ثانيًا: أبرز تحديات الديمقراطية وفرصها

توقف التقرير عند عدد من التحديات التي تواجه الديمقراطية في أنحاء العالم خلال عامي 2020 و2021، ومنها أن عدد الدول التي تتجه نحو التسلطية في عام 2020 أكثر من عدد الدول التي تنتقل إلى الديمقراطية، وقد عزّزت تداعيات كورونا هذا الاتجاه. وأشار التقرير إلى عدد من الدول التي أوقفت مسارها نحو الديمقراطية في عام 2020؛ مثل كوت ديفوار ومالي وصربيا، وميانمار في عام 2021. وفي المقابل، أشار التقرير إلى كل من زامبيا وبوليفيا كحالتين انتقلتا إلى الديمقراطية خلال عامي 2020 و2021.

نوّه التقرير أيضًا بأن الدول المختلفة، بما فيها الدول الديمقراطية، تتبنّى العديد من الآليات التسلطية في مواجهة تداعيات كورونا، مشيرًا إلى أن هذا الاتجاه وَجَدَ دعْمًا شعبيًا. وتتضمن هذه الفئة دولًا كبرى وراسخة ديمقراطيًا، مثل الولايات المتحدة الأميركية والبرازيل والهند، إلى جانب دول أخرى، مثل بولندا والمجر وسلوفينيا والفلبين.

من ناحية أخرى، تتجذر التسلطية في الدول غير الديمقراطية (المختلطة والتسلطية)، وكان عام 2020 هو العام الأسوأ؛ إذ عزّزت تداعيات كورونا هذا التجذّر. وأشار التقرير في هذا المجال إلى دول مثل الصين وروسيا وفنزويلا وبيلاروسيا وبنين وكوت ديفوار وغيرها. وتأثرت النزاهة الانتخابية في العديد من الدول، بما في ذلك الدولة الراسخة ديمقراطيًا، مثلما حدث في انتخابات الرئاسة الأميركية في عام 2016، وهي الانتخابات التي أثّرت بدورها في انتخابات البرازيل والمكسيك وبيرو وغيرها، كما يرى التقرير.

في مقابل هذه التحديات، أشار التقرير إلى عددٍ من الفرص التي وفّرتها أزمة كوفيد-19، أبرزها قدرة الدول الديمقراطية على التكيّف في مواجهة الجائحة، حيث ظهرت آليات مبتكرة لمواجهة تداعيات الأزمة على الممارسة السياسية، خاصة الانتخابات. وعلى الرغم من القيود التي فرضتها الأزمة، فإن التقرير يرى أن بعض الدول تعلم كيف يمكن إجراء الانتخابات في ظل ظروف صعبة. وقد شهدت زامبيا انتخابات حرة في 21 آب/ أغسطس 2021، فاز فيها زعيم المعارضة بالرئاسة. وخلال عامي 2020 و2021 تصاعدت قوة الحركات المناصرة للديمقراطية في عدد من الدول حول العام، وتظاهر أنصارها في كوبا وبيلاروسيا وهونغ كونغ وميانمار. ويذكر التقرير أن 80 في المئة من الدول، شهدت احتجاجات خلال فترة كورونا، وذلك على الرغم من القيود التي فُرضت على التجمعات في دول العالم كلها تقريبًا. ويرصد التقرير في هذا المقام أيضًا بعض المواقف التي اتخذتها شركات خاصة في مواجهة سياسات بعض الحكومات؛ مثل حظر شركة "تويتر" لحسابات السفارة الصينية في الولايات المتحدة، وإدانة قمع السلطات الصينية أقلية الإيغور، ومحاكمة أربع شركات فرنسية لإخفائها معلومات عن القمع في الصين. وأشار التقرير كذلك إلى البحوث التي تُظهر أن النظم التسلطية ليست أكثر نجاحًا من النظم الديمقراطية في مكافحة كورونا.

ثالثًا: توصيات التقرير: عناصر القوة والضعف

بعد أن قدّم التقرير مسحًا ثريًّا لحالة الديمقراطية في فصوله، خصّص خاتمته (الفصل التاسع) للتوصيات السياساتية. ويقدّم التقرير هذه التوصيات من أجل تشكيل تحالف للدفاع عن الديمقراطية والدعوة إليها واحترام حقوق الإنسان. ويتم هذا - كما يرى واضعو التقرير - من خلال الآليات التي يمكن أن تدعم الديمقراطية عبر تعزيز مبدأي السيطرة الشعبية على عملية صنع القرارات وتنفيذها، والمساواة الشعبية بين المواطنين في ممارسة هذه السيطرة؛ ومن ثم الإسهام في التعافي من تداعيات أزمة كورونا. وتتطرق التوصيات أيضًا إلى العديد من المجالات، من اقتصاد وسياسة وإعلام وتعليم وغير ذلك، كما تتّجه إلى فاعلين متعددين، مثل الحكومات الوطنية والمحلية والمانحين والأحزاب والمشرّعين والمجتمع المدني والأكاديميين والإعلام، وغير ذلك. وعلى الرغم من كل ذلك، ثمة الكثير من الملاحظات التي يمكن أن تدور في ذهن القارئ.

تدور التوصيات حول ما سمّاه التقرير إقامة "تحالف" على فكرة دعم الديمقراطيات في تقديمها الخدمات وتلبية مطالب المواطنين السياسية والاقتصادية والاجتماعية عبر أجندة حدّدها التقرير. والملاحظة الأولى في هذا المجال هي أن التقرير ربما لم يقصد تشكيل تحالف حقيقي؛ إذ إنّ أمرًا كهذا غير ممكن، لأن المخاطبين بتوصيات التقرير فاعلون مختلفون، ولا تجمعهم مصالح مشتركة، ولا منافع متبادلة، باستثناء العبارة الواسعة التي تشير إلى دعم الديمقراطية. إنّ الديمقراطية في نهاية الأمر نظامٌ سياسيٌّ يقوم على ميزان القوة بين الفاعلين على الأرض، وفي عالمنا المعاصر ثمة مصالح اقتصادية وعسكرية وأمنية تؤثر في النظم السياسية الديمقراطية وغير الديمقراطية على حد سواء، وتمثّل محددات رئيسة في العلاقات الدولية المعاصرة.

4 Ibid.

ارتباطًا بالملاحظة السابقة، تتّجه التوصيات في كثير من الأحيان إلى الحكومات أو المؤسسات الحكومية، من دون تمييز بين أنواعها المختلفة، ولا مستويات ممارسة الديمقراطية فيها. أي إن البناء المفاهيمي للتقرير، القائم على التفرقة بين النظم الديمقراطية والمختلطة والتسلطية، لم ينعكس على التوصيات التي قُدّمت. فعلى سبيل المثال، تتوجّه التوصيات إلى الحكومات، هكذا على الإطلاق، من أجل قيامها بإعادة تصميم المؤسسات وعمليات الحكم فيها على وضع تكون فيه أكثر ديمقراطية وشمولًا، ويكون مركز اهتمامها وعملها مطالب المواطنين. ومن المعروف أنه من غير المنطقي التوجّه إلى الحكومات غير الديمقراطية ومطالبتها بتقوية مؤسساتها الديمقراطية؛ ففي الواقع، تغلق هذه الحكومات المجالَ العام، وتُضيّق الحصار على الداعين إلى الديمقراطية. وهكذا، وعلى الرغم من شمول التوصيات مجالات ومساحات واسعة من السياسة والاقتصاد والمجتمع إلى التعليم والإعلام والبيئة، فإن جُلّها يتسم بالعمومية من ناحية المخاطبين. ويُبرر التقرير هذا الأمر بأنه يترك للدول المختلفة حرية الأخذ بما يناسبها من توصيات[5].

هذا أسلوب قد يبدو جيدًا عمومًا، إلّا أنه من السهولة أن تتملّص الحكومات من التوصيات وتدّعي أنها لا تخصّها. كان من الممكن، بدلًا من ذلك، أن تُصنَّف هذه التوصيات بحسب نوعية الحكومات، فما هو مطلوب من حكومة الولايات المتحدة - وهي أعظم قوة في العالم والدولة الحليفة القوية للكثير من الدكتاتوريات - مختلفٌ بلا شك عن المطلوب من الحكومات الفردية والعسكرية، بل حتى من حكومات ديمقراطية أخرى في شمال أوروبا على غرار السويد والنرويج. وعلى سبيل المثال، أصدرت الخارجية الهولندية تقريرًا ناقدًا بشدّة لحقوق الإنسان في مصر منذ عام 2013[6]، في حين تستمر حكومة فرنسا في عقْد اتفاقات لتصدير الأسلحة وأدوات المراقبة الإلكترونية إلى مصر منذ ذلك التاريخ[7].

5 International IDEA, *The Global State of Democracy 2021: Building Resilience in A Pandemic Era*, p. 38.

6 "وثيقة للحكم على طلبات اللجوء ... تقرير للخارجية الهولندية يصف أحداث 2013 في مصر بالانقلاب"، **الجزيرة نت**، 2021/12/2، شوهد في 2021/3/21، في: https://bit.ly/3IQqmiC

7 "Alongside Sisi, Macron Says France will sell Arms to Egypt Irrespective of Rights," *Reuters*, 7/12/2020, accessed on 22/3/2022, at: https://reut.rs/3s8gydZ; Bénédicte Jeannerod, "Documents Claim France Abets Deadly Egyptian Air Strikes," Human Rights Watch, 22/11/2021, accessed on 21/3/2022, at: https://bit.ly/3sbK7LO

1. هل تعالج السياسات العامة مشكلات الديمقراطية؟

تقوم أجندة تعزيز الديمقراطية على ثلاث نقاط؛ إذ إلى جانب اعتماد المنطق الشائع لدى كثيرين من السياسيين والحكومات، الذي قوامه أن المشكلات الحالية للنظم الديمقراطية يمكن حلّها عن طريق صنع سياسات عامة وتنفيذها لتعزيز الرفاهية المادية للمواطنين، أضاف التقرير عنصرَين آخرين: إعادة بناء المؤسسات الديمقراطية، ومنع تصاعد التسلطية. غير أن هذين العنصرين ينتهيان، عمليًّا، إلى العنصر الأول، أي الاعتماد على سياسات عامة تحسينية أو إصلاحية. فمنع تصاعد التسلطية، انتهى إلى توصيات محدودة حول سياسات دعم التعليم المدني ونقل الخبرات، وهذه السياسات مهمة، بلا شك، في احتواء النزعات التسلطية في الدول الديمقراطية، لكن لن يكون تأثيرها كبيرًا في منع انتشار النظم التسلطية والنظر إليها كنموذج بديل من الديمقراطية، كما يحدث في روسيا والصين اليوم. ففي هذه الحالة الأخيرة، كان من المهمّ أن يتطرّق التقرير إلى جهود أخرى مطلوبة تتعامل مع العوامل البنيوية الكثيرة المسؤولة عن بقاء التسلطية وتمدّدها، سواء أكانت عوامل داخلية في الدول، أم عوامل متصلة بدعم الدول الديمقراطية الكبرى للدكتاتوريات. ولنا عودة إلى موضوعَي التعليم المدني والدعم الخارجي من زوايا أخرى.

أما عنصر إعادة بناء المؤسسات الديمقراطية، فيكاد ينحسر في إصلاح المؤسسات والممارسات الديمقراطية عبر تقديم توصيات تدور حول بناء القدرات، وضمان النزاهة الانتخابية، وحماية الحريات والحقوق الأساسية، وتعزيز ثقة المواطنين بالمؤسسات السياسية. ولا تضمن هذه الأمور في الواقع إعادة البناء التي تتطلّب معالجة جذور الأزمات؛ فأزمة عدم الثقة بالمؤسسات، على سبيل المثال، قد تتطلّب إيجاد مؤسسات جديدة، أو إعادة بناء العلاقة بين المؤسسات والمواطنين على المستويات الوطنية والمحلّية، بما يُمكّن المواطنين من توسيع دائرة النقاش في المجال العام والمساهمة في صنع القرارات ومتابعة تنفيذها فعلًا، أي ردم الفجوة بين القول والفعل.

في واقع الأمر، تطلب التوصيات في كثير من الأحيان من فاعلين محددين القيام بإجراءات ذات أهمية، من دون التطرق إلى العقبات الرئيسة، أو جذور المشكلة، التي تحول دون ذلك، وهو أمرٌ قد يُحوّلها إلى قائمة من الرغبات أو غايات من الصعب تنفيذها. من ذلك، على سبيل المثال، دعوة "الحكومات الوطنية والمحلية والأحزاب السياسية" إلى إعادة تصميم "المؤسسات الديمقراطية" على نحو يحقق مصالح الفئات المهمشة والضعيفة. كيف سيتم هذا؟ وكيف يمكن تحويله من مجرد خطاب إلى فعل؟ هذه غايات كبرى تصطدم بجوهر نظم

الحكم الديمقراطية الغربية الحالية الذي يقوم على مفهومَي القوة والمصلحة، ولا يُعير اهتمامًا لمعيار أساسي هو العدالة في توزيع القوة السياسية وممارستها. ومن ذلك، أيضًا، التوصية بإدماج الشباب في تصميم القوانين والسياسات المتصلة بالتغيير المناخي وتنفيذها. وتتضاءل أهمية هذه الغاية كثيرًا أمام صُلْب مشكلة التغيير المناخي، وهو تغييب الأبعاد القيمية والأخلاقية والتضاد الكبير في المصالح بين الدول الكبرى - أكبر مُلوّثي الكرة الأرضية كالولايات المتحدة والصين - ودول الجنوب الفقيرة. ومن ذلك، أيضًا، التوصية بتعاون الحكومات ومنصّات التواصل الاجتماعي والمنظمات الحقوقية في وضع سياسات لتنظيم استخدام هذه المنصات، في وقت صارت فيه شركات مواقع التواصل الاجتماعي شركات ضخمة جدًا، وذات مصالح مالية كبرى في دول ديمقراطية، يقوم فيها الحكم أساسًا على السماح لجماعات الضغط بممارسة تأثير قوي في عملية صنع السياسات فيها، من دون كوابح أخلاقية أو قانونية حقيقية في استخدام المال السياسي والدعاية المضللة لمصالح ضيقة وخاصة.

أما التوصيات التي تتّجه إلى المانحين الذين يعملون في مجال دعم الديمقراطية، فجُلّها يصطدم بحقيقة أن الدول الكبرى، مثل الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، تُعلي مصالحها الاستراتيجية على المبادئ والقيم، ومن ثم تتدفق مساعداتها على الدول الدكتاتورية منذ عقود، من دون أن يؤثر ذلك في دفع نظم الحكم فيها إلى احترام حقوق الإنسان، بل - على العكس من هذا - تمثل هذه المساعدات دعمًا راسخًا للممارسات السلطوية، وتتيح في واقع الأمر "ضوءًا أخضر" للاستمرار في الانتهاكات الحقوقية[8]. وثمة إعلاء للاعتبارات الأمنية على حساب سياسات دعم الديمقراطية، ولا سيما بعد تعزيز التعاون الأمني في مكافحة التهديدات الإرهابية والهجرة غير النظامية[9]. وتقوم سياسة الولايات المتحدة على الانتقائية في التدخل الخارجي؛ ففي غزوها أفغانستان والعراق، مثلًا، استُخدمت كلمة الديمقراطية لـ "تجميل" دوافع الحرب، وكان السبب الرئيس وراء تدخلها ضد نظام معيّن هو مصلحتها الاستراتيجية وليس الديمقراطية[10].

كان الأحرى بالتقرير أن يكون أكثر صراحةً في مطالبة الدول الكبرى بالكفّ نهائيًا عن دعم الدكتاتوريات ووقف كلّ أوجه المساعدة الاقتصادية والعسكرية الموجّهة إليها، أو على الأقل التوجّه بتوصيات وأفكار محددة إلى المؤسسات التشريعية والرقابية في الدول الديمقراطية في الغرب، وإلى المنظمات الدولية والإقليمية؛ من أجل وضع أدوات رقابة فاعلة على المعونات التي تقدمها الحكومات وتنفيذها، على نحو يحافظ على الحد الأدنى من احترام حقوق الإنسان في الدول المتلقية، ويضمن عدم استخدام السلاح في قمع المتظاهرين والمعارضين السلميين فيها[11].

كان جيدًا أن تطالب التوصيات المؤسسات الحكومية (بعد التشاور والمداولات المكثفة مع المجتمع المدني) بإعادة صياغة العقد الاجتماعي، والاهتمام بالفجوة بين ما يطلبه الناس لسد حاجاتهم وما يمكن أن تقوم به الحكومات في الوقت الراهن، فضلًا عن التوصية بالعمل على المدى الأبعد لمعالجة حالة اللامساواة التي تفاقمت بسبب وباء كوفيد-19، إلى جانب القضاء على الفساد، وكفالة إدماج مبادئ الاستدامة البيئية في صلب عملية وضع السياسات العامة. لكن كان من المهم أيضًا الغوص أكثر في عقبات هذه التوصية، فالحديث عن عقد اجتماعي جديد يتطلب أمورًا كثيرة، منها ضرورة معالجة المشكلات الهيكلية في نظم الإدارة والحكم الديمقراطي، التي كشفتها أزمة كورونا، ومرتكزها الأساس هو تغييب قيمة العدل في إقامة المؤسسات والنظم وفي إدارتها. فسياسيًا، تُرسّخ الديمقراطية الليبرالية الحالية عقدًا اجتماعيًا لا يُقيم علاقةً عادلةً بين مؤسسات الحكم والشعوب؛ إذ إنّ الحكم، بوصفه وظيفة لخدمة المصلحة العامة، لا يقوم بهذه الوظيفة في كثير من الأحيان، كما أنه لا مكان في السياسة إلّا للأقوياء، ولو على حساب القيم والأخلاق.

ومن الناحية الاقتصادية، حوّلت الأنظمة الرأسمالية خدمات أساسية، مثل التعليم والصحة، إلى سلعٍ تجارية للتربح، وأضعفت النقابات، وأضرّت بحقوق العُمّال والموظفين، وصارت إدارة الاقتصاديات الوطنية لا تقوم على سياسات عامة منصفة، ولا على توزيع عادل للإنفاق العام. وقد أضرّت سياسات الخصخصة، أيضًا، بملايين الناس حول العالم. ويُعرقل النظام الرأسمالي في الولايات المتحدة إنتاج اللقاحات، ما دام لا يوجد ربحٌ كبير من ورائها. وفي وقت كان فيه فيروس كورونا يكتسح الولايات المتحدة، قدّمت إدارة دونالد ترامب، في 10 شباط/ فبراير 2020، مقترح ميزانيتها السنوية الذي يُوسّع التخفيضات في الأجزاء الرئيسة المتعلقة بالصحة في الحكومة،

8 عبد الفتاح ماضي، "العوامل الخارجية والثورات العربية: أربع إشكاليات للبحث"، **سياسات عربية**، مج 7، العدد 36 (كانون الثاني/ يناير 2019)، ص 13-17.

9 ينظر في خصوص سياسات الاتحاد الأوروبي في هذا الصدد: محمد سعدي، "الاتحاد الأوروبي والمشروطية الديمقراطية: اختبار ما بعد الربيع العربي"، **سياسات عربية**، مج 7، العدد 36 (كانون الثاني/ يناير 2019)، ص 76-90.

10 عزمي بشارة، "ملاحظات عن العامل الخارجي في الانتقال الديمقراطي"، **سياسات عربية**، مج 7، العدد 36 (كانون الثاني/ يناير 2019)، ص 6-26.

11 ينظر حول العامل الخارجي ومسارات الانتقال إلى الديمقراطية في الدول العربية بعد عام 2011: **العامل الخارجي والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية**، تحرير عبد الفتاح ماضي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 62.

ويرفع ميزانيات الجيش وبناء الجدار مع المكسيك[12]. ويُقدّر الإنفاق العسكري في الولايات المتحدة بنحو 934 مليار دولار من مجمل الإنفاق العام، وقيمته 4.8 تريليونات دولار، أي نحو 20 في المئة، في السنة المالية 2020-2021[13]. إنّ تغييب قيمة العدالة خللٌ جوهري، وهو سببٌ رئيس لمشكلات أخرى؛ مثل الفساد السياسي، وضعف التمثيل، وسيطرة الشركات الكبرى، وفقدان الثقة بالمؤسسات السياسية، وضعف الحكامة الديمقراطية، وتسييس مؤسسات الخدمة العامة، وأمننة قضايا يجب ألا تكون أمنية، وغير ذلك.

يُقدّم التقرير توصيات إلى الحكومات المحلية والوطنية للعمل على معالجة التراجع الديمقراطي عبر الاستثمار في التعليم المدني عن الديمقراطية والحقوق في المدارس والجامعات. ومع افتراض أن هذه التوصيات تتّجه إلى الدول الديمقراطية، فإنه كان جديرًا بها أن تكون أكثر تحديدًا، فتطلب أن تنعكس القيم الديمقراطية على المناهج والكتب في المدارس والجامعات الغربية أولًا، وذلك من خلال مطالبة الحكومات المحلية والوطنية، والأجهزة والمؤسسات المسؤولة عن وضع المقررات والكتب المقررة في الدول الغربية الديمقراطية، بتنقية مناهجها ووسائل إعلامها من كل أوجه التحيز والأفكار المسبقة في حق الآخر؛ كالإسلاموفوبيا، والازدواجية الواضحة في التعامل مع القضايا العادلة في دول الجنوب عمومًا[14].

2. الرقابة والعسكرة

يتطرق التقرير إلى فرض نظم رقابة متشددة اعتمادًا على التطبيقات التكنولوجية وكاميرات المراقبة، مع التركيز على الصين، لكن من دون ذكر دول أخرى، مثل كوريا الجنوبية وإسرائيل. وفي الواقع، فإنّ هذه النظم، وإنْ نجحت في الحد من انتشار فيروس كورونا، فإنها أثارت المخاوف بشأن إمكان استغلالها لقمع الأقليات والمعارضين. كما أن مَنْح القوات العسكرية والأمنية صلاحيات واسعة، وسّع المخاوف من أن يؤدي هذا الأمر إلى عسكرة المجتمعات، وذلك في ضوء أن 20 في المئة من كل الدول في مناطق العالم سمحت باستخدام القوات المسلحة، بطريقة أو أخرى، في تنفيذ التدابير الاستثنائية لمواجهة كورونا، كما ذكر التقرير[15]. وبخلاف هذه الإشارة، لم يتطرق التقرير إلى بُعْدٍ آخر ذي صلة بالجيوش؛ إذ كان في إمكان التقرير أن يُوصي بتقليص حجم المساعدات العسكرية التي تُقدّمها الدول الكبرى إلى الدول الفقيرة، في مقابل حجم المعونات الموجهة إلى قطاعات أخرى، مثل الصحة والتعليم، مع ضرورة إخضاع كل أنواع الصادرات والمساعدات العسكرية وتكنولوجيا المراقبة إلى معايير محددة لضمان عدم استخدامها في الصراعات الداخلية في الدول، وفي قمع المعارضين.

تطرق التقرير وتوصياته إلى استخدام قوانين الطوارئ، وخصّص له تقريرًا منفردًا أيضًا. وهذا أمر مهم جدًا؛ إذ إنّ الخطر الأكبر هو أن تتحول حالة الاستثناء إلى قاعدة دائمة بعد انتهاء الأزمة، وذلك عبر تقنين بعض الإجراءات الاستثنائية ضمن الأطر الدستورية والقانونية القائمة. حَدَث هذا مؤخرًا في مصر، على سبيل المثال؛ وذلك عندما أُلغيت حالة الطوارئ في تشرين الأول/ أكتوبر 2021، ثم أقدم البرلمان بعد أيام على إجراء ثلاثة تعديلات تشريعية تتعلق بـ "حماية المنشآت الحيوية"، و"مكافحة الإرهاب"، و"صون أسرار الدولة"، اعتبرتها منظمات حقوقية تُقنّن حالة الطوارئ والاستثناء وتمنح الرئيس والجيش سلطات واسعة[16].

لهذا، من الأهمية دومًا التركيز على أن تكون الإجراءات الاستثنائية محلًّا للنقاش الدائم في المجال العام، من أجل ضمان أنها مؤقتة، وأنها تجري تحت رقابة البرلمانات والمجتمع المدني والإعلام الحر، وتتصل بما تتطلّبه معالجة الأزمة فحسب، فضلًا عن أنه من الضروري دعم كل المبادرات الهادفة إلى حشد التعبئة الشعبية في الشارع لمواجهة المشكلات الهيكلية التي كشفتها الأزمة وطرحتها للنقاش الحر في المجال العام والتفكير في طرائق معالجتها.

---

12 ينظر لقاء نوعم تشومسكي في:
C.J. Polychroniou, "Chomsky: Ventilator Shortage Exposes the Cruelty of Neoliberal Capitalism," Truthout, 1/4/2020, accessed on 21/3/2022, at: https://bit.ly/3e2Shxr

13 Kimberly Amadeo, "US Military Budget, Its Components, Challenges, and Growth," *The Balance*, 24/2/2022, accessed on 21/3/2022, at: https://bit.ly/32a6GoT;
من الجدير ذكره هنا أن الضرائب تنخفض في الولايات المتحدة بالنسبة إلى من كانوا في القمة، في حين أنها تتصاعد بالنسبة إلى سائر فئات الدخل. ينظر:
Emmanuel Saez & Gabriel Zucman, *The Triumph of Injustice: How the Rich Dodge Taxes and How to Make them Pay* (New York: W.W Norton & Company, 2019).

14 ينظر على سبيل المثال: عبد الفتاح ماضي، "أي دور للنظام العالمي في نشر الكراهية للغرب؟"، **مجلة السياسة الدولية**، العدد 199 (كانون الثاني/ يناير 2015)؛
Tamer Balcı, "Islam and the Middle East in Texas Textbooks," *Digest of Middle East Studies*, vol. 27, no. 2 (2018), pp. 227-260; Paul A. Silverstein, "The Context of Antisemitism and Islamophobia in France," *Patterns of Prejudice*, vol. 42, no. 1 (2008), pp. 1-26; Engy Abdelkader, "A Comparative Analysis of European Islamophobia: France, UK, Germany, Netherlands and Sweden," *UCLA Journal of Islamic and Near Eastern Law*, vol. 16 (2017), pp. 29-64; Ahmed Kabel, "The Islamophobic-neoliberal-Educational Complex," *Islamophobia Studies Journal*, vol. 2, no. 2 (2014), pp. 58-75.

15 International IDEA, *The Global State of Democracy 2021: Building Resilience in A Pandemic Era*, p. 25.

16 ينظر: أحمد شوشة، "هل كان رفع حالة الطوارئ في مصر إجراء شكليًا؟"، **بي بي سي عربي**، 2021/11/2، شوهد في 2022/3/21، في: https://bbc.in/3dUhGJZ

في الواقع، تقوم العديد من الحكومات حول العالم، بما في ذلك في الدول الديمقراطية، باستغلال الأزمة الصحية الحادة لتحقيق مصالح أيديولوجية أو سياسية ضيقة، مثل قيام السياسيين بمهاجمة خصومهم وتعميق الاستقطاب، كما حدث في البرازيل والولايات المتحدة والهند والمجر، وتمرير تشريعات من دون نقاشات حقيقية في بولندا وسريلانكا، وسحْب قضايا إلى مساحة الجدل حول جائحة فيروس كورونا، مع انعدام علاقتها بالأزمة، مثل القيود التي وضعت على المسلمين في الهند وسريلانكا. وبحسب بيانات منشورة في كانون الأول/ ديسمبر 2021، فإن 110 دول تعيش تحت قوانين طوارئ من نوع ما. فبموجب هذه القوانين، يجري توسيع صلاحيات السلطات التنفيذية، وتعطيل عمل البرلمانات تقريبًا، وحظْر التجمعات، والسماح باحتجاز الناس إلى أجل غير مسمى، وإيقاف المظاهرات والاحتجاجات، واستهداف الأقليات؛ كما حدث مع المسلمين في الهند وسريلانكا، ومع المهاجرين في دول غربية عدة[17].

لم تأخذ مسألة استخدام خطاب الحرب على الإرهاب من أجل قمع الأصوات المطالبة بالديمقراطية وحماية حقوق الإنسان الاهتمام اللازم في التقرير؛ فبخلاف إشارات عابرة عن "الإرهاب" في حالات مثل الهند وميانمار والفلبين وأفغانستان، وكذلك عند التوصية بمكافحة غسيل الأموال وتمويل الإرهاب، لا حديث عن مراجعة المقاربات السائدة لمكافحة الإرهاب - ولا سيما في الغرب - وهي مقاربات أثبتت أنها غير فاعلة في معالجة جذور الإرهاب. ولا حديث عن استخدام خطاب محاربة الإرهاب لقمع المخالفين في الرأي والمعارضين السلميين في كثير من الدول ذات نظم الحكم التسلطي والعسكري[18].

ثمة عقبات أخرى لم تأخذ نصيبها في التوصيات، فالتحديات التي تواجهها الدول الديمقراطية الضعيفة أو المختلطة تتطلّب اهتمامًا خاصًا، وأقصد هنا تحديات مثل الحروب الأهلية والصراعات المسلحة والانقلابات العسكرية والتلاعب بالدساتير في أفريقيا، وممارسات الحكام المنتخبين الشعبوية في عدد من دول العالم، فضلًا عن محدودية الدور الذي تقوم به المنظمات الإقليمية والدولية في تعزيز الديمقراطية.

خاتمة

أخيرًا، يمثل هذا التقرير مادة ثريّة لتتبّع حالة الديمقراطية في أنحاء العالم، وهو تقرير، مثل غيره من المنشورات القيّمة الأخرى للمؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، يضيف الكثير في هذا المجال. بيد أنه قد حان الوقت للاهتمام أكثر بالجذور الهيكلية لأزمة الحكم الديمقراطي التي كشفتها بوضوح أزمة كورونا. ومن ثم، من الأهمية استغلال هذه الأزمة الأخيرة وتحويلها إلى فرصة للبدء في معالجات جذرية وإعادة هيكلة النظام الديمقراطي ذاته على أسسٍ أكثر عدالة سياسيًا واقتصاديًا؛ وذلك على مستوى الأفكار والمبادئ، وعلى مستوى المؤسسات والإجراءات والقواعد، على نحو يضمن إعادة الاعتبار إلى القيم والأخلاق في ممارسة السلطة، وتمكين المواطنين وتوسيع مساحة الفعل الفردي والمجتمعي في المجال العام.

يستلزم هذا الأمر عدم الاكتفاء بالحديث عن إصلاح المؤسسات الديمقراطية الحالية، والكفّ عن الاعتقاد أن تقديم سياسات عامة تُعزّز الرفاه الاجتماعي والاقتصادي يمكن أن يحل الأزمة، بل ينبغي التفكير جدّيًا في الآليات الكفيلة بتحقيق غايتين أساسيتين: الأولى تغيير منظومة القيم الحاكمة لنظم الحكم الديمقراطي بما يضمن تعزيز قيم العدالة والتعددية ونبذ الهيمنة بكل أنواعها، ووضع هذه القيم فوق ممارسات السلطة والقوة، فضلًا عن انعكاس هذا التغيير على الأطر القانونية والدستورية والمؤسسية لنظم الحكم. أما الثانية، فهي تعزيز عمل المنظمات والأجهزة الداعمة للديمقراطية والحكم الرشيد وتعزيز إقامة الشراكات فيما بينها على المستويين الإقليمي والدولي، وذلك لضمان الفاعلية والمتابعة ونقل الخبرات. وفي المجتمعات التي تعاني صراعات أهلية أو استقطابات سياسية حادة، ثمة حاجة ملحّة إلى توصيات محددة حول تعزيز جهود بناء السلم الأهلي في المجتمعات، وبناء إجماع حول الديمقراطية كنظام للحكم ودمج هذه الأخيرة ضمن جهود بناء السلم وتسوية النزاعات.

ربما تحتاج الديمقراطية اليوم إلى "بيريسترويكا" أو إعادة بناء شاملة، تُقدّم نسخةً جديدةً منها، تقوم على العدل والتعددية الحقيقية، وتُوقف الانتقائية الغربية في التعامل مع قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتكشف كذلك زيف ادّعاء وجود بدائل تسلطية كنماذج تُحتذى.

---

17 "COVID-19 Civic Freedom Tracker," The International Center for Not-for-Profit Law, accessed on 21/3/2022, at: https://bit.ly/3N5zsKy

18 ثمة دراسات كثيرة أثبتت أن قمع المعارضين ليس له تأثير إيجابي في النجاح في الحرب على الإرهاب. ينظر على سبيل المثال:
James A. Piazza, "Repression and Terrorism: A Cross-National Empirical Analysis of Types of Repression and Domestic Terrorism," *Terrorism and Political Violence*, vol. 29, no. 1 (2017), pp. 102-118; Beth Elise Whitaker, "Exporting the Patriot Act? Democracy and the 'War on Terror' in the Third World," *Third World Quarterly*, vol. 28, no. 5 (2007), pp. 1017-1032; List Storm, "The Persistence of Authoritarianism as a Source of Radicalization in North Africa," *International Affairs*, vol. 85, no. 5 (September 2009), pp. 997-1013.

المراجع References

العربية

بشارة، عزمي. "ملاحظات عن العامل الخارجي في الانتقال الديمقراطي". **سياسات عربية**. مج 7، العدد 36 (كانون الثاني/ يناير 2019).

سعدي، محمد. "الاتحاد الأوروبي والمشروطية الديمقراطية: اختبار ما بعد الربيع العربي". **سياسات عربية**. مج 7، العدد 36 (كانون الثاني/ يناير 2019).

العامل الخارجي والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية. تحرير عبد الفتاح ماضي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

ماضي، عبد الفتاح. "أي دور للنظام العالمي في نشر الكراهية للغرب؟". **مجلة السياسة الدولية**. العدد 199 (كانون الثاني/ يناير 2015).

________. "العوامل الخارجية والثورات العربية: أربع إشكاليات للبحث". **سياسات عربية**. مج 7، العدد 36 (كانون الثاني/ يناير 2019).

الأجنبية

Abdelkader, Engy. "A Comparative Analysis of European Islamophobia: France, UK, Germany, Netherlands and Sweden." *UCLA Journal of Islamic and Near Eastern Law*. vol. 16 (2017).

Balcı, Tamer "Islam and the Middle East in Texas Textbooks." *Digest of Middle East Studies*. vol. 27, no. 2 (2018).

"COVID-19 Civic Freedom Tracker." The International Center for Not-for-Profit Law. at: https://bit.ly/3N5zsKy

International Institute for Democracy and Electoral Assistance (International IDEA). *The Global State of Democracy Indices Methodology: Conceptualization and Measurement Framework* (Stockholm: 2017). at: https://bit.ly/3yNbDjY

________. The Global State of Democracy Indices. "Regime types as of 31 December 2020." at: https://bit.ly/3NauR9N

Jeannerod, Bénédicte. "Documents Claim France Abets Deadly Egyptian Air Strikes." Human Rights Watch. at: https://bit.ly/3sbK7LO

Kabel, Ahmed. "The Islamophobic-neoliberal-Educational Complex." *Islamophobia Studies Journal*. vol. 2, no. 2 (2014).

Piazza, James A. "Repression and Terrorism: A Cross-National Empirical Analysis of Types of Repression and Domestic Terrorism." *Terrorism and Political Violence*. vol. 29, no. 1 (2017).

Polychroniou, C.J. "Chomsky: Ventilator Shortage Exposes the Cruelty of Neoliberal Capitalism." Truthout. at: https://bit.ly/3e2Shxr

Saez, Emmanuel & Gabriel Zucman. *The Triumph of Injustice: How the Rich Dodge Taxes and How to Make them Pay*. New York: W.W Norton & Company, 2019.

Silverstein, Paul A. "The Context of Antisemitism and Islamophobia in France." *Patterns of Prejudice*. vol. 42, no. 1 (2008).

Storm, List. "The Persistence of Authoritarianism as a Source of Radicalization in North Africa." *International Affairs*. vol. 85, no. 5 (September 2009).

Whitaker, Beth Elise. "Exporting the Patriot Act? Democracy and the 'War on Terror' in the Third World." *Third World Quarterly*. vol. 28, no. 5 (2007).

المعرّف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430//BBUQ8859

سعيد بكار | Said Bakkar*

"في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية؟"

"What is Populism?"

عنوان الكتاب في لغته: في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية؟

عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية: *What is Populism?*

المؤلف: عزمي بشارة.

الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

مكان النشر: الدوحة، بيروت.

سنة النشر: 2019.

عدد الصفحات: 215 صفحة.

* أستاذ اللغة العربية، جامعة ابن زهر، أغادير، المغرب.

Professor of Arabic, Ibn Zohr University, Agadir, Morocco.
Email: saidbakk@hotmail.fr

مقدمة

سبق لنائب رئيس بوليفيا ألفارو غرسيا لنيرا Álvaro García Linera أن قال: "الشعبوية وعاءٌ يضعون فيه كل شيء لا يفهمونه"[1]. ويُفهم من ذلك أن الشعبوية أضحت نعتًا يوصف به كل سياسي يتملّق الشعب أو يلبس لباسَه أو يتكلم كلامه، إلى غير ذلك من الممارسات التي يقوم بها بعض السياسيين من أجل الحصول على دعم الجمهور في الاستحقاقات الانتخابية.

انطلاقا من هذا الالتباس الحاصل في تحديد الشعبوي من الديماغوجي أو من الشعبي أو من الدكتاتوري أو من غيرهم، أُلِّفَت العديد من الكتب والدراسات العلمية التي توخت الإجابة عن سؤال أساس هو: "ما الشعبوية؟". وتتفرع من هذا السؤال أسئلة تروم تحديد شروط ظهور هذه الظاهرة السياسية، وآثارها في الأنظمة السياسية التي يصعد فيها نجمها. وإذا كانت الكتابات الغربية عديدة ومتنوعة، فإن الكتابات العربية فيها نزرة إن لم تكن منعدمة. فباستثناء تناولها البسيط في كتاب لمنى خويص[2]، لم يُكْتَب، على حد علمي، كتاب عربي يتناول هذه الظاهرة بالتحليل والتفسير والنقد[3]. ومعظم المقالات التي كتبت عن الشعبوية إلى حدود عام 2019 كانت تنظر إليها باعتبارها استراتيجية سياسية لا غير. ولا تكلف نفسها عناء الحديث عن أسبابها وعلاقاتها بالديمقراطية وصفات الشعبويين وأنماطهم. ونزعم أن السبب في ذلك يرجع إلى اعتقاد خاطئ مفاده أن الشعبوية ظاهرة غربية بالأساس ولا علاقة لها بالعالم العربي، لا سيما أنها ارتبطت أساسًا بزعماء دول أميركا اللاتينية وأوروبا الغربية. وهذا ما جعل الدراسات العربية تُعنى بأنظمة الحكم السياسية في الوطن العربي وبالانقلابات العسكرية وغيرها من الظواهر التي رأت أنها جديرة بالدراسة.

بيد أن الأمر سيعرف تغيرًا مع صدور كتاب عزمي بشارة **في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية؟**، إذ يبدو مُدرِكًا خطر هذه الظاهرة، وراهنيتها، وضرورة تمييزها من غيرها من الأنظمة السياسية العربية. لذلك حدّد ثلاثة رهانات أساسية في كتابه، هي:

- إماطة اللثام عن الغموض الذي يسم استعمال مصطلح الشعبوية.
- الإسهام النظري في نقاش ظاهرة الشعبوية بالنظر إلى إمكانية اكتسابها "راهنية في الانتقال إلى الديمقراطية في الوطن العربي".
- تحديد الشعبوية وإبراز خطرها على الديمقراطيات الوليدة والديمقراطية الليبرالية بصفة عامة.

تبرز هذه الرهانات وعيًا بأنّ الشعبوية ظاهرة مؤثرة في أنظمة الحكم العربية، وأنها كانت ولا تزال وستظل مؤثرة في هذه الأنظمة. وينبغي الوعي بها وبمكمن قوّتها لتجنب مخاطرها مستقبلًا. وما نود أن نقوله هنا هو أنّ الكتاب يستحق منا كل العناية والدراسة، بالنظر إلى أنّ الشعبوية ترهن حاضرنا ومستقبلنا. ولعل التجارب المصرية والتونسية والمغربية خير دليل على قوة الخطاب الشعبوي وآثاره السلبية في المجتمعات العربية، لا سيما إن كانت الدول التي يبرز فيها ديمقراطية وليدة، وكان الزعيم الشعبوي فيها تدعمه فئة قوية، كالعسكر مثلًا.

يتناول بشارة ظاهرة الشعبوية تناولًا مفصّلًا في أربعة محاور؛ يحاول الأول تحديد شروط ظهورها الأيديولوجية والاجتماعية والاقتصادية، ويسهم المحور الثاني في تعريف الشعبوية، ويفحص المحور الثالث أثر الشعبوية في الأنظمة الديمقراطية الراسخة بصفة عامة، والوليدة بصفة خاصة باتخاذ تونس ومصر نموذجين، ويعرض في المحور الرابع فشل الليبرالية في استيعاب الجانب اللاعقلاني لدى المجتمعات البشرية، ومن ثم خلق فجوة يتقن الشعبويون استثمارها في الصراع من أجل السلطة. بعبارة أخرى، يعرّف الكتاب الشعبوية، مبرزًا شروط ظهورها، ثم يدرس آثارها. ولا يكتفي بذلك بل يقدّم نقدًا للديمقراطية الليبرالية نفسها في محاولة للبحث عن حلول جذرية لمخاطر الشعبوية. وسنفصّل في كل بعد من أبعاد هذا الكتاب، مناقشين إياه في ضوء مجموعة من الأدبيات حول الشعبوية في العالم الغربي.

أولًا: ما الشعبوية؟

يتوخى بشارة في كتابه هذا الإجابة عن سؤال "ما الشعبوية؟" ولا يُعدّ طرح هذا السؤال ترفًا ذهنيًا، بل هو سؤال علمي صعب جدًا؛ بالنظر إلى تعدّد تعريفات الشعبوية، وتعدد أشكالها وأنماط زعاماتها. وقد ميز بول تاغارت في كتابه **الشعبوية** بين سمات خاصة بماهية الشعبوية وأخرى تتعلق بوظيفتها. وهو ما يمكن أن نورده في الجدول (1).

تشير هذه السمات إلى استعصاء الشعبوية على التعريف؛ فهي تتَّسم بعدم الثبات من حيث الماهية وبالتناقض من حيث الوظيفة. وقد عبّر أشعيا برلين Isaiah Berlin (1909-1997) عن هذه الصعوبة حينما شبَّه محاولة إيجاد تعريف موحَّد ودقيق للشعبوية بمحاولة إيجاد قَدَم تلائم "حذاء سندريلا"[4]. وينبغي فهم هذه الصعوبة

1 Kirk A. Hawkins, *Venezuela's Chavismo and Populism in Comparative Perspective* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010), p. 50.

2 منى خويص، **رجال الشرفات: دراسة تحليلية للظاهرة الشعبوية** (بيروت: دار الفارابي، 2012).

3 ينظر لمزيد من الاطلاع: سعيد بكار، "الشعبوية في الخطاب السياسي المغربي (2011-2018): دراسة تحليلية نقدية"، رسالة دكتوراه، جامعة ابن زهر، أكادير، 2021، ص 404-421. [غير منشور]

4 Paul Taggart, *Populism* (Philadelphia: Open University Press, 2000), p. 2.

الجدول (1)

سمات الشعبوية عند بول تاغارت

سمات تتعلق بالوظيفة	سمات خاصة بالماهية
• ثورية. • إصلاحية. • غير قادرة على تقديم إصلاحات جذرية.	• غير عادية. • لا تمتلك سمات الأيديولوجيا الكاملة. • مرنة. • تفتقد الثبات. • تفتقد السمات التي تجعلها ملموسة. • من الصعب التحكم فيها أو تنظيمها.

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادًا على:

Paul Taggart, *Populism* (Philadelphia: Open University Press, 2000), pp. 1-2.

في سياق وجود شعبويات كثيرة؛ إذ نجد شعبويات زراعية وأخرى فلاحية أو سياسية، إضافة إلى شعبويات يمينية وأخرى يسارية، وشعبويات تحمل شعارات إثنية وعرقية وإقصائية وأخرى تحمل شعارات اقتصادية وإدماجية[5]. وقد أشرنا إلى هذا الأمر لنفسرّ في ضوئه تعريف بشارة للشعبوية. فهو تعريف مركّب في طبيعته. ويظهر النص التالي، المقتطف من كتابه، هذه الطبيعة التركيبية:

"ظاهرة الشعبوية السياسية **نمط من الخطاب السياسي** يتداخل فيه المستويان الخطابي والسلوكي بشكل وثيق. وقد يتفاعل هذا الخطاب مع عفوية تقوم على **مزاج سياسي غاضب** لجمهور فقدَ الثقة بالنظام والأحزاب السياسية القائمة والنخب الحاكمة، كما يوظّف بوصفه **استراتيجيةً سياسيةً** في مخاطبة هذا المزاج، هادفةً إلى إحداث تغيير سياسي عبر الوصول إلى الحكم. **ويتحول** هذا الخطاب **إلى أيديولوجيا** في الحالات المتطرفة" (ص 17)[6].

يشير النص السابق إلى أربعة تعريفات للشعبوية، فهي "خطاب سياسي"، ثم "مزاج سياسي"، ثم "استراتيجية سياسية"، ثم "أيديولوجيا". واللافت في هذا التعريف هو إضافة تعريف للشعبوية بأنها "مزاج سياسي"، أما باقي التعريفات فهي مشهورة في الأدبيات الغربية، التي تميز بين التعريف الاستراتيجي للشعبوية، والتعريف الخطابي، والتعريف الفكري. لكن بشارة يضيف مصطلح المزاج في تعريفه للشعبوية. ويوضح هذا المصطلح قائلًا: "وإذا صح تصنيفي لها [أي الشعبوية] باعتبارها مزاجًا سياسيًا، أضيف إلى ذلك أنه **مزاج سياسي غير ودود لليبرالية عمومًا**" (ص 84)[7]. ولنا أن نتساءل هنا: ما الذي يقصده بشارة بالمزاج؟ وما الفرق بين المزاج والأيديولوجيا؟ وما علاقة المزاج والأيديولوجيا بالخطاب؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، يمكننا الانطلاق ممّا صاحب كلمة "مزاج" في تعريف بشارة، وأساسًا كلمة "غاضب" و"غير ودود لليبرالية". فمعنى ذلك أن المزاج عنده هو تصورات معينة لدى الناس، وتندرج التصورات ضمن مفهوم الإدراك Cognition الذي يضم الأيديولوجيات والمواقف والآراء والمعارف. وما دام الأمر كذلك، فهي تمثلات جماعية مشتركة بين مجموعة من الناس. وقد يكون هؤلاء الناس أغلبية في بلد معين أو فئات اجتماعية متضررة. ويعزز هذا الأمر صفة الغضب المرتبطة بالمزاج. وبعبارة أخرى، نفهم أن المزاج من وجهة نظر بشارة هو مواقف معيّنة تعتقدها مجموعة اجتماعية متضررة من وضع اجتماعي ما. وهذا ما يبرّر قوله إن الشعبوية قد تتحول إلى أيديولوجيا في حالات متطرفة، فالمواقف قد تتحول بالفعل إلى أيديولوجيا، كما وضّح ذلك بالتفصيل تون فون دايك في نظريته حول الأيديولوجيا[8].

5 ينظر على سبيل المثال:
Margaret Canovan, *Populism* (London: Junction, 1981); Ernesto Laclau, *Politics and Ideology in Marxist Theory: Capitalism, Fascism, Populism* (London: NLB, 1977); Ernesto Laclau, *On Populist Reason* (London/ New York: Verso, 2005).

6 التشديد على الكلمات من عندنا وليس موجودًا في النص الأصلي.

7 التشديد على الكلمات من عندنا وليس موجودًا في النص الأصلي.

8 Teun van Dijk, "Ideology and Discourse: A Multidisciplinary Introduction," *English Version of an Internet Course for the Universitat Oberta de Catalunya (UOC)* (July 2000), pp. 13, 19, accessed on 3/1/2022, at: https://bit.ly/3FOzMsR

يأتي الخطاب ليرسم علاقة جدلية مع المزاج. وهذه الجدلية مسألة خلافية في حقل تحليل الخطاب بصفة خاصة، والعلوم الاجتماعية بصفة عامة؛ فأرنستو لاكلو Ernesto Laclau (1935-2014) وشانتال موف Chantal Mouffe مثلًا، يؤمنان بأنّ الخطاب يخلق الواقع الاجتماعي، بينما يعتقد الماركسيون، خلاف ذلك، أن الخطاب نتاجٌ للواقع الاجتماعي[9]. ويقف المحللون النقديون للخطاب موقفًا وسطًا، فالخطاب ينتج المزاج الغاضب، وهو في الآن نفسه نتاج ذلك المزاج[10]. ومعنى ذلك أن السياسي يبالغ في تصوير شعور مجموعة اجتماعية بالاستياء ويربطه بقضايا اجتماعية أو سياسية معينة من أجل كسب أصوات هؤلاء المستائين في الاستحقاقات الانتخابية. وبهذا يعمل الخطاب على تعزيز الاستياء وتحويله إلى مواقف معادية لفئات اجتماعية أو مؤسسات سياسية أو نخب حاكمة، إلى غير ذلك.

حينما لا يتحول المزاج إلى أيديولوجيا، فهو بحسب بشارة يوَظَّف استراتيجيةً للحصول على السلطة والصراع من أجلها. فهو في هذه الحالة استراتيجية لا يترتّب عليها أي سياسات متطرفة تجاه فئات من الساكنة. ولو أردنا توضيح ذلك لقلنا إنّ الشعبوية تصبح أيديولوجيا في أوروبا الغربية، فالشعبويون هناك يتوعدون بسنّ تشريعات معادية للمهاجرين والمؤسسات، كالاتحاد الأوروبي ومؤسساته المتعددة، بينما الشعبويون في أميركا اللاتينية يوظفونها استراتيجيةً لتعبئة الشعب والحصول على السلطة من دون أن تترتّب على ذلك إجراءات تعسّفية تجاه مجموعات اجتماعية ما، سواء أكانوا سودًا أم سكانًا أصليين أم مهاجرين[11].

صفوة القول إن بشارة يقدّم تعريفًا إجرائيًا مَرِنًا يتكيّف مع أشكال الشعبوية المتعددة؛ فهي استياء اجتماعي يعزِّزه الخطاب ويحوِّله إلى مزاج غاضب من الوضع القائم، ويوظفه السياسيون من أجل الحصول على السلطة، وفي حالات متطرفة يبلورون منه موقفًا من العالم السياسي ومن ثم يوظفونه في اتخاذ القرارات السياسية وسنّ التشريعات.

ثانيًا: ما شروط ظهور الشعبوية؟

عُنِي كتاب بشارة بمسألة ثانية تتمثل في تحديد الشروط التي تحفِّز ظهور الشعبوية في الأنظمة السياسية. وقد ركز على الشروط الأيديولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ونعرض هذه الشروط وفق الترتيب التالي:

1. **الشروط الأيديولوجية:** المقصود بها مجمل التصورات التي يحملها الشعبويون تجاه السياسة، والتي تسهم في بروز الشعبوية. ويمكن تكثيفها في تصورين، هما:

أ. **رفض السياسة:** يكمن الإشكال الأساسي في تصور الشعبويين للسياسة في أنهم لا يحدّدون طبيعة السياسة التي يريدونها، فرفضهم للتمثيل واستبداله بالعلاقة المباشرة بين الزعيم والشعب فيه إلغاءٌ للسياسة. فهذه الأخيرة سلسلة من الصراعات والتحالفات والمفاوضات والمساومات والتنازلات التي تحكم عملية صنع القرار. واعتماد نظام الاستفتاءات يفرغ العملية السياسية من محتواها. وقد انتقد بشارة هذه النزعة "اللاسياسية" لدى الشعبويين بقوله: "ثمة وهم عند الحركات الشعبوية للتمثيل المباشر، وفي الحقيقة لا يوجد شيء اسمه تمثيل مباشر؛ إذ إن كل تمثيل هو غير مباشر. ولكن ثمّة أنواع من التمثيل غير المباشر تزعم أنها وحدها الناطقة باسم الشعب، وتدّعي لنفسها سلطات لا يستحقها غيرها ممن لا يمثلون الشعب مباشرة، وفق المنظور الشعبوي. فهذا التواصل المباشر بين القائد والقاعدة الشعبية دون أجسام وسيطة هو تواصل خطير، لأنه يقود في النهاية إلى منع التعددية أو اعتبارها فائضًا عن الحاجة" (ص 40-41).

ب. **رفض السياسيين:** يميل الشعبويون إلى عدم تقدير الأحزاب أو الحاجة إلى أفراد لديهم رؤى وخبرات سياسية يعملون على تطبيقها من أجل إدارة الشؤون العامة، بل يدعي الشعبويون أن الأحزاب السياسية تمثّل عائقًا يحول دون التعبير عن الإرادة الحقيقية للشعب، ويقوم هذا التصور على مفهوم "الأغلبية الصامتة" وعلى كون الأغلبية البرلمانية لا تمثّل الأغلبية الصامتة. ويصطدم هذا التصور الشعبوي بمفهوم السياسة في الديمقراطية الليبرالية التي تعدُّه نشاطًا يتطلب معارف سياسية وعملًا مخططًا له، ويتحقّق بوساطة أحزاب تمثّل تجمُّعًا للآراء والأولويات الشعبية[12]. ولقد نبَّه بشارة إلى هذه المسألة خلال كتابه برمّته. ونسوق للتدليل على ذلك النصوص التالية:

- "يبرز السياسي الهاوي المعتمِد على العلاقات العامة والنجومية [...]، ما يؤدي إلى إضرار كبير بالمؤسسات

9 Marianne Jørgensen & Louise Phillips, *Discourse Analysis as Theory and Method* (London/ Thousand Oaks/ New Delhi: SAGE Publications, 2002), p. 20.

10 Ibid.

11 Cas Mudde & Cristóbal Rovira Kaltwasser, "Exclusionary vs. Inclusionary Populism: Comparing Contemporary Europe and Latin America," *Government and Opposition*, vol. 48, no. 2 (2013), pp. 147-174.

12 لمزيد من التفصيل، ينظر:
Gianfranco Pasquino, "Populism and Democracy," in: Daniele Albertazzi & Duncan McDonnell (eds.), *Twenty-First Century Populism: The Spectre of Western European Democracy* (New York: Palgrave Macmillan, 2008), p. 22.

الديمقراطية. وطبعًا لا ينجح هؤلاء في إعادة الثقة، بل يعمّقون عدم الثقة بالمؤسسات الديمقراطية" (ص 40).

- "قد يدفع النفور من النخب السياسية عمومًا إلى انتخاب رجل أعمال فاسد عديم الأيديولوجيا همّه الثروة والسلطة وممارسة نرجسيته ويتكلم لغة 'الشعب البسيط' لمجرد مجيئه من خارج المؤسسات السياسية والأحزاب، مثلما حصل في حالتَي ترامب وبرلسكوني. وهو في الحقيقة يستخدم الخطاب الشعبوي، إضافة إلى المال والإعلام، للحصول على الأصوات، لا أكثر ولا أقل" (ص 77-78).
- "الحالة الشعبوية تجلّت بوضوح في رفض السياسة والسياسيين، وتشظي الحالة الحزبية وغياب الثقة بالبرلمان، وتجسّد التطلعات الشعبية في شخص المرشح للرئاسة باسم الشعب" (ص 135).

تُبرز هذه النصوص رفض الشعبويين السياسة والسياسيين ومن يساندهم من الشعب؛ حيث يشيعون مزاجًا عامًا من انعدام الثقة بين الساكنة والسياسيين. وهو أمر يعرف الشعبويون كيف يستغلونه، فضلًا عن أنه يشكّل بيئة خصبة لبروز الشعبوية.

2. الشروط الاجتماعية: المقصود بها الخصائص الاجتماعية للأفراد والمجموعات التي تسهّل ظهور الشعبوية، ويمكن التمييز فيها بين شروط اجتماعية تتعلق بالأفراد وشروط اجتماعية تتعلق بالمجموعات وهو ما يمكن توضيحه في ما يلي:

أ. **التركيز على الأفراد وخصائصهم النفسية والاجتماعية:** تتحدد هذه الخصائص في معاناة الأفـراد من العزل والتغريب السياسيّين وحاجتهم إلى روابط عاطفية عمودية (الانجذاب إلى زعيم شعبوي) وأفقية (الانخراط في عصيان شعبوي)، علاوة على إحساسهم بالإقصاء الاجتماعي الناتج من عدم انخراطهم في تجمعات دينية أو ثقافية أو مهنية أو انخراطهم السلبي في هذا التجمعات. وتؤدي هذه الخصائص إلى الرغبة في الانضمام إلى تجمعات بديلة مما يجعلهم عرضة للنزعة الشعبوية التي تستقطبهم مقدِّمةً لهم فضاء بديلًا لتجربة الانخراط والمشاركة. وفي هذا السياق، يعزو بشارة تأييد الشعبويين اليمينيين في أوروبا إلى "انتشار الشعور بالاغتراب عن السياسيين والشعور العام بعدم المشاركة في الحكم وعدم تعبير الحكام عن هوية الناس" (ص 42).

ب. **الظروف الاجتماعية العامة لمجتمع معين:** تتحدد هذه الظروف في استياء اجتماعي نتيجة الإقصاء الاجتماعي الذي تمارسه التنظيمات الحزبية على الأغلبية الصامتة، مما يؤدي إلى بروز قلق جماعي من البطالة والتغيرات السياسية غير المتوقعة وتحديات الهوية، وغير ذلك، وهو ما يخلق بنية ملائمة لبروز الشعبوية. وقد عبر عن ذلك بشارة في حديثه عن "الخوف على نمط الحياة ومستوى المعيشة"، و"التعرض لدعاية قوى ديماغوجية تطرح حلولًا سهلة"، وأن الشعبوية "تخاطب الغرائز ضد الآخر المختلف"، وتبثّ مشاعر القلق والجزع (ص 42).

3. الشروط الاقتصادية: هيمنت العوامل الاقتصادية والاجتماعية طوال القرن الماضي، على فهم الدارسين لبروز الشعبوية؛ حيث حاجّوا بأنها تبرز من التهديد الذي يحس به العمال نتيجة زيادة التنافس الداخلي الذي يؤججه المهاجرون والمنتجون الأجانب في سياق المنافسة الدولية[13]. وقد انتهى بشارة في خلاصته التاسعة من كتابه إلى أن ما يميز الشعبوية اليمينية في الغرب هو "نشوء توترات اجتماعية شديدة أهمها عدم استقرار الطبقة الوسطى، والتأثيرات الاقتصادية والثقافية والمعنوية للعولمة ونقل المشاريع إلى الخارج وتدفق الهجرة" (ص 191).

تجدر الإشارة إلى أن بشارة أشار إلى شروط أخرى مساعدة على ظهور الحركات الشعبوية، ولعل أهمها: تهافت الانقسامات الحزبية بين اليمين واليسار بسبب العولمة، وأزمة التجمعات السياسية التقليدية التي تعكسها نسب التصويت المنخفضة، وزيادة شخصنة الحياة العامة باعتبارها بديلًا من الأيديولوجيا والأحزاب السياسية (كما يتمثل ذلك بوضوح في حالة تونس التي انتخبت قيس سعيّد رئيسًا لها، ص 120-142)، والدور الملحوظ لوسائل الإعلام في تغيير قواعد اللعبة السياسية بتأديتها دور الأحزاب السياسية، من تعبئة وتوجيه للرأي العام وتزويد للمواطنين بالمعلومات عن السياسة والأفعال السياسية.

يبدو لنا من خلال هذه الشروط أنها ترتبط بما هو سياسي بدرجة كبيرة؛ إذ حالما يحس المواطنون بأن السياسيين لا يمثلونهم، يزهدون في السياسة ويشكّلون أغلبية صامتة تتوق إلى زعيم كاريزمي يعيد لها إرادتها العامة وينقذها من مشاعر الخوف والقلق المرتبطة بما هو ثقافي واقتصادي. وعلى الرغم من أهمية العامل السياسي في بروز الشعبوية فإنّ العوامل كلها مجتمعةً تعمل على إنتاج مناخ معادٍ للسياسة يصوِّرها بعيدةً عن هموم الناس ويصوّر السياسيين عاجزين وفاسدين، وهو ما يؤدي إلى عزوفٍ انتخابي والبحث عن بدائل تتصف بالراديكالية كالشعبوية التي تَعِد بتحقيق الديمقراطية.

13 Tjitske Akkerman, "Populism and Democracy: Challenge or Pathology?" *Acta Politica*, vol. 38 (2003), pp. 147-159.

ثالثًا: في علاقة الشعبوية بالديمقراطية

يشير معنى كلمة "الديمقراطية"، أي "حكم الشعب" إلى ارتباطٍ وثيق بالشعبوية المأخوذة من كلمة Populous اللاتينية التي تعني "الشعب"، وهو ما يدلّ على وجود رابط قوي بينهما. غير أن هذا الارتباط نُظِرَ إليه نظرات مختلفة، بل أحيانًا متناقضة تبعًا لوجهات النظر التي ينطلق منها الأكاديميون والسياسيون والصحفيون؛ فرئيس المجلس الأوروبي السابق هيرمن فان رومباي Herman van Rompuy صرَّح بأن الشعبوية هي "الخطر الأكبر على أوروبا"، مشيرًا إلى صعود الأحزاب اليمينية المعادية للأجانب في عدد من الدول الأعضاء للاتحاد الأوروبي[14]. وأشار كورك هوكينز Kirk Hawkins إلى أن معظم الأدبيات العلمية نظرت إلى الشعبوية بوصفها فشلًا للعقلانية، وعرضًا مرضيًا للديمقراطية، و"ذهنيةً ارتيابية" تصيب المواطنين والسياسيين (لا سيما الذين هم أقل تعلمًا ومن الطبقات الدنيا)، وخداعًا للجماهير غير المتعلمة بدلًا من الاستجابة المسوّغة والواعية للفساد والفشل السياسي[15].

وقد دفع هذا الأمر مجموعة من الدارسين في علم الاجتماع وعلم السياسة إلى دراسة علاقة الشعبوية بالديمقراطية، فاعتبروا ظهور الشعبوية مؤشرًا على انحراف النظام الديمقراطي[16]، بل منهم من اعتبر ظهورها دليلًا على عجز النظام الديمقراطي[17]، في حين قال بعضهم إنّ الشعبوية هي الشكل الحقيقي الوحيد للديمقراطية[18].

ناقش بشارة هذه التصورات المتضاربة حول وظيفة الشعبوية في الأنظمة الديمقراطية. وعرض في هذا الصدد تصور فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama وشانتال موف Chantal Mouffe من جهة المدافعين عن الشعبوية، وعرض مواقف نادية أوربيناتي Nadia Urbinati من جهة المتخوفين من الشعبوية. وقد تبنّى الموقف الثاني من حيث دفاعه عن الديمقراطية الليبرالية بوصفها النظام الأصلح للمجتمعات اليوم. فها هو في معرض حديثه عن جاذبية النظام الديمقراطي يقول: "وقد أكد العديد من المنظرين للديمقراطية على أن تفوّقها ليس أيديولوجيا، ومن ناحية شرعية النظام فحسب، بل إنه أيضًا اقتصادي وعسكري وفي مستوى الحياة ونوعيتها، وأن جاذبيتها تنبع من هذا التفوق" (ص 175). ولفت النظر في معرض نقده للنظامين السياسيَين الصيني والروسي إلى أن "ازدهار الصين اقتصاديًا واستقرار نظام بوتين لا يعنيان أن النظامين في البلدين أصبحا جذابين لمواطني الدول الديمقراطية، أو حتى لمواطني الدول النامية. فأي مواطن عربي، مثلًا، معجب باقتصاد الصين أو بمواقف بوتين يفضل العيش مع ذلك في الولايات المتحدة أو أوروبا الغربية" (ص 186-187).

في السياق نفسه، يرى بيير روزنفالون Pierre Rosanvallon أنّ الشعبوية قلبٌ معكوس لمثُلِ الديمقراطية التمثيلية وإجراءاتها[19]، ويحاجُّ بأن الشعبوية يجب أن تفهم على أنها عرضٌ مَرضيّ للديمقراطية تتجمّع فيها طائفة من المعجبين حول زعيم "يقاتل" ضد النخب وحكم الأقليات، وضد الأجانب. ويرى أنّ الديمقراطية تعني أن كل فرد لديه حقوق، وأن المؤسسات هي حامية تلك الحقوق. إن المحاكم الدستورية والسلطات المستقلة التي تعدّ مهمة للديمقراطية تكرهها الحركاتُ الشعبوية والأنظمة الشعبوية، وبهذا المعنى نفهم قوله إنها قلبٌ معكوس لـمُثُل الديمقراطية[20]. ويحذّر جون فرانكو باسكوينو Gianfranco Pasquino من التأثير السلبي للشعبوية في الديمقراطية؛ فهي، في نظره، لم تكن يوما مقوِّية للديمقراطية؛ بل عملت، على العكس من ذلك، على جعل الديمقراطية غير مستقرة وأسهمت في تآكلها من الداخل والخارج، وهو تآكل، كما في حالة أميركا اللاتينية، من الصعب ترميمه للعديد من الأجيال السياسية المقبلة[21].

تجدر الإشارة إلى أنّ موقف الباحثين من الشعبوية في ارتباطها بالنظام الديمقراطي فيه موقف محايد يمثله طرح كاس موده وكريستوبل روفيرا كالتواسر؛ إذ يجادلان بأنّ الشعبوية في حد ذاتها ليست سيئة ولا جيدة بالنسبة إلى الديمقراطي؛ لذلك يمكن أن تعامل بوصفها تهديدًا للديمقراطية أو تصحيحًا لها. وهي مثلها مثل الأيديولوجيات الأخرى يمكن أن يكون لها أثر إيجابي أو سلبي في الديمقراطية[22]. ويمكن تلخيص تصوراتهما حول الآثار الإيجابية والسلبية للشعبوية في الديمقراطية في الجدول (2).

ويمكن فهم موقف بشارة من الشعبوية بربطها بمفهوم الانتقال الديمقراطي، لا سيما أن تأليفه لكتابه جاء في "سياق التفكير في الديمقراطية والانتقال إليها" (ص 12). ويقدم لنا موده وكالتواسر

14 Cas Mudde, *On Extremism and Democracy in Europe* (London/ New York: Routledge, 2016), p. 67.

15 Hawkins, pp. 11-12

16 Margaret Canovan, "Trust the People! Populism and the Two Faces of Democracy," *Political Studies*, vol. 47, no. 1 (1999), pp. 5-6.

17 Akkerman.

18 Laclau, *Politics and Ideology in Marxist Theory*.

19 Cas Mudde & Cristóbal Rovira Kaltwasser, *Populism: A Very Short Introduction* (New York: Oxford University Press, 2017), p. 79.

20 "What is Populism and is it a Threat to Democracy[?]," YouTube, 11/10/2017, accessed on 3/1/2022, at: https://bit.ly/3JEtJJK

21 Pasquino, p. 28.

22 Mudde & Kaltwasser, *Populism: A Very Short Introduction*, p. 79.

الجدول (2)

الآثار الإيجابية والسلبية في الديمقراطية الليبرالية بحسب موده وكالتواسر

الآثار السلبية	الآثار الإيجابية
استغلال مفهوم حكم الأغلبية للالتفاف على حقوق الأقليات.	إعطاء الصوت للمجموعات التي تحسّ أنّ النخبة السياسية لا تمثّلها.
استغلال مفهوم السيادة الشعبية لتشويه سمعة مؤسسات حماية الحقوق الأساسية.	تعبئة المجموعات المستبعدة من المجتمع، ودمجها في النظام السياسي.
تشجيع الانشقاقات السياسية مما يعوق تشكيل تحالفات سياسية ثابتة.	رفع سرعة استجابة النظام السياسي لمطالب الفئات المقصاة من المجتمع.
تخليق السياسة إلى درجة جعل الوصول إلى اتفاقات أمرًا صعبًا للغاية إن لم يكن مستحيلًا.	زيادة المساءلة الديمقراطية بجعل القضايا والسياسات جزءًا من المجال السياسي.

المصدر:

Cas Mudde & Cristóbal Rovira Kaltwasser, *Populism: A Very Short Introduction* (New York: Oxford University Press, 2017), p. 83.

تفسيرًا لدور الشعبوية في الانتقال الديمقراطي، واصفَين إياه بأنه دور ملتبس. ويوضح الشكل خلاصة آرائهما حول مجمل الآثار الإيجابية والسلبية للشعبوية في الأنظمة السياسية.

يرى موده وكالتواسر، من خلال الشكل أدناه، أن ظهور الشعبوية يسهم في حركية الأنظمة السياسية وتحوّلها من نظام إلى آخر، وأنّ هذه التغيرات تنعكس في مفاهيم "تطبيق الليبرالية" أو "الانتقال الديمقراطي" أو "التعزيز الديمقراطي" من جهة، و"بداية انهيار الديمقراطية" أو "سقوط الديمقراطية" أو "القمع" من جهة أخرى. وهما يقرّان بأن الشعبوية ليست ضد الديمقراطية، بل هي على خلاف مع الديمقراطية الليبرالية، ويقترحان أنّ الشعبوية تميل إلى أن تؤدي دورًا

شكل يوضح الآثار الإيجابية والسلبية للشعبوية في الديمقراطية

المصدر:

Cas Mudde & Cristóbal Rovira Kaltwasser, *Populism: A Very Short Introduction* (New York: Oxford University Press, 2017), p. 87.

إيجابيًا في تشجيع الديمقراطية الانتخابية لكنها تؤدي دورًا سلبيًا فيما يخصُّ تشجيع التطور نحو نظام ديمقراطي ليبرالي مكتمل التبلور[23].

إن الخلاصة التي انتهى إليها موده وكالتواسر هي التي يمكن أن نفهم في إطارها استهلال بشارة كتابه بالقول إن "الديمقراطية في عصرنا هي الديمقراطية الليبرالية، ولا يستحق غيرها هذه التسمية" (ص 13). فالديمقراطية الليبرالية تجمعها علاقة سلبية بالشعبوية، فهي تَحُول دون تعزيز الديمقراطية. وحديث بشارة عن قدرة الديمقراطيات الليبرالية الراسخة على احتواء الحركات الشعبوية مردُّه إلى وجود ثلاثة متغيرات تحكم علاقة الشعبوية بالديمقراطية، أشار إليها موده وكالتواسر في كتابهما عن الشعبوية، وهي:

1. **السلطة السياسية للفاعل السياسي:** يتعلّق هذا المتغيّر بموقع الشعبويين في السلطة، حكومةً أو معارضة؛ فإن كانوا في المعارضة فهم يميلون إلى مزيد من الشفافية ومزيد من الديمقراطية لتكسير التحكم المزعوم للنخبة، أما إن كانوا في الحكومة فإنهم يدافعون عن حكم الأغلبية ويستعملون الأدوات الاستفتائية.

2. **نوع النظام السياسي:** يسهّل النظام الرئاسي على الشعبوي الوصول إلى السلطة لكنّه يفقد الدعم في المراحل الأولى لفرض أجندته بسبب غياب تنظيم حزبي قويّ يدعمه، أما إن كان النظام برلمانيًا، فهو يحدّ من سلطة الشعبوي عن طريق التحالفات الحكومية.

3. **السياق الدولي:** يصعب على الدول المنتمية إلى شبكة قوية من الديمقراطيات الليبرالية أن تقوّض الشعبوية فيها الديمقراطية الليبرالية من دون شجب باقي الدول الأخرى، عكس الدول التي ليست لها روابط قوية بديمقراطيات ليبرالية[24].

نفهم في ضوء هذه المتغيرات سياق وصول الشعبويين إلى السلطة في الأنظمة الرئاسية، وصعوبة ذلك في الأنظمة السياسية التي يكون برلمانها قويًا. وحتى إن وقع ذلك، فإن البرلمان القوي والشبكة القوية من الديمقراطيات الليبرالية يسهمان في الحد من تأثير الشعبوية. ولبشارة تأويل آخر لافت في هذا الباب، فالديمقراطيات الراسخة لها القدرة على مواجهة الشعبوية لأن الناس تعوّدوا الحريات بوصفها مكونًا من نمط حياتهم (ص 67-68).

إن كانت الديمقراطيات الراسخة قادرة على استيعاب الحركات الشعبوية، فإن الديمقراطيات الوليدة في الدول النامية لا تمتلك هذه القدرة. والدليل على ذلك ما وقع في مصر وتونس؛ ففيهما استطاع شعبويان إجهاض عملية الانتقال الديمقراطي والرجوع بالدولتين إلى نظامين استبداديين. ويرجع بشارة أسباب ذلك إلى: 1) عدم تمييز الشعوب العربية بين الحكومة والنظام السياسي، 2) ارتفاع التوقعات مقابل فشل أو إفشال البرامج الإصلاحية، 3) استخفاف البيروقراطيين بالمسؤولين الديمقراطيين الجدد، 4) تأليب الشعب من جانب الفئة المتضررة من قيام النظام الديمقراطي الوليد ضد الحكام الجدد، ونشر خطاب التخوين وعدم الثقة بالسياسة وبالسياسيين. ويلخص الباحث هذه الأسباب في عدم دعم الديمقراطية، وتأسيسها الديمقراطية قبل "تأسيس الحريات المدنية وحقوق المواطن في بنية الدولة وفي ثقافة النخب ثم الثقافة الشعبية (ص 117).

رابعًا: صفات الشعبويين وأصنافهم

تناول بشارة مسألة أخيرة، نرى ضرورة تفصيلها، وهي ما يرتبط بسمات الزعماء الشعبويين وأصنافهم. فقد أسند إليهم في كتابه مجموعة من السمات؛ سواء ارتبطت بشخصياتهم أو بأصنافهم. وسنعرض السمات الشخصية الأساس للشعبويين، ونورد ثلاثة أصناف أشار إليها في كتابه.

1. **السمات الشخصية:** تتمثل السمات الشخصية للفاعل الشعبوي في مجموعة من الجوانب، يحتل فيها الجانب الأخلاقي بعدًا مهمًّا؛ نظرًا إلى الدور المركزي الذي تؤديه الأخلاق في الحركات الشعبوية، لا سيما أن ما يميّز الشعبوي من النخبة قائم بالأساس على الجانب الأخلاقي، فالشعبوي في الأدبيات الشعبوية يتميز بالشفافية وعدم الغموض والبساطة والوضوح. وقد عبّرت عن ذلك مارغريت كانوفان Margaret Canovan "اللغة البسيطة والمباشرة ليست كافية لوسم سياسي بكونه شعبويًا، إلا إذا قدّم تحليلاتٍ سياسية واقترح حلولًا هي الأخرى بسيطة ومباشرة. ويحبّ الشعبويون الشفافية ولا يثقون بالغموض، ويستنكرون الاتفاقات التي تجري خلف الكواليس، والتسويات الغامضة، والإجراءات المعقدة، والمعاهدات السرية، والتقنيات التي يستطيع الخبراء وحدهم فهمها"[25]. ومن السمات الشخصية التي أسندها بشارة للشعبويين صفة الفساد، وذلك نحو قوله: "يتسلل إلى السياسة رجال أعمال فاسدون، ولكنهم في نظر الجمهور مؤهلون لأنهم جمعوا ثروتهم خارج المنظومة السياسية، ولأنهم يتكلمون لغة البسطاء (ليس بسبب بساطتهم بل بسبب قلة ثقافتهم و/ أو ديماغوجيتهم: برلسكوني وترامب نموذجين)" (ص 39). والملاحظ في هذا القول أنّ ما قد يميز الشعبويين "فسادهم"، وأنهم أيضًا قدموا من خارج المنظومة السياسية. وهذا يقودنا إلى أصناف الشعبويين.

23 Ibid., p. 96.

24 Ibid., pp. 93-94.

25 Canovan, "Trust the People! Populism and the Two Faces of Democracy," pp. 5-6.

2. أصناف الشعبويين: يصنّف موده وكالتواسر الشعبويين خمسة أصناف: "الزعماء الكاريزميون"، و"النساء الشعبويات"، و"المقاولون"، و"الزعماء الإثنيون"، و"الداخليون والخارجيون". وقد أشار بشارة في النص السابق إلى برلسكوني وترامب. وهما يندرجان وفق موده وكالتواسر ضمن ما سمّياه بالشعبويين المقاولين. وهما، في نظرهما، عرضة للتجاهل في البحوث الأكاديمية، ويجدون صعوبة في إقناع الناس بأنهم من الشعب. غير أنهم يستغلون كون الشعبوية لا تتأسس على معيار اجتماعي واقتصادي، بل على معيار أخلاقي بالأساس، وهكذا يقيمون روابط مع الشعب باستثمار أموالهم في ذلك. وتتحدد هويتهم في كونهم "سياسيين من الخارج" لا تربطهم بالنخب رابطة معينة، وأنهم عصاميون جمعوا ثروتهم بالعمل الجاد على الرغم من إزعاج النخب الفاسدة. إنهم رجال أعمال صادقون لم ينخرطوا في السياسة لحماية مصالحهم، بل لخدمة الشعب؛ إذ لا يحتاجون إلى المال أصلًا. يقول برلسكوني في هذا الصدد: "لست في حاجة إلى الحكم إن كان ذلك من أجل السلطة؛ فلي منازل في كل أنحاء العالم وعندي بواخر فخمة [...] وطائرات تذهب بالعقول وزوجة جميلة وعائلة رائعة [...] إنما أنا هنا لأقدم تضحيات من أجل هذه البلاد"[26].

إنّ البناء الخطابي لهوية الشعبويين المقاولين يجعلهم نزهاء وعصاميين وقادمين من خارج النسق السياسي المعروف بفساده. ويتداخل صنف الشعبويين المقاولين في الحقيقة مع الشعبويين الخارجيين الذين يتميزون بالندرة، فهم في الأصل لا يمتلكون أيّ رابط اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي بالنخبة، كما أنهم يبنون مسارهم المهني بالكامل خارج الاتجاه السياسي السائد، ومن أمثلتهم هوغو تشافيز (1954-2013) الذي كان مجرد ضابط في الجيش، وألبرتو فوجيموري Alberto Fujimori الذي كان رئيس جامعة. ويرى موده وكالتواسر أن الشعبويين من الخارج يمكنهم النجاح في الأنظمة السياسية الشخصانية التي توجد في أميركا اللاتينية، لكن نجاحهم يتضاءل كثيرًا في الأنظمة السياسية الثابتة والبرلمانية ذات الهيمنة الحزبية كما هو موجود في أوروبا الغربية[27]. وقد أشار بشارة إلى هذا الأمر في حديثه عن عبد الفتاح السيسي ضابط الجيش المصري وقيس سعيّد الأستاذ الجامعي في تونس، فما ساعدهما على الوصول إلى الرئاسة هو كونهما "خارجيين" علاوة على ضعف النظام البرلماني في بلدَيهما.

أما الصنف الثالث الذي أشار إليه بشارة فهو "الشعبوي الإثني" الذي يتمركز أساسًا في أوروبا الغربية. وقد وسم شعبوية هذه المنطقة بأنها إثنوقراطية، وحدّد سماتها في: التشديد على حكم الأغلبية، ونقد الأحـزاب القائمة، ورفض العولمة، ورفض الاتحاد الأوروبي، وفوبيا الإسلام، والعداء للهجرة والمهاجرين. وهذا خاص بالشعبوية الأوروبية، أما شعبوية أميركا اللاتينية فهي غير إقصائية للمجموعات الإثنية الأخرى. ويتضح البعد غير الإقصائي وغير المعتمد على الهوية في شعبوية أميركا اللاتينية في نموذج هو ألبرتو فوجيموري الذي يعدّ من أقلية يابانية في البيرو، وعلى الرغم من ذلك استطاع أن يصل إلى سدة الحكم ويخلق رابطًا قويًا مع الشعب في مواجهة النخبة.

خاتمة

يقدّم كتاب **في الإجابة عن سؤال: ما الشعبوية؟** رحلة غنية ومفيدة وعميقة حول ظاهرة الشعبوية في العالم الغربي والعالم العربي. وهي رحلة متكاملة من حيث فصول الكتاب التي حاولت أن تحدد ظروف نشأة الشعبوية في الأنظمة الديمقراطية الراسخة منها والوليدة، ثم تعرّف الشعبوية تعريفًا يراعي طبيعة الشعبوية المتقلبة باعتبارها مزاجًا يرسخه الخطاب، ويوظفه السياسيون، ويتحول في حالة متطرفة إلى أيديولوجيا؛ ثم علاوة على البعد النظري ذي الإسهام المفيد، نجد بعدًا عمليًا في دراسة حالتين هما حالة تونس ومصر، بإبراز الدور السلبي للشعبوية في نظاميهما السياسيين. ثم نجد في الأخير مساءلة بديهيات الديمقراطيات الليبرالية، وتقديم حلول تسهم في الحد من المد الشعبوي الذي يتهدّد العالم بأسره. وأهم هذه الحلول إعادة الاعتبار للجانب الثقافي للمجموعات الاجتماعية، وترسيخ العدالة الاجتماعية.

يمكن تكثيف الخلاصات التي توصّل إليها بشارة في كتابه في خمسٍ نوردها كما يلي:

1. الشعبوية خطاب سياسي يستفيد من التوتر بين الديمقراطية والليبرالية، وبين المؤسسات الديمقراطية المنتخبة وغير المنتخبة، وبين المواطن والمؤسسات الوسيطة التي تفصله عن عملية صنع القرار.
2. الشعبوية مزاج سياسي ناجم عن غضب فئات اجتماعية متضررة ومهمّشة نتيجة التغيرات الاقتصادية والسياسية والثقافية.
3. يتميز الخطاب الشعبوي بسمات عدة لعلّ أهمها احتكار التكلم باسم الشعب، والتشكيك في مبدأ التمثيل وفائدة الأحزاب والبرلمانات والنخب السياسية، وتفضيل نمط التواصل المباشر بين الزعيم والجمهور، وتقسيم المجتمع مجموعتين متقاطبتين "نحن" و"هم"، مما يعرقل التعددية الثقافية.

26 Mudde & Kaltwasser, *Populism: A Very Short Introduction*, p. 70.

27 Ibid., p. 73.

4. يشكل الخطاب الشعبوي خطرًا على الديمقراطيات الوليدة، أما الديمقراطيات الراسخة، فيمكنها احتواؤه. والسبب في ذلك هو رسوخ مبادئ الليبرالية، ولا سيما الحريات والحقوق المدنية في الديمقراطيات الراسخة، وعدم تمييز سكان الديمقراطيات الوليدة بين الحكومة والنظام الديمقراطي.

5. تفرض التوترات الاجتماعية التي عرفتها أوروبا في العقدين الأخيرين، لا سيما العولمة والهجرة والتداخل الثقافي وتطور وسائل الإعلام، على النظم الديمقراطية الليبرالية إيلاء الاهتمام الكامل للفئات المتضررة من هذه التوترات والاستجابة لمطالبها.

المراجع References

العربية

بكار، سعيد. "الشعبوية في الخطاب السياسي المغربي (2011-2018): دراسة تحليلية نقدية". رسالة دكتوراه. جامعة ابن زهر. أكادير، 2021.

خويص، منى. **رجال الشرفات: دراسة تحليلية للظاهرة الشعبوية.** بيروت: دار الفارابي، 2012.

الأجنبية

Akkerman, Tjitske. "Populism and Democracy: Challenge or Pathology?" *Acta Politica*. vol. 38 (2003).

Albertazzi, Daniele & Duncan McDonnell (eds.). *Twenty-First Century Populism: The Spectre of Western European Democracy*. New York: Palgrave Macmillan, 2008.

Canovan, Margaret. "Trust the People! Populism and the Two Faces of Democracy." *Political Studies*. vol. 47, no. 1 (1999).

________. *Populism*. London: Junction, 1981.

Dijk, Teun van. "Ideology and Discourse: A Multidisciplinary Introduction." *English Version of an Internet Course for the Universitat Oberta de Catalunya (UOC)* (July 2000). at: https://bit.ly/3FOzMsR

Hawkins, Kirk A. *Venezuela's Chavismo and Populism in Comparative Perspective*. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

JǾrgensen, Marianne & Louise J. Phillips. *Discourse Analysis as Theory and Method*. London/ Thousand Oaks/ New Delhi: SAGE Publications, 2002.

Laclau, Ernesto. *On Populist Reason*. London/ New York: Verso, 2005.

_________. *Politics and Ideology in Marxist Theory: Capitalism- Fascism- Populism*. London: NLB, 1977.

Mudde, Cas & Cristóbal Rovira Kaltwasser. "Exclusionary vs. Inclusionary Populism: Comparing Contemporary Europe and Latin America." *Government and Opposition*. vol. 48, no. 2 (2013).

________. *Populism: A Very Short Introduction*. New York: Oxford University Press, 2017.

Mudde, Cas. *On Extremism and Democracy in Europe*. London/ New York: Routledge, 2016.

Taggart, Paul. *Populism*. Philadelphia: Open University Press, 2000.



مجلة **سياسات عربية** مجلة محكّمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. تحمل الرقم الدولي المعياري (ISSN: 2307-1583). وقد صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. وهي مجلة محكّمة تصدر مرة واحدة كلّ شهرين، ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. وبعد ثلاث سنوات من الخبرة، والتفاعل مع المختصين والمهتمين، صدر خلالها من المجلة ثمانية عشر عددًا، أعادت المجلة هيكلة نفسها بما يتوافق مع المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

تُعنى المجلة بالمقالات والدراسات والبحوث وبالأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية، والسياسات المقارنة، والنظم المؤسسية الوطنية أو الإقليمية والدولية، بما في ذلك دراسات الحالات والسياسات، وعمل النظم السياسية والسلوك السياسي للحكومات والقوى السياسية والاجتماعية والحزبية وسائر الفاعلين الاجتماعيين - السياسيين، واتجاهات المجتمع المدني والمشاركة السياسية والاجتماعية. ويندرج في هذا السياق اهتمامها بالسياسات العمومية وبالدراسات الأمنية والإستراتيجية وقضايا الدبلوماسية والتعاون الدولي، ودراسات الرأي العام وقضايا الهجرة والتهجير والحروب والصراعات الأهلية وقضايا حقوق الإنسان. وتهتم بصورة خاصة بمرحلة الانتقال السياسي العامة الجارية في الوطن العربي، ولا سيما منها مراحل الانتقال الديمقراطي على المستويات السياسية كافة، وما يتعلق بها من جوانب قانونية دستورية ومؤسسية.

إضافةً إلى الهيئتين التحريرية والاستشارية، تستند المجلة في عملها إلى وحدتين نشطتين في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، هما "وحدة الدراسات السياسية" ووحدة "المؤشر العربي" الذي يصدر تقريره كلّ عام. وتتكامل في عملها مع برنامج العلوم السياسية في معهد الدوحة للدراسات العليا، ومع برنامج "التحوّل الديمقراطي" في المركز.

تعتمد مجلة "**سياسات عربية**" المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة، وفقًا لما يلي:

- **أولًا:** أن يكون البحث أصيلًا معدًا خصيصًا للمجلة، وألّا يكون قد نشر جزئيًا أو كليًا أو نُشر ما يشبهه في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أيّ جهة أخرى.
- **ثانيًا:** أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- **ثالثًا:** يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:

- عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.
- الملخّص التنفيذي باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (100-125) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية (Keywords) بعد الملخص، ويقدّم الملخص بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة إشكالية البحث الرئيسة، والطرق المستخدمة في بحثها، والنتائج التي توصّل إليها البحث.

- تحديد مشكلة البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق وكُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، ووضع التصوّر المفاهيمي وتحديد مؤشّراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات. على أن يكون البحث مذيّلًا بقائمة بيبليوغرافية تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث إضافةً إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش. وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده المركز (ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).
- لا تنشر المجلة مستلات أو فصولًا من رسائل جامعية أقرّت إلّا بشكل استثنائي، وبعد أن يعدّها الباحث من جديد للنشر في المجلة، وفي هذه الحالة على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدّم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.
- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلة واهتماماتها البحثية.
- تهتم المجلة بنشر مراجعات نقدية للكتب المهمة التي صدرت حديثًا في مجالات اختصاصها بأيّ لغة من اللغات، شرط ألّا يكون قد مضى على صدورها أكثر من ثلاث سنوات. يتراوح حجم المراجعة بين 4500-5000 كلمة، وتخضع لقواعد تحكيم الأبحاث في المركز العربي.
- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك المراجع في الإحالات المرجعية والهوامش الإيضاحية، والقائمة البيبليوغرافية وكلمات الجداول في حال وجودها، والملحقات في حال وجودها، بين 6000-8000 كلمة، وللمجلة أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي استغلت بها في الأصل بحسب برنامجَي اكسل (Excel) أو وورد (Word)، ولا تقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسَل صورًا.

– **رابعًا:** يخضع كلّ بحث إلى تحكيم سري تام، يقوم به محكّمان من المحكّمين المختصين اختصاصًا دقيقًا في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القرّاء في المركز. وفي حال تبايُن تقارير المحكّمَين، يحال البحث إلى محكّم مرجّح ثالث. وتلتزم المجلة موافاة الباحث بقرارها الأخير؛ النشر/ النشر بعد إجراء تعديلات محددة/ الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون شهرين من استلام البحث.

– **خامسًا:** تلتزم المجلة ميثاقًا أخلاقيًا يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيّ شخص آخر غير المؤلّف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).

- تلتزم المجلة جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية التي تقدّمها للبحث... إلخ.
- يخضع ترتيب نشر البحوث إلى مقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- لا تدفع المجلة مكافآت ماليّة عن الموادّ - من البحوث والدراسات والمقالات - التي تنشرها؛ مثلما هو متَّبَعٌ في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى المجلة أيّ رسوم على النشر فيها.

ملحق 1:
أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

الكتب

اسم المؤلّف، **عنوان الكتاب**، اسم المترجم أو المحرّر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النّشر)، رقم الصّفحة.

- نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة 265 (الكويت: المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، 2001)، ص 227.
- كيت ناش، **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النّحو التالي مثلًا: ناش، ص 117.

أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلّف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصرًا: ناش، **السوسيولوجيا**، ص 117.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النّحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.

أمّا في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النّحو التالي:

- ناش، كيت. **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.

وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة "وآخرون". مثال:

- السيد ياسين وآخرون، **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.

ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين وآخرون، ص 109.

أمّا في قائمة المراجع فيكون كالتالي:

- ياسين، السّيد وآخرون. **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

الدوريات

اسم المؤلّف، "عنوان الدّراسة أو المقالة"، **اسم المجلّة**، المجلّد و/أو رقم العدد (سنة النّشر)، رقم الصّفحة. مثال:

- محمد حسن، "الأمن القوميّ العربيّ"، **إستراتيجيات**، المجلد 15، العدد 1 (2009)، ص 129.

أمّا في قائمة المراجع، فنكتب:

- حسن، محمد. "الأمن القوميّ العربي". **إستراتيجيات**. المجلد 15. العدد 1 (2009).

مقالات الجرائد

تكتب بالترتيب التالي (تُذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:

- إيان بلاك، "الأسد يحثّ الولايات المتحدة لإعادة فتح الطّرق الدبلوماسية مع دمشق"، **الغارديان**، 2009/2/17.

المنشورات الإلكترونية

عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها: اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، **اسم السلسلة** (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهد في 2016/8/9، في: ......http://www.

ويتعين ذكر الرابط كاملًا، أو يكتب مختصرًا بالاعتماد على مُختصِر الروابط (Bitly) أو (Google Shortner). مثل:

"ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، الجزيرة نت، 2012/12/24، شوهد في 2012/12/25، في: http://bit.ly/2bAw2OB

- "معارك كسر حصار حلب وتداعياتها الميدانية والسياسية"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهد في 2016/8/18، في: http://bit.ly/2b3FLeD

ملحق 2

أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

- تعتمد مجلات المركز قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم، بالنسبة إلى الباحث والمحكّمين على حدّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم على محكّمين معتمديْن لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكّمين، تُحيل المجلة البحث على قارئ مرجّح آخر.
- تعتمد مجلات المركز محّكمين موثوقين ومجرّبين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
- تعتمد مجلات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.
- لا يجوز للمحرّرين والمحكّمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه) أن يبحث الورقة مع أيّ شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلّف. وينبغي الإبقاء على أيّ معلومةٍ متميّزة أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرّية، ولا يجوز استعمال أيٍّ منهما لاستفادةٍ شخصية.
- تقدّم المجلة في ضوء تقارير المحكمين خدمة دعم فنّي ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
- تلتزم المجلة إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.
- تلتزم مجلات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعية والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
- احترام قاعدة عدم التمييز: يقيّم المحرّرون والمراجعون المادّة البحثية بحسب محتواها الفكري، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.

- قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أيّ مؤلّف من المؤلّفين، أو الشركات، أو المؤسّسات ذات الصّلة بالبحث.
- تتقيد المجلات بعدم جواز استخدام أيّ من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال على المجلة في بحوثهم الخاصة.
- النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض المجلة النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أيّ تعديلات مهمّة أو إضافات على البحث، إلّا ما كان من تصحيحاتٍ أو تصويبات أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تُحدّده رسالة المجلة إلى الباحث.
- حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في مجلاته العلمية المحكّمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًا أو كلّيًا، سواءٌ باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
- تتقيد مجلات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقيّدًا كاملًا بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
- المجانية. تلتزم مجلّات المركز العربي بمجّانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلّفين من جميع رسوم النشر.

9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or connections with any of the authors, companies, or institutions connected to the papers.
10. Confidentiality: Unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.
11. Intellectual property and copyright: The ACRPS retains copyright to all articles published in its peer-reviewed journals. The articles may not be published elsewhere fully or partially, in Arabic or in another language, without an explicit written authorization from the ACRPS.
12. Siyasat Arabiya's editorial board fully respects intellectual property when translating and publishing an article published in a foreign journal, and will not proceed before getting the authorization from the journal in question.
13. Siyasat Arabiya does not make payments for manuscripts published in the journal, and all authors and researchers are exempt from publication fees.

John Vidal, "Middle East faces water shortages for the next 25 years, study says, " *The Guardian,* 27/8/2015, accessed on 31/10/2015, at: http://bit.ly/2k97Wxw

Policy Analysis Unit-ACRPS, "President Trump: An Attempt to Understand the Background, " *Assessment Report,* The Arab Center for Research and Policy Studies, accessed on 10/11/2016, at: http://bit.ly/2j36v5S

Annex II

Ethical Guidelines for Publication in Siyasat Arabiya

1. Siyasat Arabiya's editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects the appropriate reviewer to assess paper's suitability for publication, according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third peer-reviewer will be selected.
2. Siyasat Arabiya relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.
3. Siyasat Arabiya adopts a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.
4. Disclosure: With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.
5. When needed, based on the reviewer report, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.
6. Siyasat Arabiya's editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.
7. The journal remains committed to providing quality professional *copy editing*, *proof reading and online publishing service*.
8. Fairness: The editors and the reviewers evaluate manuscripts for their intellectual and scientific merit, without regard to race, ethnicity, gender, religious beliefs or political views of the authors.

In quotes immediately following the reference: Ibid., p. 32.

The corresponding bibliographical entry:

Pollan, Michael. *The Omnivore's Dilemma*: *A Natural History of Four Meals*. New York: Penguin, 2006.

For books by three or more authors, in the note, list only the first author, followed by et al.:

Michael Gibbons et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies* (London: Sage, 1994), pp. 220-221.

In later quotes: Gibbons et al., p. 35.

The corresponding bibliographical entry:

Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

Periodicals

Author's name, "article title, " *journal title*, volume number, issue number (Month/season Year), page numbers.

Joshua I. Weinstein, "The Market in Plato's Republic, " *Classical Philology*, no. 104 (2009), p. 440.

The corresponding bibliographical entry:

Weinstein, Joshua I. "The Market in Plato's Republic. " *Classical Philology*. no. 104 (2009),.

Articles in a Newspaper or Popular Magazine

N. B. Cited only in footnotes, not in the references/bibliography. Example:

Ellen Barry, "Insisting on Assad's Exit Will Cost More Lives, Russian Says, " *The New York Times*, 29/12/2012.

Electronic Resources

When quoting electronic resources on websites, please include all the following: Author's name (if available), "The article or report title, " series name (if available), website's name, date of publication (if available), accessed on 9/8/2016, at: http://www...

The full link to the exact page should be included. Please use an URL Shortener (Bitly) or (Google Shortner). Example:

i. Book reviews will be considered for submission to the journal provided that the book covers a topic which falls within the scope of the journal and within the reviewer's academic specialization and/or main areas of research. Reviews are accepted for books written in any language, provided they have been published in the previous 3 years. Book reviews are subject to the same standards of rigorous scrutiny which apply to research papers. Book reviews must be between 4,500 and 5,000 words in length.

4. The peer review process for *Siyasat Arabiya* and for all journals published by the ACRPS is conducted in the strictest confidence. Two preliminary reviewers are selected from a short list of approved reader-reviewers. In cases where there is a major discrepancy between the first two reviewers in their assessment of the paper, the paper will be referred to a third reviewer. The editors will notify all authors of a decision either to publish, publish with modifications, or to decline to publish, within two months of the receipt of the first draft.

5. *Siyasat Arabiya's* editorial board adheres to a strict code of ethical conduct, which has the clearest respect for the privacy and the confidentiality of authors. The journal does not make payments for articles published in the journal, nor does it accept payment in exchange for publication. In the final production stages, the order of articles published in specific editions is decided on purely technical grounds.

Annex I

Footnotes and Bibliography

Books

Author's name, *Title of Book*, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number.

Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma*: *A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), pp. 99 - 100.

Gabriel García Márquez, *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), pp. 242 - 55.

In quotes not immediately following the reference: Pollan, p. 31.

Where there are several references by the same author, add a short title: Pollan, *Omnivore's Dilemma*, p. 31.

electronic form, or submitted to a conference other than the conferences held by the ACRPS will be considered for publication.

2. Submissions must be accompanied by a curriculum vitae (CV) of the author, in both Arabic and English.

3. All submissions must include the following elements:

   a. A title in both Arabic and English together with the author's institutional affiliation.

   b. An abstract, ranging between 250 and 300 words in length as well as a list of keywords. The abstract must explicitly and clearly spell out the research problematic, the methodologies used, and the main conclusions arrived at. These must be provided in one English, and one Arabic version.

   c. The research paper must include the following: a specification of the research problematic; an explanation of the significance of the topic; specification of thesis or arguments; review of literature emphasizing gaps or limitations in previous analysis; description of research methodology; hypothesis and conceptual framework; bibliography.

   d. All research papers submitted for consideration must include a complete bibliography covering all references, regardless of whether or not these appear in the footnotes. References must be cited in the original language in which the source was written. Authors must follow the referencing guidelines adopted by the Arab Center for Research and Policy Studies (See Appendix I for a complete guide to the reference style used across all of our journals).

   e. Research papers must normally be between 6,000 and 8,000 words in length, inclusive of references, charts and tables, and appendices. The editors reserve the right to publish articles of longer length in exceptional circumstances.

   f. All diagrams, charts, figures and tables must be provided in a format compatible with either Microsoft Office's spreadsheet software (Excel) or Microsoft Office's word processing suite (Word), alongside high resolution images. Charts will not be accepted without the accompanying data from which they were produced.

   g. Submitted research must fall within the aims and research interests of the journal.

   h. Extracts or chapters from doctoral theses and other student projects are only published in exceptional circumstances. In such cases, the researcher should point this out clearly, and provide full information about the thesis, including the title, the awarding institution and date of award.



Siyasat Arabiya is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies (ISSN 2307-1583) dedicated to political science, international relations, strategic affairs and public policy. First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science including international relations, comparative politics, and national, regional, and international institutional systems. The journal publishes critical insights into the operation of political systems, the behavior of governments and political parties as well as the trends in civil society and social and political participation more broadly. This is complemented with publications covering public opinion, issues of migration and forced migration, war, civil war, conflict and human rights issues. Particular attention is paid to the present-day political transition in the Arab world, especially democratization at all political levels and its legal-constitutional and institutional aspects.

In addition to the editorial and advisory boards, the journal relies on two units active within the Arab Center of Research and Policy Studies (ACRPS): the Policy Analysis Unit and the Arab Opinion Index, which produces an annual report on public opinion across the Arab world. The journal's work is also closely linked to the political science program at the Doha Institute for Graduate Studies and the Program for the Study of Arab Democratization within the ACRPS.

Publication in *Siyasat Arabiya* is governed by a strict code of ethics guiding the relationship between the editorial staff and contributors. With three years of experience and interaction with specialists and contributors the journal was recently (Spring, 2016) restructured to bring it in line with international standards of academic publishing. Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must therefore adhere to the following guidelines:

1. Original work which is submitted exclusively for publication within the journal. No work which has been previously published fully or in part will be considered for publication in *Siyasat Arabiya*. Similarly, no work which substantially resembles any other work published in either print or



دعوة للكتابة

تدعو دورية "سياسات عربية" الأكاديميين والباحثين وسائر الكتّاب المهتمين بشؤون السياسات للكتابة على صفحاتها. تقبل الدورية الأبحاث النظرية والتطبيقية المكتوبة باللغة العربية، كما تفتح صفحاتها أيضًا لمراجعات الكتب، وللحوار الجاد حول ما ينشر فيها من موضوعات. تخضع كل المواد التي تصل إلى "سياسات عربية" للتحكيم من جانب مختصين من الأكاديميين. ولذلك تتوقع هذه الدورية ممن يكتبون إليها الالتزام بمعاييرها، وبما يبديه المحكّمون من ملاحظات. فاتباع التقاليد العلمية المؤسّسيّة، على محدوديتها، هو الذي يسمح بتراكم التّجربة واحترام المعايير العلميّة، وضمان جودة المادة التي تصل إلى القراء. تهدف هذه الدورية إلى أن تكون طيّعة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحيةِ برصانة المضمون.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة

siyasat.arabia@dohainstitute.org



قسيمة الاشتراك

الاسم ____________________

العنوان البريدي ____________________

البريد الإلكتروني ____________________

عدد النسخ المطلوبة ____________________

طريقة الدفع ☐ تحويل بنكي ☐ شيك لأمر المركز



Invitation to submit papers



The editors of *Siyasat Arabia* invite scholars to submit papers for consideration in future editions of the journal. *Siyasat Arabia*, published bi-monthly in Arabic, covers the range of specialisms within political science and strategic studies, including international relations, geopolitics and geostrategic studies. The journal also carries critical, incisive essays and book reviews as well as primary source materials. All submitted manuscripts will be subject to the same rigorous peer review process. The journal aims to further and deepen debate around these topics for diverse audiences of professional scholars and non-specialists alike while continuing to uphold its high academic standards.



All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.org

Address all correspondence to the Editor-in-Chief



الاشتراكات السنوية

(ستة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

35 دولارًا أميركيًا للأفراد في لبنان.

55 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان.

55 دولارًا أميركيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا.

75 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا.

95 دولارًا أميركيًا للأفراد في أوروبا.

120 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا.

120 دولارًا أميركيًا للأفراد في القارة الأميركية.

140 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأميركية.

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون

ص.ب: 11-4965 رياض الصلح 1107-2180 بيروت - لبنان

عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

Qatar National Bank

Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS)

IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)

SWIFT code: QNBA LB BE